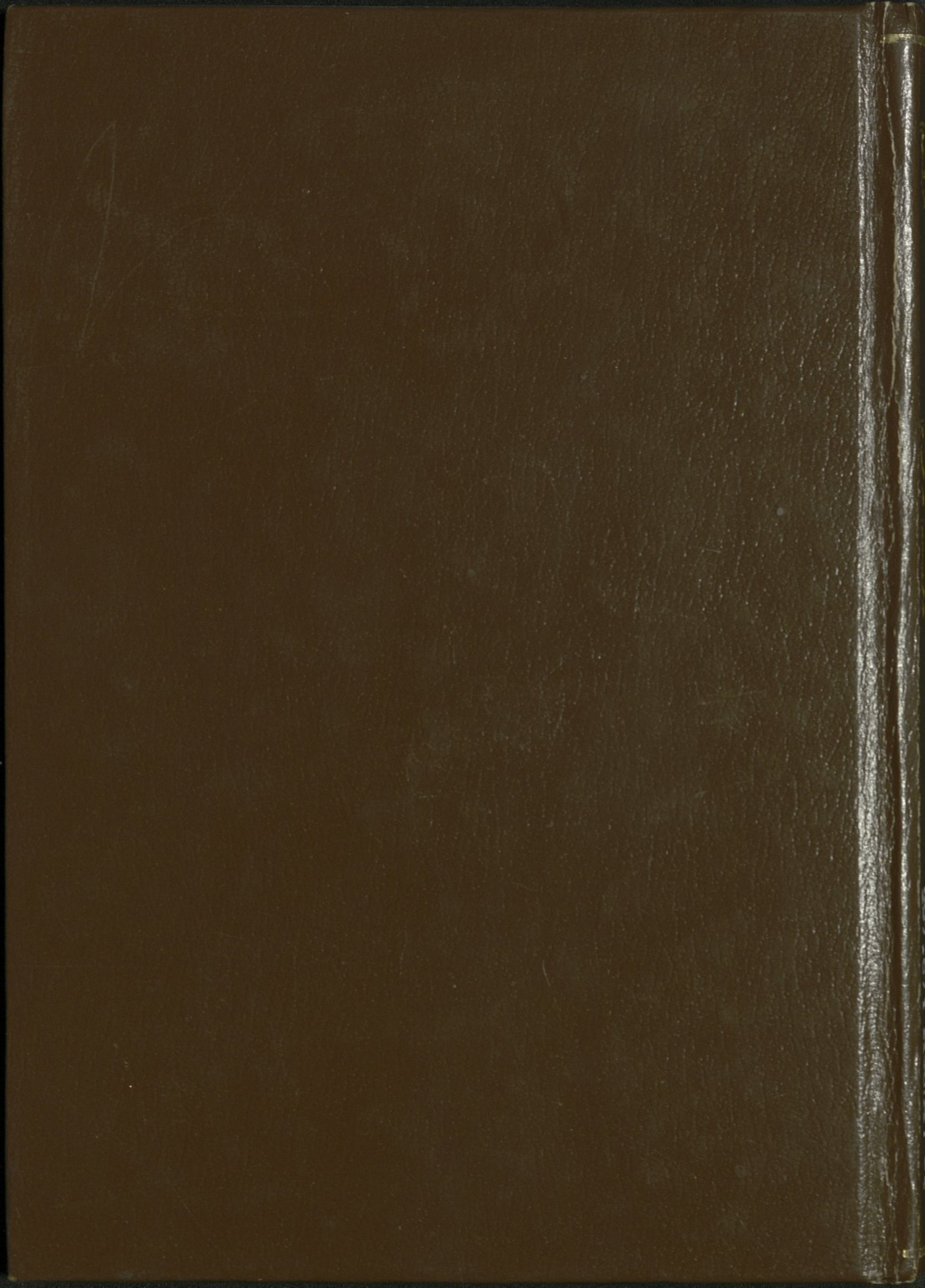
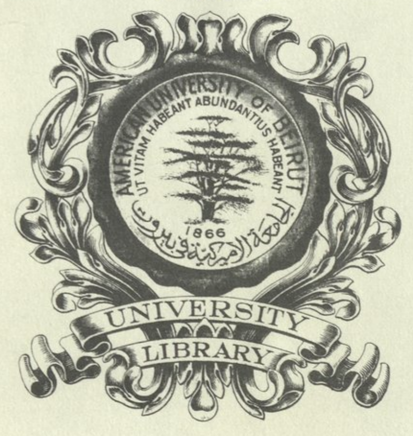



AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت
UNIVERSITY
LIBRARY

[illegible]

[illegible]

الاخوان المسلمون

كبرى الحركات الإسلامية الحديثة

تأليف
الدكتور اسحاق موسى الحسيني

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت ١٩٥٢

[الطبعة الاولى]

الفصل الاول

ظروف نشأتهم

تأسست في القاهرة في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٧ اول جمعية للشبان المسلمين ١ مقتفية الى حد كبير اثر جمعية الشبان المسيحية ٢ التي تأسست في القاهرة في يناير سنة ١٩٢٣ . وليس مجرد التشابه في التسمية هو المظهر الوحيد للاقتفاء ، فهناك قرائن متعددة تشير اليه ؛ من اهمها النص على عدم التدخل في المنازعات السياسية ٣ ، واقتصارها على الشؤون الاجتماعية والثقافية والدينية والرياضية ، وهي من مقوّمات جمعيات الشبان المسيحية . وفوق ذلك فان تأسيس الجمعيات التي تشمل الرياضة خاصة في مناهجها أمر مستحدث في العالم الاسلامي الحديث ، وان لم يكن غريباً عن العالم الاسلامي القديم الذي عرف نظام الفتوة ٤ في فترة من فترات التاريخ . فالجماعات الاسلامية — وهذا تعبير أدق من جمعيات — كانت تلتفّ حول اغراض دينية محضة مركزها المسجد للثقافة فيها نصيب يُعادل نصيب الثقافة من الدين في العُرف الاسلامي . وكذلك شأن الاجتماع .

وليس ثمّ شك في ان هذه المصطلحات نفسها: الثقافة والاجتماع والرياضة ، قد اكتسبت معنى جديداً يقارب المعنى المفهوم عند الغربيين ، هذا المعنى الذي أسهمت في نقله جمعيات الشبان المسيحية المؤسسة في البلاد العربية ، والذي أفادته جمعية الشبان المسلمين عندما وضعت اول نظام لها . ومن أُتيح له ان يشهد نشاط هذه الجمعية في القاهرة في ذلك الوقت لا يسعه الا ان يقرر انها جارت زميلتها جمعية الشبان المسيحية في كثير من مظاهر نشاطها » .

وبعد نحو سنة من تاريخ تأسيس هذه الجمعية ، اي سنة ١٩٢٨ تأسست جمعية الاخوان المسلمين في الاسماعيلية (مصر) .

وربما يبدو عجيباً ان تنشأ هذه الجمعية الثانية ، وفي القطر المصري بالذات ، مع سبق الجمعية الاولى . فهل رأت الثانية ان الاولى عاجزة عن تحقيق اهدافها فارادت هي ان تتولى العمل ؟ الواقع لا . اذ ان مضي سنة لا يكفي للحكم عليها. واذن لا بد من ان تكون الدواعي والاسباب التي أدّت الى انبثاق « الاخوان المسلمون » لا صلة لها بتلك التي أدت الى ظهور « الشبان المسلمون » . وهذا ما تتضافر الادلة على اثباته . ولا يدحض ذلك قول صالح حرب باشا، الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، في زيارته لجمعية الاخوان في الفيّوم سنة ١٩٤٦ : «ان دعوة الشبان والاخوان واحدة في الغرض والهدف . ومن يعمل للتفرقة بيننا فليس منا. وسنعمل معاً حتى تعلو كلمة الدين

وتنال البلاد استقلالها ٦ . فهذه العبارة خطابية تُحمل على المجاملة لا اكثر ، اذ إن كانت الدعوة واحدة في الغرض والهدف حقاً ، فلمَ قيام جمعية اثر جمعية في اثناء عام واحد فقط ؟ ولِمَ لم ينضمّ الاخوان الى جمعية الشبان فوراً ، ما دام الغرض والهدف واحداً ؟ قال حسن البنا ، المرشد العام السابق ، في احدى خطبه سنة ١٩٣٨ : « ان كثيراً من القضايا الاسلامية العامة يظهر فيها الاخوان والشبان شيئاً واحداً وجماعة واحدة ، اذ ان الغاية عامة مشتركة وهي العمل لما فيه اعزاز الاسلام واسعاد المسلمين ، وانما تقع فروق يسيرة في اسلوب الدعوة وفي خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين ٦ » . ويبدو لي ان عبارة البنا أدق ، وان كانت لا توضح تماماً الفروق بين الجمعيتين .

فلنبحث اذن في الظروف التي احاطت بنشأة الاخوان لنتلمس الدواعي والاسباب التي أدت الى ظهورهم .

لا شك اولاً في ان الدعوة ليست منقولة ، مباشرة او غير مباشرة ، عن الغرب . اي لا علاقة لها بالنظام الفاشستي او النازي ، كما حاول ان يثبت ذلك محمد حسن احمد في كتابه « الاخوان المسلمون في الميزان ٨ » ، ولا علاقة لها كذلك باي نظام اجنبي آخر من النظم التي شاعت في اثناء نشأة الدعوة . ومع ان مؤسس الدعوة ، حسن البنا ، المرشد العام للاخوان منذ تأسيسها الى حين وفاته ، كان عضواً في جمعية الشبان

المسلمين ٩ ، الا ان الغرض والوسيلة في جمعيته اختلفا عما هما عند جمعية الشبان المسلمين .

حقا ان البنا أشار غير مرة في خطبه ومقالاته الى ما يحدث في ايطاليا والمانيا وتركيا باسلوب يدل على اعجابه ببعض مظاهر الحكم فيها ، كاشارته مثلاً الى ان تركيا استهلت اعمالها بتوحيد القوى والغاء الاحزاب١٠ ، والى ان هتلر يستخدم الاذاعة في انهاض شعبه وإلهاب شعور الحماسة فيه ، في حين يستخدمها المصريون في الحب والغرام وادوار العبث والهيام ، وفي هذه الانواع الرخيصة من الاغاني التي تذاع ١١ ، والى ان ايطاليا قاومتها اثنتان وخمسون دولة وفرضت عليها العقوبات ، ولكنها ارغمت هذه الدول على احترام مشيئتها بدون سيف ١٢ . الا ان هذه الاشارات لا مغزى لها في هذا الصدد . وقد أشار البنا الى دول اخرى كرومانيا والعراق وانجلترا ١٣ ، في معرض الغاء الاحزاب ، دعماً لحجته في وجوب الغائها في مصر . والحاصل ان الادعاء ان البنا نقل نظامه عن النظم الغربية استناداً الى مثل هذه الاشارات لا مبرّر له ألبتّة . ولكنها تدل على انه كان يراقب مجرى الحوادث ويتفاعل بها ويستفيد منها في دعم دعوته . وهو امر طبيعي .

على الباحث إذن ان ينظر في الاحداث التي توالت على مصر من مطلع القرن العشرين الى سنة ١٩٢٨ ، وان يستعرض حياة البنا نفسه ، ففي هذين المصدرين تكمن البواعث والاسباب التي

أدّت الى نشأة الاخوان .

ومن حسن حظ الباحث ان البنا دوّن مذكراته ، متضمنة تاريخ حيـــاته . واذا نحّينا جانباً الرؤى والنواحي العاطفية التي علـّق عليها اتباعه المتحمسون أهمية ظاهرة ، وهي في الواقع ظواهر طبيعية في حياة البشر عامة، وفحصنا ما تبقى من ترجمته، عثرنا على نواة الدعوة في الرجل .

كان البنا وهو صغير يقرأ القصص الشعبية كقصة الاميرة ذات الهمة وقصة عنترة ويتأثر بما يقرأ ويمثل دور القتـــال . وكان مولعاً باقتناء قصص البطولة والجهاد والغزوات والتاريـخ وسيَر ابطال المغرب وابي محمد البطـّال وسيرة بني هلال ١٤ .

وظهرت فيه نزعة روحية قوّاها اصحاب الطرق الصوفية ، فتقشّف هو وشقيقه مدة واضرب عن أكل خبز القمح وقنـع بأكل خبز الشعير. وحين ألـّف مع أخيه جمعية (للأمربالمعروف والنهي عن المنكر) وهو ما يزال طالباً ، حضّ الناس في اول نشرة اصدرها وطبعها على البالوظة على كراهية لبس الحرير والتختم بخاتم الذهب للرجـال . وأُلصقت النشرة على ابواب المساجد ووزعت بالبريد على اعيان البلدة١٥ . وكان كذلك يشهد حلقات الذكر ويصوم شهري رجب وشعبان ، وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره١٦ . وانتسب الى الطريقة الحصافية واخذها عن مؤسسها وهو في الرابعة عشرة من عمره١٧ . وتأثر بهذا الشيخ الذي كان يصرف الاخوان عملياً الى الاخوة. وقال

له مرة : انني اتوسّم ان الله سيجمع عليكم القلوب ويضمّ اليكم كثيراً من الناس[18] .

وكان يميل الى الجمعيات ينتسب اليها ويؤلفها . ففي المدرسة الاعدادية انتخب رئيساً (لجمعية الاخوان الادبية) ، وألف مع جماعة من الطـــلاب (جمعية منع المحرمات) ، ثم أسس جمعية اصلاحية هي (الجمعية الحصافية الخيرية) وكان سكرتيراً لها ، واشترك في عضوية جمعية (مكارم الاخلاق الاسلامية) وكانت الجمعية الوحيدة في القاهرة ، وألف مع جماعة من رجـال الدين والوجاهة حلقة نتج عنها جريدة (الفتح) و (جمعية الشبان المسلمين) [19] . وكانت هذه الجمعيات سلسلة محكمة الحلقات انتهت به الى تأليف (جمعية الاخوان المسلمين) نهاية طبيعية .

ورافق هذا الميـل الى الجمعيات نزعة الى الوعظ والارشاد واصدار النشرات وامامة المصلين والتأذين والحث عـلى الصلاة بايقاظ الناس في بيوتهم وايقـاظ المؤذنين ، وهو ما يزال طالباً حديث السن .

وكان رغم اشتغاله بالتصوف والتعبد يعتقد ان الخدمة الوطنية جهاد مفروض لا مناص منه ، وكان يقوم بدور بارز في الحركات الوطنية ، يُضرِبُ مع الطلاب وينظم الشعر الوطني[20] .

هذه هي استعدادات البنا الفطرية التي ظهرت بواكيرها في سن مبكرة ، وظلت تتفاعل بالاحداث الخارجية تجذبه حيناً وتدفعه حيناً آخر ، الى ان تبلورت في (الاخوان المسلمين) .

ولنعرض بايجاز تلك الاحداث الخارجية :

تعرضت مصر بعـد الحرب الكبرى الاولى ، ولا سيما سنة ١٩١٩ لهزات سياسية عنيفة . واشترك الطلبة عملياً في الحركة الوطنية فقادوا المظاهرات وحرروا المنشورات وخطبوا ونظموا الشعر وضَربوا وضُربوا . وكانت مصر ، وخـاصة ايام سعد زغلول ، كتلة ملتهبة لا تخبو حتى تذكو . واشترك الريف مع المدن في الاضرابات والمظاهرات . وكان البنا سنة ١٩١٩ في الثالثة عشرة من عمره ، فاضرب مع الطـلاب ، ونظم الشعر الوطني ، وشاهد احتلال الانجليز الاحياء في المحمودية. وتركت هذه الحوادث اثراً بالغـاً في نفسه حتى انه اعتقد ان الخدمة الوطنية جهاد مفروض لا مناص منه٢١ ، وقام فعلًا بدور بارز فيها لم يبـيّن نوعه .

ثم حدث بعد ذلك ان خرجت تركيا على الخلافة ونبذت الحروف العربية واجرت اصلاحات واسعة . وكان لذلك اثر بالغ في مصر . اما المتحررون فانتهزوا هذه الفرصة وأخذوا يكتبون عن علاقة مصر بالغرب ، وتفضيل القبعة على الطربوش ، وحرية المرأة ، وحرية الفكر ، الى امثـال ذلك٢٢ . واما المحافظون فاعتبروها خروجاً على تبعة الاسلام ورسالة القرآن واسم الخـلافة بل الدين كله ، واضحت مصر في نظرهم مقر الدعوة وحلبة الكفاح والوارثة الشرعية للقيادة٢٣ . وكان البنا من هذا الفريق الثاني .

وفي الوقت نفسه اشتد الصراع الفكري بين المحافظين والمجددين . وظهرت مؤلفات اثارت الرأي العام المحافظ منها كتاب (الاسلام واصول الحكم) للشيخ علي عبد الرازق الذي ادى الى اخراجه من المحاكم الشرعية وحملة علماء الازهر عليه، لدعوته الصريحة الى وجوب فصل الدين عن الدولة وانكار السلطة الزمنية للخلافة . ومنها كتاب (في الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين الذي شك فيما ورد في القرآن عن ابراهيم الخليل . وكانت مجلة (السياسة الاسبوعية) حاملة لواء التجديد يومئذ ، تنشر المقالات صريحة في نصرة المجددين، وتذهب احياناً الى الفرعونية والانضمام الى الغرب ، بلا قيد ولا شرط .

وتحوّلت الجامعة المصرية في هذه الفترة الى معهد حكومي « وقرّ في الذهن انها لن تكون علمانية الا اذا ثارت على الدين وحاربت التقاليد الاجتماعية المستمدة منه ، وأنشىء (المجمع الفكري) الذي كان يهاجم الاديان . وكان لهذه رد فعل في القاهرة . وكنت متألماً اشد الالم »٢٤ .

« ولم يكن في المعترك يومئذ من دعاة الفكرة الاسلامية من يستطيع رد عادية هذا الطوفان الا نفر قليل أظهرهم مصطفى صادق الرافعي وشاب في سن الخامسة والعشرين ينتقل بين الاسماعيلية والمنزلة يدعو الى الله في غير ما جلبة ولا ضوضاء .. ذلك هو استاذنا الامام ــ حسن البنا » ٢٥ .

والواقع ان رجال الدين المتشددين كانوا في هذه الفترة

مغلوبين على امرهم ، يطوون نفوسهم على حقد شديد على انصار الغرب ودعاة التجديد ، ويؤولون ما يكتب على انه خروج على الاسلام ودعوة الى الاباحة والالحاد . ولم يكن الحال كله كذلك بالفعل . ولكن الكبت هو الذي أدى الى المغالاة في الريبة . فقد كان بين الاحرار الدستوريين نفر من ذوي النفوذ السياسي الواسع كعدلي يكن وعبد الخالق ثروت واسماعيل صدقي ومحمد محمود ولطفي السيد . وكان هؤلاء يسندون (السياسة الاسبوعية) من الناحية السياسية على الاقل ، ويلجمون رجال الدين ، ويدفعون الاذى عن زعماء التجديد المنتمين الى حزب الاحرار الدستوريين . ولولا وجود هؤلاء في الحكم للحق الشيخ علي عبد الرازق والدكتور طه حسين أذى كبير محقق .

وكان من الطبيعي ان يرافق الصراع الفكري بين المحافظين والمجددين ، ونشاط الحركة السياسية ، وتطور الاوضاع بعد الحرب الكبرى الاولى ، نهضة اجتماعية . فقد اكتسبت المرأة المصرية من الثورة السياسية حقوقاً تشبه الى حد ما الحقوق التي اكتسبتها المرأة الغربية بعد الحرب الاولى . فاشتدت الحركة النسوية . وعظم اقبال الفتيات على التعلم. ودعا فريق الى دخول الفتاة الجامعة المصرية اسوة بالفتى . وكثرت الحفلات العامة والخاصة .

ورأى المحافظون في هذه المظاهر غير المألوفة مجوناً سافراً

وفتنة مكشوفة واباحة مارقة ، وُخيل اليهم ان حياة الاسرة اخذت تتقوّض تحت ضربات معاول الاوضاع الجديدة [٢٦]

وكانت مصر في الحقل السياسي تسير خطوة لترجع خطوات. فقد كان النزاع بين الوفديين والدستوريين عنيفاً يتجاوز احياناً المصلحة العامة في سبيل المصلحة الحزبية . وكان الوفد يلي الحكم ليطهّر البلاد من خصومه السياسيين لا ليواصل ما بدأوا به او أسسوه . ويفعل الدستوريون فعلهم ، فيصبح الحكم اشبه بالمنشار يقطع في حركتيه . وكانت هذه الحالة تثير آلام الشبان الذين اراقوا دماءهم رخيصة في المظاهرات والاضطرابات، والذين لا يجنون من اولئك او هؤلاء اية منفعة .

ويذكر الذين عاصروا هذا الدور كيف كان الجدل السياسي يحتدم في كل اجتماع يعقده جماعة من الطلبة في المعاهد او خارجها. وكانت حمى الجدل فائرة في البلاد كلها .

اثرت هذه الامور في نفسية البنا . وفي هذا يقول : « ليس يعلم احد الا الله كم من الليالي كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت اليه في مختلف مظاهر حياتها، وفعل العلل والادواء، ونفكر في العلاج وحسم الداء ، ونفيض بالتأثر لما وصلنا اليه الى حدّ البكاء . وكم كنا نعجب اذ نرى انفسنا في مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة ، والخليّون هاجعون يتسكعون على القهوات[٢٧] .

ويقول في مذكراته : وكان الاخوان يتحدثون في هذه الموضوعات وفي وجوب القيام بعمل اسلامي مضاد[٢٨] .

واخذ هو يسعى حثيثاً لجمع طائفة من رجال الدين للتكتل في جمعية . فاتصل بالمكتبة السلفية لصاحبها محب الدين الخطيب ، صاحب (الفتح) المشهورة بحملاتها العنيفة على المجدّدين ، وتردد على مجالس الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) السلفية ، واتصل بالشيخ الدجوي وحثّه على العمل لخلاص الاسلام ، واتصل بفريد وجدي وتأثر بآرائه ومؤلفاته ، ثم انضمّ الى جمعية الشبان المسلمين عسى ان يجد عندهم ما يحقق أمانيّه٢٩ .

حدث هذا كله والبنا طالب . وفي آخر مرحلة من مراحل تعلمه في (دار العلوم) قطع على نفسه عهداً في موضوع انشائي كتبه بعنوان (اشرح اعظم آمالك بعد اتمام دراستك وبيّن الوسائل التي تعدها لتحقيقها) ، على « ان اكون مرشداً ومعلماً. اذا قضيت في تعليم الابناء سحابة النهار ومعظم العام ، قضيت في تعليم الآباء هدف دينهم ومنابع سعادتهم ومسرات حياتهم ، تارة بالخطابة والمحاورة ، واخرى بالتأليف والكتابة ، وثالثة بالتجول والسياحة .. وقد اعددت لتحقيق الاول معرفة بالجميل وتقديراً للاحسان .. ولتحقيق الثاني من الوسائل الخلقية الثبات والتضحية، وهما الزم للمصلح من ظلّه، وسرّ نجاحه كله .. ومن الوسائل العملية درساً طويلاً.. وتعرفاً بالذين يعتنقون هذا المبدأ ويعطفون على اهله ، وجسماً تعوّد الخشونة على ضآلته وألف المشقة على نحافته ، ونفساً بعتها لله صفقة رابحة وتجارة بمشيئته منجية.. ذلك عهدي بيني وبين ربي اسجله على نفسي، واشهد عليه

استاذي في وحدة لا يؤثر فيهـا الا الضمير وليل لا يطلع عليه الا اللطيف الخبـير ، ومن اوفى بمـا عاهد الله فسيؤتيه اجراً عظيماً[٣٠] » .

وهكذا تكونت الجرثومة الاولى للدعوة . فلننظر كيف نشأت وكيف تطوّرت .

الفصل الثاني

نشأتهم وتطورهم

لم تكن جمعية (الاخوان المسلمون) اول جمعية أسسها البنا. ففي عهد الدراسة تمرّس بمختلف الجمعيات – كما ذكر في الفصل السابق . وفي المدرسة الاعدادية انتخب رئيس (جمعية الاخوان الادبية) ، وألف مع جماعة من الطلاب (جمعية منع المحرمات) ٣١ . وتولى هو تأسيس جمعية اصلاحية باسم (الجمعية الحصافية الخيرية) ، وكان سكرتيراً لها ٣٢ ، تيمناً على الاقل بالطريقة الحصافية ، واعجاباً بشيخها الذي أحبه وأعجب به ، وأخذ الطريقة عن ابنه . ويلوح ان البنا اوغل في الاعجاب بشيخ الطريقة وبأسلوبه الى حدٍ يمكن القول معه ان البنا تلقى الوحي الاول للقيام بعمل جماعي من هذا الشيخ . وذلك انه ذكر ان الشيخ قال له مرةً : « انني اتوسم ان الله سيجمع عليكم القلوب ويضم اليكم كثيراً من الناس » . وعلى اثر ذلك أسس في المحمودية (الجمعية الحصافية الخيرية) . ومعنى ذلك ان بداية عمله كانت بدايةً تغلب عليها النزعة الصوفية . وفعلاً بدأت الجماعة كجمعية دينية غرضها « تحقيق المقاصد والاغراض التي جاء

بها الدين الحنيف وشرح دعوة القرآن الكريم وفهم الاسلام فهماً صحيحاً ۳۳ » . ويروي البنا نفسه ان الدعوة بدأت تدور في رأسه ، إثر ما رأى من مظاهر التحلل والبعد عن الاخلاق الاسلامية في كثير من الاماكن –في القاهرة– ، التي لا عهد له بها في الريف المصري ، وعلى أثر ما كان ينشر في بعض الجرائد من امور تتنافى مع التعاليم الاسلامية ومن جهل العامة بأحكام الدين ، وان المساجد لا تكفي في ايصال التعاليم الاسلامية الى الناس ٣٤ . وبذلك تكون النزعة الصوفية مازجهتا نزعة اجتماعية اصلاحية من البداية .

وفي اثناء اقامته في القاهرة طالباً في دار العلوم اشتدت وطأة العوامل الداخلية عليه وساقته الى تأليف فئة من الطلاب الازهريين وطلاب دار العلوم للتدرب على الوعظ والارشاد في المساجد ثم في القهوات والمجتمعات العامة في القاهرة . وانشعبت منهم شعبة تتولى نشر الدعوة الاسلامية في القرى والريف والمدن . وأفاد من هذه الحركة أمرين . الاول: كسب الثقة النفسية بالنجاح والخبرة والمران . والثاني حسن الاحدوثة في الاوساط الشعبية التي شدت ازره بعد .

واراد البنا بعد ذلك ان يرتقي الى الطبقة المتعلمة المتنفذة ، من دينيين ومدنيين ، يجذبها الى صفه ، ويحمّلها تبعة العمل في وجه التيار العاصف . وقد ذكر ان مسعاه أثمر ظهور مجلة « الفتح » فجمعية « الشباب المسلمين » فيما بعد . وأياً كان الامر

فالظاهر ان ما تم في القاهرة لم يشف غليله ولم يسد مطلبه بدليل أنه عاود العمل من جديد اثر ذهابه الى الاسماعيلية ، وانه عاد الى الاوساط الشعبية منصرفاً عن الطبقة المتعلمة المتنفذة . وهناك تعليلان لعمله هذا . الاول اللون السياسي الذي كان يغلب على مؤسسي (جمعية الشبان المسلمين) ، إذ كان معظمهم من الحزب الوطني المناوىء حزب الوفد والمشهور بالصلابة والتطرف . والثاني قناعته بان رسالته أعمق وأوسع من رسالة جمعية الشبان . ودراسة القانون الاساسي للجمعيتين وموازنتهما بدقة ترجحان التعليل الاول .

سافر البنا الى الاسماعيلية في ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٧ ٣٥ ، إثر تخرجه في دار العلوم العام نفسه — وكان في الحادية والعشرين من عمره — ليتسلم عمله الجديد ، وهو التدريس في مدرسة الاسماعيلية الابتدائية الاميرية . وفي هذه المدينة ، وفي شهر مارس ١٩٢٨ ، وُلدت (جمعية الاخوان المسلمين) قوامها ستة اشخاص من مريديه وتلامذته المخلصين . وهؤلاء خلاف حملة الفكرة الاولى الذين تفرقوا في القطر ٣٦ .

وفي اثناء الاشهر الستة الاولى التي سبقت ولادتها عاد البنا الى تجربته الاولى التي شرع بها في القاهرة وكللت بالنجاح . فاختار ثلاثة مقاه كبيرة تجمع ألوفاً من الناس ، ورتّب في كل منها درسين في الاسبوع يتولى فيهما الوعظ العام ، كالتذكير بالله واليوم الآخر والترغيب والترهيب مع إيراد الامثال

والحكايات والاحاديث والآيات الملائمة لظروف الحال . وحين ألحّ عليه رواد المقاهي ان يُلقنّهم احكام الدين جمعهم في زاوية قديمـة وأرشدهم الى اصول الوضوء والصلاة عملياً . ثم بُنيت زاوية أخرى وقف عليها وقته ما بين المغرب والعشاء ، ولدرس المقاهي ما بعد ذلك . واستطاع في هذه المدة ان يدرس مجتمعه الصغير والعوامل المؤثرة فيـــه ، وهي العلماء وشيوخ الطرق والاعيان والاندية ٣٧ ، وان يكسب ودّها جميعاً بتجنب الجدل في موضوعات الخلاف ، وقصر الدروس عـــلى المسائل العامة ، وتوجيه النظر الى الاخطار الداخلية والخارجية التي كانوا يلمسونها في بيئتهم ، وإزالة اسباب الشقاق بين الاعيان . وقد بلغ من براعته في الدعوة ان نكص عن الطريقة التي بدأ بها نشاطه العام ، حين رأى ان في النكوص عنها مصلحة لدعوته . وفي هذا يقول : ولكني حاولت ان تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد ، وهي اركان الدعوة الاسلاميـــة ، ومن اراد بعد ذلك تربية خاصة — يشير الى الطرق الصوفية — فهو وما يختار لنفسه ٣٨ .

والواقع ان الاسماعيلية أثرت فيه تأثيراً بليغاً ، وحملته على ان يدخل في منهجه عنصراً سياسياً ، قد يكون جال في خاطره سابقاً ، ولكن لا يمكن ان يكون من القوة والرسوخ كما هو الآن . فقد آلمه وحزّ في نفسه المعسكر الانجليزي ، وادارة شركة قناة السويس واستئثارها بالقيام على المرافق العـــامة ،

وحيّ الافرنج ومفارقته لأحياء العمال، وشيوع الاسماء الاجنبية مكتوبة « بلغة الاحتلال الاقتصادي » على الشوارع . « كل هذه المعاني والخواطر كانت تتفاعل وتعمل عملها في النفس بخاصة اذا خلا المتأمل فيهـــا بنفسه بين خمائل الاسماعيلية وحدائقها الغناء أو في شاطىء بحيرة التمساح الجميلة او في جوف الغابات الصناعية على حافة الصحراء . لقد اوحت الاسماعيلية بالكثير من المعاني التي كان لها اثر كبير في تكييف الدعوة والدعاية[39] » .

وعبارة البنا الاخيرة هذه صريحة وواضحة. فلم يكن العنصر السياسي في حسبانه في نشاطه وهو طالب، ولا في حركته في القاهرة ، ولا في بدء حركته في الاسماعيلية ، او على الاصح ، لم تكن السياسة عنصراً بارزاً في منهاجه في الادوار السابقة . ولذا يصحّ القول انه أضيفت الى النزعـة الصوفيـة الاجتماعية نزعة سياسية بارزة بحكم البيئة الجديدة .

لبث البنا في الاسماعيليـة من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٣٣ ينشر دعوته وفق منهاج خاص كونه هو من دراسته وتجاربه ، يُسر به اسراراً ، دون ان يلفت الانظار ، شأنه في ذلك شأن صاحب الدار القديمة المتهدمة لما أراد ان يبنيها من جديد حجب الناس عنها بسور ضخم حتى أتمّ بناءه . فلما أتمه أزال الاسوار فظهر البناء ضخماً كاملاً قوياً[40] . وكان معظم من استجاب الى دعوته من طبقة العمال[41] .

واغراه النجاح على توسيع نطاق البيئة « فلم يترك قرية ولا

بلدة ولا دسكرة ولا كفراً الا زاره وبات به واجتمع بالناس فيه ، في مساجدهم وبيوتهم ودورهم[42] » . ولكن المسجد كان مقرّه الاول[43] يجد فيـه اماناً وستراً . ومن يستطيع ان يعترض مصلياً في محرابه او مدرساً واعظاً في مسجده ؟

وكانت اسفاره في عطلته الاسبوعية وفي عطلته السنوية في الصيف . ففي الاولى يزور البلاد القريبة وفي الثانية البـلاد البعيدة . وظل في هذه المدة كلهـا مواظباً على التدريس في مدرسته الابتدائية لا يتعلل بمرض او بعذر طارىء . وربما زاده عمله المدرسي منعة وتستراً . واثمرت اسفاره بعد سنتين شعبة في ابي صير وبور سعيد والبلاح ، وبعـد ثلاث سنوات شعبة في السويس ، وبعد اربع سنوات نحواً من عشرة فروع ، ومعهداً في الاسماعيلية لتربية البـنات واعدادهن ليكن اخوات مسلمات [44]

وتوسل الى ابلاغ دعوته بالنشرات والرسـائل والصحف والخطب والمحاضرات العامة والزيارات والمقالات الفردية [45] . وكان ذا فراسة قوية يحسن تخير الانصار والاعضاء فيؤلف منهم نواة لجمعية تتخذ لها داراً متواضعة .

وهكذا اصبحت دار الاخوان في الاسماعيلية في هـذه الفترة مركزاً لقيادة الدعوة ، واصبحت الفروع مرتبطـة برباط الاخوة [46] ، دون أن يشعر الفرع بالفرع الآخر ، ودون ان يسترعي عمله هذا انتباه احد .

وبعد نحو خمس سنوات من تأسيس الدعوة بالاسماعيلية نقل البنا مدرساً الى القاهرة ٤٧ ، ودخلت الدعوة بنقله طوراً جديداً. وليس من دليل على ان نقله ناجم عن نشاطه . فقد ظلت الحركة الى سنة ١٩٣٩ (سنة الحرب الكبرى الثانية) سائرة على النهج السابق من كتمان واسرار ونزول في المساجد ووعظ فيها وتخيُّر للانصار وتأسيس للفروع بحذر وصمت .

وذكر البنا في احدى مقالاته المنشورة سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤م اي بعد مضي نحو عـــام من اقامته في القاهرة ، ان فكرة الاخوان انتشرت فيما يزيد على خمسين بلداً من بلدان القطر المصري . وقامت في كل بلد من هذه البلدان تقريباً بمشروع نافع او مؤسسة مفيدة . ففي الاسماعيلية أسست مسجد الاخوان وناديهم ومعهد حراء لتعليم البنين ومدرسة امهات المؤمنين لتعليم البنات . وفي شبراخيت أسست مسجداً ونادياً ومعهـداً للبنين وداراً للصناعة يتعلم فيها طلبة المعهد الذين يستطيعون اتمام التعلم.. وفي المحمودية البحيرة قامت بمثل ذلـك فانشأت منسجاً للنسيج والسجاد الى جوار معهد تحفيظ القرآن . وفي المنزلة دقهلية أقامت معهداً لتحفيظ القرآن .. وقل مثل ذلك او بعضه في كل شعبة من شعب الاخوان المنتشرة في انحـــاء القطر من أدفو الى الاسكندرية ٨ :

واقتضى هذا التوسعُ في الفروع ومواجهة الظروف الجديدة في القاهرة ان يضاعف البنا جهوده وينظم اعماله ويجدد وسائله

ويوسع منهاجه .

كان منهاجه ان يزور المركز العام في الصباح الباكر يترك فيه مذكرات فيها توجيهات واعمال تتطلب انجازاً . ثم يقصد مدرسته . وان كان مسافراً يتوجه من المحطة الى المدرسة . وفي الظهر يُعرّج على المركز العام ثانية يُقابل ويُوجه ويُصرّف ما يجدُّ من عمل . وفي المساء يزور المركز ثالثة ويقضي فيه وقته مقابلاً الوفود والزائرين او مجتمعاً في لجان او محاضراً . ولم يمنعه ذلك من متابعة اسفاره الى الريف في اثناء العطل المدرسية .

ورأى من حسن التنظيم ان يجعل كل شعبة مركزاً مستقلاً، وصورة متكررة من المركز العام في القاهرة ، تؤدي رسالتها فيما حولها وفي اقليمها وما جاورها . وتسلم هو مهام القيادة والاشراف والتوجيه ٤٩ .

وانشأ مجلة خاصة بالاخوان باسم (مجلة الاخوان المسلمين) تنشر مقالاتهم ، بعد ان كانت وسيلةُ الاتصال الزيارات او المنشورات او الرسائل . وكتبوا ايضاً في عدد من المجلات (كالنذير) و (التعارف) .

واخذ البنا يعقد المؤتمرات العامة تمثل فيها جميع الشعب وتعالج المناهج العامة والاعمال المشتركة بين هذه الشعب .

ونظر ببصره الى ما وراء حدود مصر فرأى ظروفاً مواتية لنشر الدعوة . فبدأ اولاً بارسال الدعاة يخطبون في المساجد ، مبلغين الدعوة وموثقين الروابط وموقظين الهمم ٥٠ ، ثم عقّب

بانشاء الفروع في السودان وسوريا ولبنان وفلسطين والمغرب .

وفي هذه الفترة اقتحم ميدان السياسة ، مبتدئاً بالقاء أحاديث دينية - اجتماعية في الاذاعة والاندية فارسال رسائل الى رؤساء الوزارات المصرية المتعاقبة من عهد محمد محمود باشا ذي اليد الحديدية فالنحاس فاسماعيل صدقي فعبد الفتاح يحيى فالنحاس فنسيم فعلي ماهر فالنحاس الى قيام الحرب الكبرى الثانية . وكان محور الرسائل الدعوة الى الاصلاح الداخلي الشامل بروح الدين الاسلامي وهديه. « وكان الاخوان في هذه الفترة يؤثرون العمل المنتج والتربية الصالحة والتنظيم النافع على الدعاية الفارغة. ويقولون : الزمن جزء من العلاج ، والتدرج خير من الطفرة ، فلم تشعر بهم الحكومات الا في مناسبات عادية .

« وقد ذكر الاستاذ المرشد في بعض أحاديثه انه قابل النحاس باشا في منزله بالاسكندرية في صيف سنة ١٩٣٦ بمناسبة مطالبة حكومة نسيم باشا حينذاك بالعناية بالتعليم الديني في المدارس المصرية . فكان النحاس يظن انه (اي البنا) أحد العمد الذين يتألف منهم الوفد ! ، كما ذكر في حديث آخر ان محمد محمود باشا اقترح عليه ان ينشىء شعباً للاخوان في الصعيد لخلوه من هذه الشعب في الوقت الذي كانت حفلات الاخوان فيه تقام من مَضيفَة الاسرة (اسرة محمد محمود باشا) بأبي تيج . ولقد استمرت وزارة المعارف المصرية الى وقتٍ قريب تجهل ان الاستاذ البنا المدّرس بمدارسها هو المرشد العام للاخوان

المسلمين، مع ان الاخوان لم يدعوا حكومة من هذه الحكومات الا تقدموا اليها بالمذكرات الوافية في مختلف الشؤون[51] » .

وتدل هذه النبذة التاريخية على ان الاخوان ـ الى ذلك الحين ـ لم يسترعوا نظر الحكومات، وعلى ان نشاطهم السياسي كان مغلفاً بالدين فلم يبال به الرسميون .

ورفع البنا سنة سنة ١٣٥٥ = ١٩٣٦ م خطاباً الى الملك فاروق والنحاس باشا وملوك العالم الاسلامي وامرائه يدعوهم الى سلوك طريق الاسلام واصوله وقواعده وحضارته ومدنيته ، نابذين طريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها ، ثم يبيّن فيه خصائص كل من السبيلين، وان الاسلام كفيل بامداد الامة الناهضة بما تحتاج اليه في الجندية والصحة والعلم والاقتصاد والنظم، وينتهي بالدعوة الى ان يكونوا اول من يتقدم باسم رسول الله (صلعم) بقارورة الدواء من طب القرآن لاستنقاذ العالم المريض» ، ثم يضع لهم منهاجاً للاصلاح الشامل مختلف مظاهر الحياة محتوياً على خمسين بنداً[52] . ولم يكن في هذا النشاط كله ، من خطب ومقالات ورسائل ، استفزاز للدولة . وأبعد ما ذهبوا اليه في المضمار السياسي الدعوة الى « القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الامة السياسية في وجهة واحدة وصف واحد[53] ». اما موقفهم من الحكومات المصرية المتعاقبة فموقف عدم التأييد اعتقاداً منهم ان كل حكومة تقوم على غير الاصول والقواعد الاسلامية لا يرجى منها صلاح ولا تستحق تأييداً ولا مناصرة . ولهذا

يطالبون دائماً بالتعديل الذي يحقق نظام الحكم الاسلامي بكل مظاهره . ولكنهم من جهة اخرى لا يلجأون الى العنف ولا يضنون بالتعاون إذ يرون من واجبهم التعاون مع الحكومة التي يأنسون منها استعداداً صادقاً لتأييد منهاجهم والعمل على تحقيقه ٥٤ .

وفي سنة ١٩٣٨ استكملت الدعوة عناصرها ، وتبلورت في كامل صورتها ، ووضع البنا نفسه الاصول التي تعتمد عليها فقال : انها دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية . وأردف ان شمول معنى الاسلام قد أكسب فكرتهم شمولاً لكل مناحي الاصلاح ٥٥ .

ودخلت الدعوة من سنة ١٩٣٩ – ١٩٤٥ – وهي سنوات الحرب العالمية الثانية – طوراً جديداً ، ربما جاز ان يسمى بداية المحنة من حيث علاقتها بالسياسة ، وبداية الازدهار من حيث النشاط وتحقيق برامجها الواسعة .

اما الشطر الثاني – البرامج – فلم يدخل فيه جديد. ولكن تضاعف نشاط الاخوان وانضم اليهم عنصر جامعي (من جامعة فؤاد الاول فى القاهرة والجامعة الازهرية) ، وتوسعت اعمالهم التجارية ، وأقبلوا على التدرب والرياضة ، وانتظمت اعمالهم في الفروع التي عمّت القطر ، وبايجاز صاروا قوة يحسب لها حساب.

اما الشطر الاول – السياسة – فقد تفتحت العيون في فترة

الحرب على الهيئات والجماعات ، وبدأ احتكاك الحكومات بهم نتيجة للظروف الاستثنائية والاحكام العرفيـة وبعض الدوافع والمؤتمرات الخارجية وخصوصاً بعد ان دخلت الحرب في ادوارها الجدّية .

وتوالى على الحـكم عـلي ماهر ، وحسن صبري ، وحسين سري ، والنحاس ، وأحمد ماهر ، والنقراشي، واسماعيل صدقي ، والنقراشي ثانية .

وفي وزارة الاولين ، علي ماهر وحسن صبري ، دأبوا على الموعظة والنصيحة في كتبهم وفي خطبهم الخاصة والمفتوحة ، شأنهم مع جميع الحكومات السابقة . وفي عهد علي ماهر خاصة أعلنوا تأييدهم لقراره الخاص بتجنيب مصر ويلات الحرب فحسب دون ان يقابلوه او يتقدموا اليه بطلب معين .

وبدأت محنتهم على يــد سري باشا ـ بضغط من السفارة الانجليزية والقيـادة ـ ، فصادرت حكومته مجلتي (التعارف) و (الشعاع) الاسبوعيتين ، ومجلة (المنار) الشهرية ، ومنعت طبع أية رسالة من رسائلهم او إعادة طبعها ، واغلقت مطبعتهم ، وحرمت على الجرائد ان تذكر شيئاً عنهم كما منعت اجتماعاتهم . ثم عمدت الى تشريد رؤساء الجماعة فنقلت البنا من القـاهرة الى قنا ، ونقلت الوكيل العام (احمد السكري) الى دمياط ، ثم اعادتهما بضغط الحملة البرلمانية . ولكنها عادت الى ما هو اعنف من ذلك ، فاعتقلت السكرتير العام للجماعة والبنــا نفسه ، ثم

افرجت عنهما اتقاء ما احدثه هـذا الاجراء من جرح في صدور الاخوان . وأدى هذا الضغط الى استرعاء انظار النـاس اليهم وكسب عدد من الانصار والاعضاء . وجاءت وزارة النحاس باشا ، ورغب البنا في ترشيح نفسه نائباً في البرلمان عن دائرة الاسماعيلية — مهد الحركة — ليمثل الاخوان وينطق بلسانهم . ولكن النحاس رجاه ان يعدل عن الترشيح مراعـاةً لحراجة الموقف فعدل . وبدأ النحاس بمهادنتهم ، فسمح لهم بالاجتماعات وأعاد اليهم المجلة والمطبعة .. وبعد قليل اخذهم بالعنف ، فأغلق جميع شعبهم — عدا المركز العام — وضيّق عليهم في اجتماعاتهم ومطبوعاتهم وسائر نواحي نشاطهم . وقابلوا شدة الحكومة بالاناة والصبر فعادت الحكومة النحاسية عن شدتها . واستمر الموقف بينهما يتقلب ، تارة تدع الحكومة لهم الحرية فيعملون ، وطوراً ترهقهم بالتضييق فيصبرون . ولكنهم ظلوا على عادتهم في تقديم النصح كتابة ومشافهة الى أن أُقيلت وزارة النحاس سنة ١٩٤٤ ٥٦ .

وجاءت بعد وزارة النحاس وزارة احمد ماهر فأخذتهم بالشدة وحالت دون نجاح من رشح نفسه للنيابة منهم بناء عـلى قرار اتخذه مؤتمرهم العام سنة ١٩٤١ بان يرشح الاكفاء على اساس خدمة المنهاج الاسلامي والمطالبة بنظام الحكم الاسلامي كلما وجد الظرف المناسب لذلك، وحين اعلن احمد ماهر الحرب على المانيا وايطاليا عارضه الاخوان وكتبوا اليه بالعدول عن ذلك .

واغتيـــل احمد ماهر وتولى النقراشي الحكم . وبدأ حكمه باعتقال البنا وغيره من الاخوان بتهمة الاشتراك في الاغتيال . ولكن النيابة أفرجت عنهم . وبادر البنـــا الى زيارة النقراشي معزياً في ماهر ، وراجياً ان يطلق لهم حرية العمل . بيد ان النقراشي لم يستجب الى الرجاء ، وفرض عليهم اثقـل القيود في نشاطهم واجتماعاتهم ومراقبة دورهم ٥٧ . وكان يسمح لهم بعقد اجتماعات عـــامة او مؤتمرات تحت ضغط الظروف . ولكن سرعان ما يعود الى سياسة العنت والارهاق .

وانتهت الحرب سنة ١٩٤٥ . ودخلت الجمعية في مرحلتهـــا الاخيرة التي استقرّ لها فيها الامر من ناحية ، وبلغت دور المحنة القاصمة من ناحيةٍ اخرى .

وقد اجتمعت في صورة جمعية عمومية (في ٨سبتمبر١٩٤٥ - ٢ شوال ١٣٦٤) وادخلت تعديلاً على نظـامها الاساسي حتى أضحى شاملاً جميع غاياتها ووسائلها بصورة واضحة . ويتفق هذا التعديل الى حد كبير مع المنهـــاج الذي شرحه البنا في خطبته سنة ١٩٣٨ التي القاها في مؤتمرهم الدوري الخامس بمناسبة مرور عشرة اعوام على تأسيس الجماعة. وجاء في هذه الخطبة: «.. وفي الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الاخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزّت كلٌ نفسها روحياً بالايمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسمياً بالتدريب والرياضة ، في هـذا الوقت طالبوني بان أخوض بكم لجج البحار واقتحم عنان السماء وأغزو

بكم كلّ عنيد جبار ، فاني فاعل ان شاء الله ٥٨ »

وذكر في موطن آخر انهم سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها ، وحيث يثقون انهم استكملوا عدة الايمان والوحدة . وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء وصرحاء ، وسينذرون اولاً ، وينتظرون بعد ذلك ، ثم يقدمون في كرامة وعنف ، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح . اما الثورة فلا يفكرون فيها ولا يؤمنون بنفعها ، وان كانوا يصارحون كل حكومة في مصر ان الحال اذا دامت على هذا المنوال ، ولم يفكر أولو الامر في إصلاح عاجل ، فسيؤدي ذلك حتماً الى ثورة ليست من عمل الاخوان ولا من دعوتهم ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الاحوال . وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن ويستفحل امرها بمضيّ الايام إلا نذيراً من هذه النذر ، فليسرع المنقذون بالاعمال ٥٩ .

واوضح كذلك انهم يتجهون في جميع خطواتهم وآمالهم واعمالهم نحو الحكومة الاسلامية بعد مضي فترة تنتشر فيها مبادئهم وتسود ٦٠ ، وانهم يضعون فكرة الخلافة والعمل لاعادتها في رأس منهاجهم ، على ان يسبق ذلك خطوات تمهيدية لا بدّ منها ٦١ .

ويبدو ان هذه الاهداف التي حدّدها البنا بوضوح وجلاء سنة ١٩٣٨ لم تتغيّر ، بل أعيدت بصورة مواد نظام اساسي

سنة ١٩٤٥ . ونصّت المادة الرابعة في ختام الباب الثاني الذي وُضحت فيه الغاية والوسيلة على ما يلي : يؤثر الاخوان دائماً التدرج والتطوّر والعمل المنتج والتعاون مع كل محب للخير والحق ولا يريدون بأحد سوءاً مهما كان دينه او جنسه او وطنه ٦٢ .

ومن البديهي ان تكون هذه الاهداف قد بلغت في هذه المرحلة ، بل وفي المرحلة التي سبقتها ، آذان السلطات المصرية وتدبرتها ووعتها واعتمدت عليها حين اشتبهت بان للاخوان ضلعاً في اية حادثة عنيفة. ومن هنا فتح عليهم باب التشريد والاعتقال والمصادرة منذ سنة ١٩٤٠ الى اغتيال الموشد العام ـ حسن البنا ـ والمصادرة التامة في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨.

وقبل استعراض الحلقات المتسلسلة التي أدت الى هذه النهاية المريرة يحسن سرد اعمالهم الداخلية التي أدت الى توطيد نفوذهم . فقد اقاموا شركات اقتصادية متنوعة في القطر درّت عليهم الارباح ، ومكنت لهم في اوساط العمال . وأصدروا جريدة يومية صدر العدد الاول منها في ٥ مايو سنة ١٩٤٦ = ٣ جمادى الثانية ١٣٦٥ ، وأضحى بذلك صوتهم مسموعاً في مصر والبلاد العربية . وانشأوا الكتائب واقاموا اماكن للتدريب على الاعمال العسكرية ، ونظموا الشعب تنظيما دقيقاً في مصر والاقطار العربية ، ووزعوا الاعمال على الاعضاء ، واوثقوا العهود بصورة بيعة لرئيس الشعبة فالمرشد العام شخصياً ، وقرروا «السمع والطاعة

في المنشط والمكره » مقروناً بالقسم ، ووضعوا المرشد العام موضع الثقة التامة ، وجعلوا له المنصب مدى حياته ليس له ان يتخلى عنه او يعفى منه الا بقرار من الهيئة التأسيسية .

وبالجملة كانت اعمالهم الداخلية تسير وفق خطط محكمة وبنجاح مطرّد حتى بلغوا ذروة القوة والنفوذ من الناحية الروحية والمادية والعسكرية . وبلغ عدد اعضاء الجمعية ما بين ٣٠٠ و ٦٠٠ الف عضو من طبقة العمال ، عدا الطلبة المثقفين حسب رواية جريدة التايمس اللندنية ٦٣ . اما البنا فذكرت الجريدة المذكورة انه قال في العام الماضي انه يتكلم باسم ٥٠٠ الف من الاخوان المسلمين الذين يمثلون مبادىء وآمال ٧٠ مليون عربي و ٣٠٠ مليون مسلم ٦٤ . وذكر وكيلهم في المذكرة التي رفعها الى مجلس الدولة في شهر ابريل سنة ١٩٥٢ ان عدد الاعضاء العاملين في مصر وحدها بلغ سنة ١٩٤٨ حوالي نصف مليون ، والاعضاء المنتسبين والمؤازرين اضعاف هذا العدد ٦٥ . اما عدد شعبهم في مصر وحدها فقيل انه ١٧٠٠ شعبة ٦٦ ، وقيل ٢٠٠٠ ٦٧ شعبة . وذكر وكيلهم في تلك المذكرة انه كان لهم في السودان حوالي ٥٠ شعبة ، عدا شعبهم في معظم البلدان العربية وبعض البلاد الاسلامية ، وعدا الاصدقاء في جميع هذه البلاد وفي اوربا واميركا .

ومن الصعب البت في صحة هذه الارقام ، لفقدان البيّنات القاطعة . وعلى كلٍ ففي هذا الوضع من القوة والنفوذ جابهت

الجمعية مقاومة في غاية العنف من قبل الحكومات المصرية التي وليت الحكم بعد انتهاء الحرب الكبرى الثانية .

وكان النقراشي رئيساً للوزارة في اثناء الهدنة ، وكان سبق له ان اعتقل البنا واضطهد الجماعة ، كما ذكر سابقاً . ومع ذلك فقد زاره البنا ثانية وأهاب به ان يسرع بالعمل في سبيل الحقوق القومية واستكمال استقلال الوادي ووحدته ، والا فليَدْعُ الامة الى الجهاد ويتقدمها في سبيله . وقدم النقراشي مذكرة الى الحكومة البريطانية وجاءه الرد عليها . ولم يرضَ الاخوان عن هذه « المساجلة القلمية » وقاموا بمظاهرة مع الطلاب أدت الى معركة مع الشرطة فاستقالة الوزارة .

وانصرف الاخوان منذ اعلان الهدنة الى إثارة الشعب وايقاظ وعيه بالمؤتمرات العامة تارة وزيارة القرى والريف تارة اخرى ، وبالرسائل والاحاديث والنشرات . وكأنهم بذلك تولوا زمام القيادة السياسية او على الاصح زمام المعارضة الداعية الى الجهاد . وتركزت جهودهم في هذه الناحية طمعاً في ان تنال البلاد استقلالها التام .

وجاءت حكومة اسماعيل صدقي واشتدت المظاهرات ودعا البنا جميع الهيئات لتأليف لجنة قومية توحد القوى وتنظم الصفوف ، ولكنه لم يجد مؤازرة من الاحزاب . وعندئذ رأى ان يجنح الى النصح يقدمه الى صدقي باشا على اساس قطع المفاوضات والالتجاء الى الجهاد السافر . واستمر نشاطهم السياسي

في هذا النهج . واخذوا يحاسبون الحكومة حساباً عسيراً ، ويتهمونها بممالأة الاجانب على حساب مصلحة الوطن ، والتساهل بتأليف الشركات التي تلبس اثواباً مصرية مستعارة ، وبعجزها عن علاج مشكلة العمال العاطلين ، وبترددها في قطع المفاوضات واعلان الجهاد . واغتنموا فرصة تذبذب المفاوضات بين وزارة صدقي والحكومة البريطانية فرفعوا عريضة الى الملك يعلنون فيها اخفاق الوزارة في تحقيق المطالب القومية ، ثم اردفوها بعد ذلك بقليل ببيان من المركز العام الى شعب الاخوان يعلنون فيه ان لا تعاون مع الانجليز اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً حتى يتم الجلاء الناجز السريع من غير قيد ولا شرط ٦٨ . واشتدت حملة جريدتهم على المفاوضات وحكومة صدقي وعلى الانجليز بوجه خاص .

وفي هذه المرحلة العصيبة ذهب البنا (في ٢٧ اكتوبر ١٩٤٦) مع بعثة الاخوان الى اداء فريضة الحج ، وترك الميدان لوكلاء عنه ولاعضاء مكتب الارشاد العام .

وشن عليهم صدقي باشا حملة ، فاعتقل عدداً منهم ، وصادر جريدتهم ، ثم قبض على الوكيل العام . وقابله الاخوان بحملة مثلها . ووقعت انفجارات في القاهرة والاسكندرية اتهمتهم الحكومة بها . فحوصرت دورهم وفتشت . وقاد صدقي باشا حملة واسعة النطاق من النقل والتشريد تناولت خلصاء الموظفين في الدواوين والمصالح والوزارات ، وتوعد بما هو أشد من ذلك وأقسى ٦٩ .

واستقال صدقي باشا ، وتألفت وزارة النقراشي باشا في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ . وفي يوم تأليفها نشر البنا مقالاً دعا فيه الحكومة الجديدة الى اختصار الطريق واحترام ارادة الامة وانهاء المفاوضات وسلوك سبيل الجهاد . ثم تابع نشر مقالاته في الجريدة مسفهاً منهاج الحكومة ومشيراً الى انها حاربت الاخوان واغلقت مدارسهم وسجنت احرارهم ولاحقتهم بالتضييق والارهاق . وكانت هذه بداية « حرب داخلية » بين النقراشي والاخوان ، زادتها قضية فلسطين التي ساهم فيها الاخوان مساهمة فعالة – وكانت بالتالي محك قوتهم ونفوذهم من جهة ومصدر عزة لهم في مصر والعالم العربي – حدة وعنفاً . اذ قام البنا في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٧ على رأس مظاهرة صاخبة خرجت من الازهر وتولى هو قيادتها بواسطة مكبر للصوت في سيارة٧٠. وفي ٦ مايو ١٩٤٨ ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٦٧ اجتمعت الهيئة التأسيسية للاخوان برئاسة البنا واتخذت قرارات خطيرة منهـا مطالبة الحكومة – وسائر الحكومات العربية – باعلان الجهاد المقدس ضد اليهود، واتخاذ جميع الوسائل الكفيلة بانقاذ فلسطين . وفيما يتعلق بالقضية المصرية انهاء المشاورات والمحادثات، واعلان «معركة الصحف» حتى يتحدد موقف الدولة التي ينص دستورها على ان دينهـا الرسمي الاسلام .. وحتى يظهر للناس كافة ان لا علاج لما استشرى من ادواء الفقر والجهل والمرض والتحلل الخلقي والوطني الا بالرجوع الى احكام الشريعة ٧١ . وفي ١٥ ايار ١٩٤٨ بدأت معركة الجيوش العربية لانقاذ فلسطين واشترك فيهـا الاخوان تحت

اشراف الجامعة العربية ٧٢ . واتاح لهم هـذا الاشتراك التسلح والتمرن على القتال ، كما كشف عن مـــدى استعدادهم الحربي ومدى نفوذهم . وخشيت حكومة النقراشي سطوتهم ، فاغتنمت فرصة وقوع حوادث عنف في داخل القطر واتهمتهم بان لهم ضلعاً فيها وانهم ينوون احداث انقلاب ، فاصدرت امراً عسكرياً مؤرخاً في ٨ ديسمبر ١٩٤٨ (رقم ٦٣) « بحل جماعة الاخوان المسلمين وشعبها اينما وجدت وبغلق الامكنة المخصصة لنشاطهـــا وبضبط جميع الاوراق والوثائق والمجلات والمطبوعات والمبالغ والاموال وكافة الاشياء المملوكة للجمعية » وتبـع هذا الامر صـدور اوامر عسكرية اخرى بتصفية شركاتهم « والعمل على استخلاص اموال الجمعية لتخصيصها في الوجوه العـــامة التي يقررها وزير الشؤون الاجتماعية ٧٣ » . واعتقلت الحكومة عدداً كبيراً منهم ٧٤ . وعلل البنا هذا الاجراء الصارم بـ (١) تدخل بريطانيا التي اعتبرتهم قوة وطنيـة متطرفة وعزت اليهم تعطيل الاتفاق بينها وبين مصر و (٢) التمهيد لاجراء انتخـابات يفوز فيها السعديون ـ حزب النقراشي ـ بتشويه القوة الشعبية الـتي يستند اليها الاخوان و (٣) رغبة الحكومات العربيـــة في انهاء قضية فلسطين و (٤) ضغط اجنبي دولي ٧٥ .

وحاول البنا ان يسدّ هذه الثغرة ويسوي الموقف . ولكن مقتل النقراشي بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ قضى على هذه المحاولة ، اذ اتهم الاخوان به ، وزاد موقفهم حراجة .

وولي الحكم بعد ذلك ابراهيم عبد الهادي باشا ، صديق النقراشي ورئيس حزبه بعده ، فبطش بالجمعية وشرّد اعضاءها وزجّ عدداً كبيراً منهم في المعتقلات وآذاهم في اموالهم وانفسهم وأسرهم . وشد ازره في هذا العمل ما أُشيع من سوء علاقة الجمعية بالعرش وان لها اغراضاً انقلابية٧٦ .

واثرت هذه الاجراءات الصارمة في البنا الذي رأى البيت الذي بناه بيده في عشرين عاماً قد انهار بين ليلة وضحاها . ويبدو انه ندم على اشتراك الجمعية في السياسة . وبعد ان كانت الجمعية قد قررت ان يرشح الاكفاء انفسهم للنيابة تمهيداً للاشتراك في سياسة الدولة، وبعد ان بسط اهداف الجمعية السياسية بصراحة ووضوح ، عاد بعد مقتل النقراشي فالغى هذين الاتجاهين — ان صح ما نقل على لسانه — وقال : « رأيي الذي كونته ان تأخذ هيئتنا على عاتقها النهوض بحالة البلاد من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية — مهملاً الناحية السياسية — وان نتيح لاعضاء الجماعة البارزين ان يتقدموا للانتخابات بواسطة الاحزاب التي يرون ان ينضموا اليها ، على ان لا يقتصر هذا الانضمام على حزب دون حزب ، وان يتولوا نشر دعوة الجمعية داخل هذه الاحزاب.. واني اعتقد انه لن يمر وقت الا وتكون هذه الاحزاب قد آمنت بما ننادي به »٧٧ .

ولكن هذا التراجع لم يُغنِ شيئاً. ففي مساء ١٢ شباط ١٩٤٩ اغتيل البنا وهو في السيارة امام دار جمعية الشبان المسلمين

التي كان يتردد عليها بعد حلّ جمعيته . وبمقتله الذي عزي الى حزب السعديين انهار صاحب الدار بعد انهيار الدار نفسها ، من وجهة النظر الرسمية .

وتتبعت الحكومة الاخوان وجرت لهم محاكمات طويلة واصبحوا « غير شرعيين » . ولكن الفروع التي أُسست في البلاد العربية ظلت توالي نشاطها ، ولا سيما في سوريا التي تبنى فرعها الحركة بزعامة الشيخ مصطفى السباعي .

واستمرت وزارة عبد الهادي في الحكم نحواً من سبعة اشهر بلغت محنة الاخوان في اثنائها الذروة ، حتى ظن بعض المراقبين انه لن تقوم لهم قائمة . ولكن الواقع انها كانت كالنار صهرتهم وصفت معدنهم ، فخرج منهم عدد وبقي على الدعوة عدد زادته المحنة صلابة وتماسكاً . وقيل ان الاخوان انتخبوا سراً مرشداً جديداً ، وان حركتهم انتقلت من الجهر الى السر .

وفي ٢٥ يوليو ٤٩ استقالت وزارة عبدالهادي وجاءت وزارة حسين سري الائتلافية ثم المحايدة التي اشرفت على الانتخابات . ونال حزب الوفد اغلبية ساحقة كان لتأييد الاخوان سهم فيها . وتولى النحاس الحكم في ١٢ يناير ١٩٥٠ . واخذ الكابوس يرتفع عنهم رويداً رويداً . واخذت اقلامهم تتحرك وصحفهم تعود . واعلنوا انتخاب حسن اسماعيل الهضيبي بك – وهو مستشار سابق – مرشداً عاماً . وفي ١٥ ديسمبر ١٩٥١ افرجت الحكومة عن بعض ممتلكاتهم منها دار المركز العام ودار الصحافة

ودار الطباعة وبعض دور فروعهم[78] .

ويمكن تسمية هذا الدور دور جمع الفلول. وتفقّد الصفوف وملء المراكز الشاغرة استعداداً لوثبة جديدة .

ويلاحظ فيه ثلاثـة أمور . الاول انهم استرجعوا مكانتهم السابقة ، وأبرزوا وجودهم عـــلى مسرح الحوادث قوة يحسب حسابها ويخطب ودّها . ففي شهر اكتوبر ١٩٥١ عندما اشتدت الازمة بين مصر وبريطانيا اشتركت كتائبهم في حركة التحرير اشتراكاً بارزاً . وذكر ان لهم مدرسة للتدريب على القتال في الزقازيق . واعلن وزير الداخلية ان الحكومة لن تمنعهم من الاشتغال بالسياسة ، وانها لن تتعرض لهم ما داموا لا يعمدون الى انتهاك حرمة القانون ٧٩ . والامر الثاني انهم وقفوا من السياسة الداخلية موقف المحترس ، فأعلنوا في اثناء وزارة احمد نجيب الهلالي باشا التي جاءت بعد وزارة علي ماهر باشا القصيرة الاجل ، انهم لن يدخلوا الانتخابات . ومما يلاحظ ان علي ماهر والهلالي شرعا سنة جديدة . فقد درج الاول على استشارة المرشد العـام والاجتماع به مع رؤساء الاحزاب السياسية . وفي ذلك اعتراف بقوتهم في الميدان السياسي. واستمرّ الثاني في الاستشارة. فهل يُفهم من موقف الاحتراس في السياسة الداخلية ان الهضيبي اراد ان يبدأ حيث انتهى سلفه البنا؟ وهل يفهم منه ان اندفاعهم السريع في الميدان السياسي — الذي جلب من المحن ما جلب — قد اعيد النظر فيه ؟ والامر الثالث ان حركتهم تتجه الآن

نحو تبسيط الدعوة وتفصيل مجملها وتوطيد أركانها . لقد كان البنا يدعو الى العودة الى القرآن والحديث . وكان البعض يرى في هذا الاجمال غموضاً . فأقبل الآن علماؤهم يشرحون باسهاب في كتب كبيرة ومقالات وافية صلاح المبادىء الاسلامية للحياة في مختلف نواحيها. من ذلك: الاسلام والاوضاع السياسية الاسلام والاوضاع القانونية ، الاسلام والاوضاع المالية ، الاسلام والاوضاع الاقتصادية ، الاسلام والمناهج الاشتراكية ، الاسلام والاستبداد السياسي٨٠ ، وما الى ذلك، مما يشير الى انهم دخلوا في طورٍ جديد . ويدعم هذا الطور مجلة «المسلمون» ٨١ التي يتولى أصدارها احدُ دعاتهم البارزين ، ويكتب فيها كبار مفكريهم . لقد غلبت « الشعبية » على الحركة في ادوارها السابقة ، ولذلك فإن هذا الاتجاه الجديد ستكون له آثار لا سيما في الطبقات المتعلمة .

واضح من تاريخ هذه الدعوة انها مدينة الى شخصية البنا اكثر من أي شخص آخر ، وان البنا هو الذي سهر عليها مدى عشرين عاماً ، ووجهها في الطريق الذي سلكته ، وأضفى عليها من روحه وشخصيته حتى أضحت اكبر حركة دينية في تاريخ الاسلام الحديث . وهذا ما يُحتّم ان يُعقد الفصل الثالث على شخصيته من جميع جوانبها .

الفصل الثالث

حسن البنا — شخصيته

يجمع الذين كتبوا او تحدثوا عن البنا ، مادحين او قادحين ، انه كان ذا شخصية قوية . وتاريخ الدعوة وتطورها يؤيدان ذلك . فقد امتزجت شخصيته بشخصية الجماعة في مختلف احوالها واطوارها ٨٢ . واذا كانت الحركة متميزة عن جميع الحركات السابقة في تاريخ الاسلام ، فلأن البنا نفسه متميز قطعاً عن جميع زعماء هذه الحركات . لقد سبق البنا في العصر الحديث زعماء دينيون كجمال الدين الافغاني ومحمد عبده تركوا دوياً ما يزال مسموعاً الى اليوم . ولكن البنا كان من طراز آخر يختلف عنهم من جملة وجوه . ولعل ابرز هذه الوجوه ان اولئك ذهبوا ولم يخلفوا وراءهم دعوة واضحة المعالم بيّنة المنهج يعتنقها اتباع مخلصون . وربما كان اصدق نعت يصح عليه انه كان « داعية » ، وكان من سبقه رجال دين او مصلحين او مجتهدين ذوي آراء ومصنفات فحسب ٨٣ .

ووجه آخر بارز ان البنا لم يشتغل في الدراسات الدينية شارحاً او مفسراً او مدافعاً على الطريقة الازهرية . ولم يكن

هو رجل دين بالمعنى الصحيح . وثقافته لم تعده لذلك . وقد قصد في كتاباته – من كتب ومقالات – ان يتجنب الجدل الديني الذي يخوض غماره رجال الدين عادة ، اذ كان همّه الاول جمع الفرق الاسلامية والتأليف بين قلوبها وتوجيهها نحو الاصول التي قام عليهـــا الاسلام ، اي القرآن وما صح من الحديث . وليس فيما كتبه حملة على أية فرقة من الفرق باستثناء « البهائية » التي اعتبرهـــا فرقة خارجة على الاسلام ودعا الحكومة الى مطاردتها ٨٤ . ولكنه ، مع ذلك ، فهم الاسلام فهماً خاصاً . فهم « ان تعاليمه واحكامه شاملة تنتظم شؤون الناس في الدنيا والآخرة ، وان الذين يظنون ان هذه التعاليم انما تتناول الناحية الروحية او العبادية ، دون غيرها من النواحي ، مخطئون في هذا الظن . فالاسلام : عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية ومصحف وسيف ٨٥ . وبنى فهمه على أسانيد من القرآن والحديث والتاريخ .

وكما انه نحا نحواً جديداً في فهمه ، فقد نحا نحواً جديداً في تأليف جماعته ، وإقامة أسسها ، وتنظيمهـــا ، وتوجيهها ، حتى اضحت جماعة ذات طابع خاص لا مثيل له في الحركات الاسلامية السابقة . فأثر البنا اذن واضح جليّ في هذه الحركة منذ نشأتها الى أطوارها الاخيرة . وفهم شخصية البنا ضروريٌ لفهم طبيعة الدعوة .

ولد البنا سنة ١٩٠٦ ، ونشأ في جوّ اسلامي خالص، وربته

البيئة الاسلاميــــة واحتضنته حتى ليقول بحق : « ابي الاسلام لا ابا لي سواه ٨٦ » . وكان والده – الشيخ احمد عبد الرحمن البنا المعروف بالساعاتي – معروفاً بالوقار واليسار ومن بيئـة علم واستمساك بالدين والقرآن ٨٧ ، ومن مواليد ناحيـة شمشيرة مركز فوه الغربية . درس الوالد الفقه والتوحيد والنحو وحفظ القرآن وجوّده . واشتغل بصناعة اصلاح الساعات . وكان لهذه الصناعة اثر كبير فيه وفي ابنه من بعده لما تقتضيه من دقـة ومهارة وضبط . وكان الوالد يدرس نهاراً ويعمل ليلاً . واتصل بكثير من العلماء . وحين أنشأ اهل قريته مسجداً كلفوه بالقـاء خطبة في اول جمعة فخطب ونال رضى القوم واعجابهم . وكانت عنده مكتبة في مختلف العلوم والفنون الدينيـــة واشتغـل اماماً وخطيباً لمسجد البلدة . وصرف جل اوقـات فراغه من الصناعة يقرأ حتى اتم الكتب الستة وموطأ مالك ومسند الشافعي وغيرها . والف كتباً . منها « بدائع المسند في جمـع وترتيب مسند الشافعي والسنن » وعلق عليه شرحاً . ورتب جزءاً من مسانيد الائمة الاربعة ، ورتب مسند احمد وسماه « الفتح الرباني في ترتيب مسند الامام احمد الشيباني » وشرحـه ، باسم « بلوغ الاماني من اسرار الفتح الرباني ٨٨ »

فوالده إذن عالم مختص بدراسة الحديث وترتيبه ، وعامـل حاذق في اصلاح الساعات .

اما حسن البنا نفسه فقـد وجهه ابوه من صغره الى العلوم

الدينية وأحفظه القرآن بنفسه . وأدخله مدرسة اعدادية انشأتها الحكومة على نظـــام المدارس الابتدائية الا ان اللغة الاجنبية ليست ضمن منهاجها . وظل الوالد يعنى بثقافته الدينية ، والقى اليه مكتبة تضم كتباً في الدين والفقه والحديث والنحو، وأباح له ما يشاء من كتبه . وأولع من صغره بقراءة القصص الشعبية فكان يتأثر بها ويمثل دور القتال ، كما اولع بتأليف الجمعيـات ، وهو ما يزال طالباً . واتجه مذ الصغر اتجاهاً دينياً ، يتقشف مدة ، ويدعو الى الاخشيشان والزهد ، ويشهد حلقات الذكر، ويكثر الرحلات والرياضة مسافات طويلة لزيارة المساجد . وفي سن الرابعة عشرة ــ عام ١٩٢٠ ــ التحق بمدرسة المعلمين الاولية في دمنهور . ولازمه التدين في هذا الدور فكان يصوم شهري رجب وشعبان . وبعد اجتياز الكفاءة ، عين معلماً ولكنه آثر إتمام دراسته فالتحق بدار العلوم وتخرج فيها سنة ١٩٢٧. وكانت دار العلوم يومئذ أشبه بأزهر صغير تُعنى بالعلوم الدينية واللغوية عناية الازهر ولكن باسلوب حديث . وكان في هذه الفترة دائم التلاوة للقرآن في الفصل والمدرسة والمنزل والشارع .

فالبنا اذن أُعد ليكون معلماً ، وقضى في سبيل هذا الاعداد سبع سنوات من عمره . والتعليم رسالة وتوجيه . « والداعية » معلم . يضاف الى ذلك ان البنا ُوجه بفضل بيئته وتربيته ومزاجه وجهة دينية ــ اصلاحية . ولكن هذه الوجهة لم تستغرق جميع تفكيره . ولو كان ازهرياً قحاً ــ كمحمد عبده مثلا ــ لكان

من المحتمل ان يحدث ذلك . فدرسه العلوم الحديثة من تربية وعلم نفس وفلسفة ومنطق وسّع افقه ووضع في نطاق تفكيره نواحي غير الدين ، فرأى السياسة والاجتماع والرياضة مما لا يكاد يدخل في نطاق تفكير رجال الدين الاقحاح . اما الاهتمام بالصناعة والشركات فربما مردّه الاولي الى صناعة اصلاح الساعات التي اتقنها الوالد واولع بها الفتى ومارسها كذلك ٨٩ . على انه قد لحظ منذ بداية الدعوة استئثار الاجانب باقتصاديات البلاد – من تجارة وصناعة – وادرك علاقة السياسة بالاقتصاد ووجوب شمولها في منهجه .

ولكن جانباً آخر من شخصية البنا بارز في جميع ادوار حياته هو الجانب الروحي – الصوفي المشرب بالعاطفة العميقة . ولا ريب في انه قد اجتمع للبنا امران ، الاستعداد الفطري للتصوف ، والظروف المقوية لهذا الاستعداد . رأى وهو في الثانية عشرة من عمره « الاخوان الحصافية » يذكرون الله عقب صلاة العشاء ، « فاجتذبته حلقة الذكر باصواتها المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة وسماحة هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله فواظب عليها ، وتوطدت الصلات بينه وبين شباب هؤلاء الاخوان الحصافية .. ومنذ ذلك الحين اخذ اسم الشيخ الحصافي يتردد في اذنه فيكون له اجمل وقع في اعماق القلب واخذ الشوق والحنين الى رؤية

الشيخ والجلوس اليه والاخذ عنه يتجدد حيناً بعد حين ٩٠ » .
وقرأ في هذه الاثناء كتاب « المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي » وهو شيخ الطريقة الاول فأعجب بـه . وكان اعظم ما اخذ بمجامع قلبـه من سيرته شدته في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه لا يخشى في ذلك لومة لائم . اما كرامات الشيخ الحسية فلم تقع في نفسه موقع هذا الاتجاه العملي الخيّر .

واستولى عليه في هذه السن المبكرة احساس روحاني عميق تغلغل الى عقله الباطن وصوّر له رؤى ٩١ تدل على مبلغ تعلقه بشيخ الطريقة .

واتصل في المحمودية بتاجر روحاني كان يجمع الفتيان ويذهب بهم الى المقبرة لزيارة القبور حيث يقصّ عليهم حكايات الصالحين واحوالهم مما يرقق القلوب ويسيل العبرات ، ثم يعرض عليهم القبور المفتوحة ويذكرهم بمصيرهم اليها. وقد يأمر بعضهم بالنزول فيها والاضطجاع لحظة يتذكر فيها مصيره اليهـا وظلمة القبر ووحشته ويبكي فيبكي معه الفتيان ، ثم يجددون التوبـة في خشوع وحرارة٩٢ .

وحين التحق بمدرسة المعلمين الاولية بدمنهور — وهو في الرابعة عشرة من عمره — واظب على زيارة ضريح شيخ الطريقة الحصافية كل يوم تقريباً ، وعلى الحضرة في مسجد التوبة في كل ليلة مع الاخوان الحصافية . ورغب في اخذ الطريقة، حتى ينتقل من مرتبة المحب الى مرتبة التابع المبايع ، فاخذها عن الشيخ

نفسه في رمضان ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م واذن له بأدوارها ووظائفها .

وكما تميز شيخ الطريقة الاول بالنزعة العملية تميّز خلفه بها كذلك . فلم يكن يسمح للمتعلمين من اتباعه ان يكثروا الجدل في الخلافيات او المتشبهات من الامور او يرددوا كلام الملاحدة او الزنادقة او المبشرين مثلاً امام العامة ، ويقول لهم اجعلوا هذا في مجالسكم الخاصة تتدارسونه فيما بينكم . اما هؤلاء فتحدثوا امامهم بالمعاني المؤثرة العملية التي توجههم الى طاعة الله . وتأثر البنا بهذا الاتجاه كثيراً واعتبره من خير الاساليب الحكيمة في التربية الروحية واقتبسه بعد في دعوته . وربما يصح القول انه اخذ ناحية من نواحي التصوف المتعلقة « بالتربية والسلوك » وذهب بها الى ابعد مما ذهب اليه المتصوفة في زمانه ، وبذلك اضحى فرقة صوفية خاصة . وعلى اساس تلك الناحية العملية في التربية أسس وهو طالب في المحمودية جمعية اصلاحية هي « الجمعية الحصافية الخيرية » تقصد الى نشر الدعوة الى الاخلاق الفاضلة ومقاوَمَة المنكرات والمحرمات من ناحية ، والى مقاومة التبشير من ناحية اخرى . وعلى اساس تلك الناحية العملية ايضاً اختلف مع شيخ الطريقة في امور تتصل بالاخوان المسلمين٩٣ . وكتب فصلاً في مذكراته في التصوف معرّضاً بتجاوز الحدود وخلط الدين بما ليس منه مما ادّى الى فتح ثغرات واسعة لكل زنديق او ملحد او فاسد الرأي والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم

التصوف والدعوة الى الزهد والتقشف ٩٤ وقـــد ذهب بعض الاخوان الى ان الدعوة تهرب هرباً شديداً من مظاهر التصوف والدروشة الجامدة التي كانت وبالاً على المسلمين والى ان اول مظاهر دعوة الاخوان انها دعوة الافندية٩٥ . وهذا تجاوز للحقيقة . فالبنا نفسه ظلّ صوفياً ، واستعان بالصوفية كثيراً ، ولم يشأ هو ان يخاصمها . ولكن نقطة الخلاف انه اعتبرها وسيلة لا غاية ، وتربية لادروشة ، ووَدّ لو برئت من الدخلاء والخرافات والانحرافات المخالفة للشرع٩٦ .

وظل البنا مستغرقاً في عاطفة التصوف والعبادة طيلة اقامته في دمنهور ومدرسة المعلمين، حتى انه كان يتزيا بزي خاص قريب من زيهم (عمامة ذات عذبة ونعل كنعل الاحرام في الحج ورداء ابيض فوق الجلباب٩٧) . وفي فترة دراسته في دار العلوم ــ وقد اربت سنه وقتئذ على السادسة عشرة بشهور ــ داوم على الحضرة عقب صلاة الجمعة من كل اسبوع في منزل الشيخ الحصافي ثم في كثير من ليالي الاسبوع في منزل الخليفة الاول للشيخ الحصافي . ولم تثنِهِ حياتُه العلمية عن الرياضة الروحية . وفي بدء حركته في الاسماعيلية ظل يعاشر اصحاب الطرق ويعدُّ نفسه واحداً منهم ويتأدب معهم بأدب الطريقــة ويخاطبهم بلسانها٩٨ .

ولكن تلك النزعة العملية التي رأيناها قبلًا كانت متمكنة منه . وكانت اختباراته الشخصية مع اصحاب الطرق تزيده تعلقاً

بها . ولذا لم يكن متحمساً لنشر دعوته على انها طريق خاص - طريق صوفي خاص - لاسباب اهمهـا انه لا يبغي مخاصمة اصحـاب الطرق الاخرى - وهي كثيرة - ولا يريد حصر دعوته في نفرٍ من المسلمين ولا في ناحية من نواحي الاصلاح ، بل ارادها « ان تكون دعوة عامة قوامها العلـم والتربية والجهاد ٩٩ » .

وهكذا يتبين ان البنا كان صوفياً وظل صوفياً ، ولكنها صوفيـة خاصة تهدف الى الاصلاح عن طريق الدين ، او هي ناحية واحدة من نواحي الصوفية تعلق بها وترك الباقي١٠٠ .

ومما اثر في تكوين شخصيته مقروؤه ، او بالاحرى ثقـافته العامة التي حصّلها في مختلف ادوار حياته . فما نوع هذه الثقافة، وهل انسجمت مع مزاجه وتربيتـه ، والى اي حدٍّ أثرت في حركته جملة ؟

لقد كان البنا شغوفاً بالمطالعة خارج حدود المناهج المدرسية الى حد كبير ، وكان ذا ذاكرة قوية تستوعب من المتون ومن المنظوم والمنثور حظاً كبيراً جداً . وقد ذكر انه تقدم الى امتحان دار العلوم بمجموعة من المحفوظات بلغت ثمانية عشرة الف بيت ومثلها من المنثور ١٠١ ، عـدا المتون في الاعراب والنحو والمصطلح والتوحيد والميراث والمنطق والفقه على مذاهب ابي حنيفة والشافعي ومالك ، متأثراً بذلك بعبـارة سمعها من والده هي ، « من حفظ المتون حاز الفنون » ، مما حمله على

محاولة حفظ الشاطبية في القراءات١٠٢ .

وكانت مطالعته متواصلة في مكتبة والده ومكتبة معلمه الاول الشيخ محمد زهران . وتشمل ثلاثة موضوعات رئيسية : الاول القرآن والحديث وعلوم الدين جملة . والثاني : التصوف والسيرة النبوية . والثالث : الادب والقصص الشعبي . وكان في اثناء دراسته في دار العلوم قد حصل على جنيه مكافأة شهرية خصصه لشراء الكتب غير المدرسية .

وكانت اشد هذه القراءات تأثيراً في نفسه كتب التصوف . فقد كان يكررها حتى تحدث له رؤى عجيبة ١٠٣ ، وترهف حسه وتغور احاسيسه الروحية . ومن ذلك الوظيفة والاوراد التي كان يداوم عليها مدداً طويلة متواصلة. ويلي ذلك في التأثير في نفسه القصص الحماسية التي « كلها حماسة وشجاعة وذود عن الوطن واستمساك بالدين وجهاد في سبيل الله و كفاح لنيل العلى والمجد ١٠٤ » . ومما أثر في نفسه تأثيراً عميقاً كتب السيرة ، كالانوار المحمدية للنبهاني ، ومختصر المواهب اللدنية للقسطلاني ، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري ، وهي في الواقع اقرب الى قصص الحماسة والبطولة منها الى التاريخ الموضوعي .

اما خارج هذين الموضوعين الرئيسيين ، التصوف والقصص الحماسي الديني والقومي ، فقد تأثر بما كتبه السيد رشيد رضا وفريد وجدي ومحب الدين الخطيب واضرابهم من السلفيين اصحاب الاقلام الصارمة .

واصطرعت في صدر البنا في شبابه نزعةٌ جامحة الى القراءة والعلم تضادها نزعةٌ صوفية تقتصر من العلم على ما يحتاج اليه في اداء الفرائض و كسب العيش، ثم الانصراف الى العمل. وبتأثير هذا الاصطراع حرق بواكير شعره واهمل مؤلفاتٍ له في الفقه والادب ، وكاد ان ينصرف عن دار العلوم . وظلّ هذا الاصطراع في أعماق البنا مدة طويلة حتى يصح القول انه كانت له شخصيتان متلازمتان متصارعتان ، اراد ان يوفق بينهما بقوله عن نفسه انه كان مريداً حراً في تفكيره ، ومخلصاً كل الاخلاص في تقدير العبادة والذكر وادب السلوك في آن واحد ١٠٥ .

فالبنا إذن تثقف ثقافة اسلامية عربية قحّة ، واختار في مقروئه ما يلائم الاتجاه الذي طابق مزاجه واشبع هواه .

ومن البديهي ان يقرأ – ولا سيما في فترة الحرب الثانية – موضوعات كثيرة منوعة في السياسة والادب والتاريخ . ولكن البنا كان في هذه الفترة قد كوّن مزاجه الخاص وحدّد الاتجاهات التي رغب في سلوكها . وفي ذلك يقول احد اتباعه « ... يصول الناس ويجولون ويتكلم المتكلمون ويتعمق المتفلسفون ويطير ذوو الثقافات كل مطار ، وحسن البنا لا يؤمن بشيء من هذا مهما اكثر فيه العلماء وخاض فيه المختصون، واذا به يلقي عليك الآية في القرآن فيحسم الامر ويفصل فيه .. يجهد الناس ويتعبون ويذهبون المذاهب في البحث من البحوث وحسن البنا اغناه قرآنه عن كل هذا . يقرأ الكتاب وفيه

احدث النظريات العصرية سواء في القانون او التربية والاخلاق او الاقتصاد او السياسة والتشريع او الاجتماع او في اي فن من الفنون ، فاذا فرغ منه فاجاك بالآية او الايات تتضمن كل ما اعجبك أو استحوذ عليك من نظريات وردت في هذا الكتاب وما جفّ معينُه يوماً ولا وقف اطلاعه عن اسعافه بما يريد في اية ناحية في هذا السبيل ... يطوف المصلحون هنا وهناك ويتطفلون على هذه الثقافة او تلك ويتكالبون على ما وضعه الغربيون في كثير من الشؤون الضرورية اللازمة للحياة المتصلة بشؤون الناس والمجتمع ولا يخطر لهم ان الاسلام قد تعرّض لهذه النواحي أو طرقها بخير مما وصلت اليه العقول في العصر الحديث ، الا اذا استمعوا الى حسن البنا والا اذا رأوه يطالع كتاباً من هذه الكتب ثم يعقب عليه بما يسفه هذا المجهود الضخم الذي بذل فيه ، بالآية الواحدة من القرآن يفيض في شرحها والتعليق عليها والابانة عن مقاصدها .. وقد يكون من حفاظ القرآن فيخال انه لم يسمع هذه الآية او الايات من قبل١٠٦ ».

وهكذا اثرت ثقافة البنا – ولا سيما دراسة القرآن والحديث والسيرة – في حركته ووجهته وجهة اسلامية خالصة وملأته حماسة للعقيدة التي اعتنقها ، وقوّت فيه روح البطولة والصبر على الشدائد ، ولقّنته التذرع بكل وسيلة لتحقيق اهدافه .

ومن ابرز مظاهر شخصيته ذكاؤه الذي يبدو اولاً في تفوقه على اقرانه في المدارس وثانياً في قوة ذاكرته وثالثاً في براعته

في معالجة المشاكل والتكيّف حسب مقتضى الاحوال ورابعاً في سيطرته على اتباعه مع اختلافهم اختلافاً شديداً في البيئة والثقافة والمكانة الاجتماعية. اما تفوقه فبادٍ في تجليته في المدارس وكسبه قصب السبق فيها جميعاً من الكتّاب الى مدرسة دار المعلمين الاولية التي ختم فيها حياته المدرسية . وقد دخل مدرسة المعلمين الاولية وهو دون السن القانونية بنحو نصف سنة . وفي امتحان كفاءة التعليم كان الاول في مدرسته والخامس في القطر المصري كله ، وفي الفحص النهائي في دار العلوم كان الاول في فرقته ١٠٧ .

واما قوة ذاكرته فظاهرة في سعة محفوظه . وقد ذكر احد اصحابه انه اعطي ذاكرة عجيبة لا تنسى اسماً ولا وجهاً ولا مكاناً ولو طالت السنون . وانه يعرف أكبر مجموعة من الناس ويعرف عنها كل ما يحيط بها معرفة تامة. ويعرف القطر ، مدنه وقراه . ويعرف كل بلد ووضعها ونظم اهلها وتقاليدهم وعاداتهم ومذاهبهم الدينية وكل ما يتعلق بكيانهم الروحي والاجتماعي والعقلي ١٠٨ .

واما براعته في معالجة المشاكل فتبدو في مواقف كثيرة . ومما يذكر على سبيل المثال ان ازهرياً اراد ان ينفر منه المستمعين باثارة جدل عقيم حول جزئيات سخيفة في بدء حركته في الاسماعيلية ، فسأله عن اسم ابراهيم الخليل في معرض قصته فقال له البنا ان اسمه تارخ وان آزر عمه والقرآن يقول ان آزر

ابوه ولا مانع من ان يكون عمه لاستخدام ذلك في لغة العرب، وقال بعض المفسرين ان آزر اسم للصنم لا لابيه ولا لعمه . ونطق بكلمة تارخ بكسر الراء . فردّ عليه الازهري ان الكلمة بضم الراء لا بكسرها احراجاً له...وحين اراد الازهري ان ينحو هذا النحو في كل درس تذرع بوسيلة تدل على دهائه ، فدعاه الى منزله واكرمه وقدم له كتابين في الفقه والتصوف هدية، وطمأنه على انه مستعد لمهاداته بما شاء من الكتب. فطابت نفس الازهري وواظب على حضور الدروس وكف عن اللجاج ١٠٩ . ولعل اشد المواقف امتحاناً لذكائه ودهائه كان عندما صادر ابراهيم عبد الهادي اموال الجماعة وطاردها بعنف واتهمها بتبييت الانقلاب وعدم الولاء للعرش . فما كان من البنا الا ان صرح بان الهيئة ستأخذ بالنهوض بحالة البلاد من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية مهملاً الناحية السياسية التي توغل فيها ايما توغل ابقاء على الجماعة في وجه العنف ١١٠ . وهو موقف لا بد من ان يكون قد حزّ في نفسه وآلمه اشد الالم بعد ان كان يرجو ان يجعل من الاخوان « جيش الانقاذ وكتائب الجهاد ١١١ » ، وبعد ان صرح مراراً ان السياسة جزء لا يتجزأ من منهجهم . وسمعت رواية شفهية من احد المطلعين على الحركة في القاهرة ان البنا كان يبسط نفسه لكل انسان ولكل صاحب عقيدة سياسية بغية اقناعه ان حركته تشمل كل حركة في سبيل تقوية الجماعة . وكان له من الذكاء والدهاء ما يمكنه من استرضاء زائريه جميعاً على اختلاف اهوائهم .

واما سيطرته على اتباعه فقد كانت سيطرة تامة شاملة تكاد تدنو من السحر . فقد كان له مع كل انسان حديث خاص واسلوب خاص ومنطق خاص . وقد كشفت الحوادث بعدُ ان اتباعه واشياعه لم يكونوا من طبقة العمال فحسب ، وان كان هؤلاء يكونون الجمهرة ، بل كانوا من طلاب الجامعات ورجال الدين ورجال القضاء ورجال الدولة على السواء . وسيطرة البنا على هذه الجماعات المتباينة وكسب الانصار كل يوم في مصر وخارجها وسرعة نمو حركته مع الرسوخ والاستقرار كل اولئك دليل على ذكائه وسعة حيلته .

ولعل أَشقّ عمل اضطلع به البنا واقتضاه تركيز جميع مواهبه – وكشف بالتالي عن ذكائه – هو محاولته في جميع خطبه ومقالاته ان يثبت ان الاسلام عُني بجميع ما عُنيت به الحركات السياسية المعاصرة كالنازية والشيوعية مع زيادة دائماً مثل الامل والعزة والقومية والقوة والخلق القويم وما الى ذلك ، ومحاولة اثباته ان الحضارة الاسلامية جمعت محاسن جميع الحضارات وفاقت عليها وبرئت من نواقصها ١١٢ . وهذا العمل من ابرز خصائص الحركة ، ومن ابرز ما تتصف به الجماعة وقائدها ،وهو ولا شك أثر من آثار ذكاء البنا ومقدرته .

واوتي البنا علاوة على ذلك مقدرة بيانية فائقة متحدثاً وكاتباً وخطيباً . والمواهب والملكات الكامنة في الانسان تظل مدفونة في نفسه ما لم تقترن بالبيان القوي . وقد أشار الذين

ترجموا للبنا او كتبوا عنه الى هذه الموهبة البيانيـة . فقال احمد انور الجندي في كتابه (قائد الدعوة او حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة): انه كاتب من ابرع الكتاب ومن اقواهم قدرة على تصوير ما بنفسه ، ومن ابلغهم عبـارة ، ومن اشدهم تأثيراً في النفوس بالالفاظ الكريمة والمعاني المركزة . يتكلم فيفهمه الكبير والصغير ، العـالي الثقافة والأمي والجاهل ... في صوته عمق وللسانه سحر ، واذا تكلم تلاعب بالالبـاب . وقد امدّه الادب العربي على شتى أصوله بفيض هائل من الآيات والاحاديث وامجاد الجهاد الاسلامي يطلقها من فمه في انسب وقت وانسب مكان فيكون لها فعل القذائف في معارضيه . وقدر المؤلف عدد الخطب التي القاها في سبعة عشر عاماً بما لا يقل عن ثلاثين الف خطبة ، وعدد الجلسات التي عقدها بمثل ذلك ايضاً ١١٣ . وقال احمد حسن الحجاجي في كتابه (روح وريحان) « إنه كاتب مجيد لا يشق له غبار .. بلغ من جزالة لفظـه وتسلسل فكرته وعذوبة اسلوبه وسهولة مأخذه مستوى كبار الكتاب البارزين واعلام رجال الادب وحملة القلم .. يكتب المذكرات والمقالات والنشرات والرسائل.. الخ ، لا يعجزه موضوع عن التنـاول ، يعالج المسائل الاجتماعية والثقافية والفقهية والقانونية والتشريعية ، كما يتناول مسائل الدين من ناحيتها الفقهية الخالصة، شأنه في الخطابة حين يتناول اي موضوع في اية ناحيـــة من النواحي بالشرح او التعليق من غير اقتصار على ناحيـة من النواحي . فعبقريته هيأته لكل الثقافات . ولقد اعترف به التاريخ خطيباً ممتازاً

بارعاً ، واقرّ له بانه كاتب ممتاز موهوب ١١٤ » .

« وهو في فصاحته ونصاعة حجته وبلاغة قوله وحسن اختيار لفظه، خطيب ممتاز لا يزاحمه مزاحم ولا يرتفع بجواره صوت ولا يباريه في ميدانه احد من رجال عصره ، يمتلك الباب سامعيه ويهز مشاعرهم، وله طابعه الخاص وسمته الثابت ووسائله المبتكرة واتجاهاته المستقلة ولا يقلد او يجاري احداً من السابقين او اللاحقين.. يسنده في هذا علمه الغزير وقدرته الفائقة على جمع شتات اطراف اي موضوع مهما كان متشعباً ، يجمعه جمعاً يدنيه من ذهن السامع ويقربه اليه بلا اقتضاب ولا اخلال وبسعة وافاضة . فهو دائرة معارف واسعة كاملة يتحدث في اي موضوع بلا اعداد مهما يكن نوع هذا الموضوع ، ويتخير في احاديثه الاسلوب السهل ويعمد الى التعابير المناسبة لسامعيه ١١٥ » .

وذكر جامع مذكراته انه وجد هذه المذكرات في جريدة الاخوان المسلمين في حوالي خمسمائة عدد ابتداء من العدد ٣٧٤ الصادر في ٤٧/٧/٢١ حتى اوقفت الجريدة عن الصدور . وذلك عدا مقالاته وخطبه التي تقع في مجلدات .

ومهما كان في هذه النعوت من مبالغة من الطبيعي ان تصدر عن اتباعه ومريديه، فالذي لا شك فيه انه ملك من المقدرة البيانية حظاً كبيراً جداً كان من عوامل نجاحه . ومردّ هذه المقدرة الى ثلاثة اسباب . الاول كونه معلماً اعتاد تقرير الموضوع في

آذهان الطلاب الصغار كل يوم من حياته المدرسية التي ابتدأت في سن مبكرة واستمرت الى ما بعد قيام الحركة . والثاني اطلاعه الواسع على اللغة والادب وتمكنه منهما وتملّيه من الاسلوب القصصي الذي أطال فيه القراءة في صغره ، كما ذُكر في فصل سابق . والثالث محفوظه الكبير شعراً ونثراً وترداد ما حفظ في شتى المناسبات . يضاف الى ذلك طول المران في الجوامع والمجتمعات والاندية ومؤتمرات الاخوان، مما شحذ ملكته وثبتها. وكان في صغره يداوم على حضور حلقات الصوفية ويردد اورادهم ساعات متواصلات فزلق لسانه وحَسُنَ نطقُه وطاوعه البيان . ولا بد من الاشارة الى ان مهمة البنا الرئيسية كانت مهمة خطابية تستدعي إثارة العاطفة واستهواء القلوب . وكان جلّ اتباعه ومستمعيه في الفترات الاولى من طبقة العمال الذين يغنيهم القليل من المنطق ويستثيرهم الكثير من البيان . وكانت كثرة استشهاده بالآيات القرآنية والحديث والشعر تأتي كدعائم يقف عندها وقفات قصاراً وتكسب عباراته قوة .

وهذه قطعة من مقال له عنوانها طريقان يبين فيها السجع الرنان وتوازن المقاطع واثارة العواطف :

طريقة ممهدة ظليلة ، مشرقة جميلة ، تحف فيها الروح والريحان، ويحيط بها الجمال من كل مكان، واولها اليقين والايمان ومراحلها الاستقامة وطاعة الرحمن . ونهايتها الجنة والرضوان ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وطريق مقفرة ، اولها الجحود والنكران ، ومراحلها الاثم والعصيان ، وآخرها الجحيم والنيران ١١٦ .

وهذا الاسلوب البديعي من خصائص اسلوب البنا يقصده قصداً مع مقدرة لغوية تجعله بعيداً عن التكلف . وهو مؤثر في الجماهير اكثر من الحجة القوية التي يخاطب بها العقل وحده . ولكن البنا لم يلتزم هذا الاسلوب في كل الاحوال . فقد كان يكيّف اسلوبه حسب مقتضى الحال قاصداً في المرتبة الاولى التأثير في سامعيه واستهواء قلوبهم . وكان يعالج الموضوع من نواحي متعددة وفقاً لحال السامعين . فهو مع اهل القانون غيره مع الصوفية او رجال الاقتصاد او رجال الاعمال . فلكل بيانه وطرق اقناعه . وهو مع العامة غيره مع الخاصة ، اذ يبسط لهم الكلام ويحدثهم باللهجة العادية ، واحيانا يجمع بين الفصحى والعامية للترويح عن النفوس والاستجمام .

ورُزِق البنا بنية قوية كانت سنداً له في دعوته ، بل ربما كانت سنده الاول، اذ لولا هذه البنية لما احتمل مشاق الاسفار، واعباء العمل المتواصل طول النهار واكثر الليل ، وجهد الخطابة والكتابة والاجتماعات المتواصلة والاطلاع على جميع الاعمال في المركز والفروع ، وفوق ذلك الصدمات المتوالية التي تزعزع الجسم وتوهنه .

لقد بدأ دعوته في الواحدة والعشرين من عمره (سنة ١٩٢٧) جامعاً بين التدريس في المدرسة الابتدائية في النهار والوعظ

والخطابة في المساء وعقد الاجتماعات مع اتباعه في المساء المتأخر.

وفي كتاب (قائد الدعوة او - حسن البنا - حياة رجل وتاريخ مدرسة) نموذج من رحلاته سنة ١٩٣٩ يبيّن المدن التي كان يزورها في نهاية الاسبوع فيسافر من القاهرة الى المنيا بعد ظهر الخميس فيصلها الساعة ٨ مساء . ثم يغادر المنيا نحو منتصف الليل الى ادفو فيصلها صباحاً. وفي الظهر يسافر من ادفو الى قنا فيصلها عند الغروب . وفي نحو منتصف التاسعة مساء يسافر من قنا الى نجع حمادي فيصلها صباحاً . وبعد الظهر يغــادرها الى جرجا فيصلها في ساعة ثم يغادرها نحو الساعة الحادية عشرة مساءً عائداً الى القاهرة فيصلها صباح نهار الاحد ١١٧ .

ولما انتشرت شعب الاخوان من الاسكندرية الى اسوان كان هو يسيطر على هذه القوى بتوجيه موحّد بحيث لا تتصرف قوة الا في اتجاه هذه القوى الاخرى وفي حركة معاونة لهـا . وكان عمله الاشراف التـام الدقيق على الكبير والصغير من الشؤون . اما في دار الاخوان فلا يخلو من عمل منذ تطأ قدماه الدار الى ان يخرج منها .

ويقول فيه رفاقه في الاسفار : نركب السيارة بين مكة والمدينة فيصيبنا الدوار ولا يصيبه ، نأكل بعض الاصنـاف فتصاب امعاؤنا ولا يصاب . ندخل جو مكة الحار بعـد جونا الرطب وجو المدينة الرطب بعد جو مكة الحار فتتأثر صدورنا بالزكام والسعال وهو لا يتأثر . يتعبنا المشي والتصعيد في غـار

حراء وهو لا يتعب ١١٨ .

له معدة قوية قديرة على الهضم في مختلف البلاد والاجواء والالوان وقوة عصبية مركزة لا تتأثر بالاجواء ولا باضطرابات البحر والسيارات . وكان الى ذلك يجيد الرماية والسباحة ويقطع على قدميه مسافات طويلة . ويركب في الدرجة الثالثة في القطار على مقاعد خشبية فلا يتعب ولا يضجر فهذه القوة الجسمية من متممات شخصية البنا ، لانها هي التي احتملت الدعوة وكفاحها وما لها وما عليها .

ويبدو ان ما قرّره احد اتباعه « ان السر في النجاح هو في شخصية الداعي ١١٩ » قول صحيح الى حد كبير . وجميع الذين كتبوا عنه ربطوا بين الدعوة وبينه ربطاً محكماً . فحركة الاخوان المسلمين هي حركة (حسن البنا) او هي حسن البنا نفسه بالخصائص والصفات التي ذكرت . يقول احمد حسن الحجاجي – وهو من اكثر الناس معرفة به وكتابة عنه – واما ان الدعوة الاسلامية قد هتف بها في القرن العشرين رجل واحد هو (حسن البنا) وحمل اعباءها ولم يسبقه بالدعوة اليها احد ، فذلك ما نريد ان نعرض له هنا .. فالدعوة الاسلامية الواضحة كحقيقة دستورية مستقلة يقوم عليها نظام عام له ميزاته ثم تنظيم حركة تقود جيلاً يعمل على تطبيق مبادىء النظام الاسلامي في الحكم والسياسة والاجتماع واقرارها عملياً كدستور واجب النفاذ ، الى جانب الذود عنها كعقيدة صحيحة ، الدعوة

الاسلامية بهذا المعنى العملي الواسع الشامل ، وما ترتب عليه من انقلاب عالمي في الافكار ومن الاحداث التاريخية التي سيكون لها اثرها وخطرها في مستقبل الانسانية ، نقول ان الدعوة الاسلامية بهذا المعنى لم يعرفها التاريخ آماداً طويلة جداً الا حين رفع لواءها (حسن البنا) في القرن العشرين ، باسم دعوة الاخوان المسلمين ١٢٠

والشاهد في مثل هذه الاقوال التي تبدو مشوبة بعاطفة الاعجاب الجامح بزعيم الدعوة وقائدها ، ان اتباعه وصلوا بين شخصيته وبين الدعوة وصلاً تاماً ، فردوا اليه قوتها ونجاحها وشرحها وفلسفتها وجميع مظاهرها الداخلية والخارجية . ومن البديهي ان ترد اليه ايضاً جميع نواحي القوة والضعف فيها ، وجميع الشروح والتفسيرات والمبادىء التي قامت عليها . والواقع ان قانون الدعوة وضع بيد المرشد سلطات دونها سلطات الملك المطلق ، كما سيذكر فيما بعد. ودان له جميع اتباعه بالطاعة والولاء من غير تردد ولا احجام ولا استفهام ، ومنعوا عن نفسهم حق الاعتراض فيما يحكم فيه حكماً نهائياً . وذهب اتباعه الى حد اعتباره رجل الساعة ورجل مصر الحديثة ، ورجل الدعوة الاسلامية في العصر الحديث .

هذه هي شخصية (حسن البنا) مؤسس الدعوة ومرشدها وقائدها حسبما تبدو في المصادر - الاخوانية - التي اسهبت في الكتابة عنه . ومن جهة اخرى فقد ذكر مراسل التيمس

الاسبوعية ان البنا كان خطيباً مفوهاً وسياسياً بارعاً ١٢١ .
واستخلص محمد حسن احمد مؤلف كتاب (الاخوان المسلمون في الميزان) من نصوص القانون التي توسع سلطات المرشد العام الى ابعد حدٍ ان حركته فاشستية . والواقع انها لم تكن كذلك . ولكن سلطات المرشد العام بلغت حداً بعيداً جداً قلّ نظيرها لدى الحكام المحدثين . وهذا دليل على بروز شخصية البنا في ميدان الجماعة بروزاً لا يطاله احد من رجاله . وهنا يتفق انصاره وخصومه . فحركة الاخوان فذة بقدر ما هي شخصية البنا فذة . فهي حركة في شخص تمددت واتسعت بالانصار والمريدين .

قال احد رجالهم : « ... ولكن الاخوان يتعاملون بقانون من روح قائدهم ومرشدهم . قانون الاخوان السائد والحاكم والمنظم هو قانون الاخوة ، وروح هذا القانون هي التي يُصدر عنها المرشد العام ، وهي التي تلهم القائد . وهي التي اسلست له قياد النفوس ومكنت له في القلوب ونادت به مرشداً وقائداً تهفو اليه كلما حزب امر . ومن اجل ذلك فما عرفت مجتمعات الاخوان جفاف احكام القوانين ولا غطرسة موادها وتجهم وعبوس نصوصها ، وعلى هذا فتعرّف الى مرشد الاخوان وقائدهم وهو الذي يدين له الملايين بالطاعة والولاء والذي تصدر الكلمة الواحدة من شفتيه فيتلقنها هؤلاء الملايين بالتلبية الحارة الصادقة ١٢٢ » .

وما مبادىء هذه الحركة ؟ وما الاسس التي تقوم عليها ؟
هذا ما يعالج في الفصل التالي .

الفصل الرابع

مبادئهم

١ – اول ما يلحظ في مبادىء الاخوان أنها نامية متطورة. بدأت من نقطة دينية ثم انطلقت في آفاق واسعة افسح من ان يشملها قانون . والواقع ان القانون الرئيسي الذي يحتوي على جميع المبادىء ويفسّر جميع النصوص ، كان « البنا » نفسه . وليس ادلّ على ذلك من عبارة أثبتها احد الاخوان : « .. فما عرفت مجتمعات الاخوان جفافَ أحكام القانون ولا غطرسةَ موادّها ، وتجهم وعبوس نصوصها » ثم يقول: « مرشد الاخوان يسوس هذه المجتمعات بالارشاد النافع والتوجيه المحكم السديد ، ووضع كل امر في نصابه » ١٢٣ .

اما البنا نفسه ، فقد ذكر في مناسبات كثيرة ، ان دعوته متطورة حتى انه نصّ في (قانون النظام الاساسي للهيئة) الذي أقرته الجمعية العمومية في سبتمبر سنة ١٩٤٥ على ما يلي : يؤثر الاخوان دائماً التدرج والتطور ١٢٤ . واوضح ان هذا التدرج لا بد له من ثلاث مراحل ، مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وايصالها للجماهير من طبقات الشعب ، ومرحلة التكوين

وتخيّر الانصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين ، ومرحلة التنفيذ والعمل والانتاج . ثم قال : ولكن لا شك في ان الغاية الاخيرة او النتيجة الكاملة لا تظهر الا بعد عموم الدعاية وكثرة الانصار ومتانة التكوين ١٢٥ .

وهذا دليل قاطع على ان الغاية مرهونة بالظروف . وقد كان البنا يحدّد هذه الغاية ويلمح اليها من حين الى آخر تبعاً لتطوّر الجماعة واستعدادها . وكان يمدّ في امل الشباب المتحمس ويلوح بأنهم متى اتموا دور الاعداد لا يتخلف عنهم بل يخوض بهم لجج البحار ويقتحم عنان السماء ، ويغزو كل عنيد جبار. ١٢٦ وليس ببعيد ان البنا في أواخر ايامه ، وفي إبان اتساع حركته ، وتحت ضغط الشباب المتحمس ، اراد فعلاً ان يبلغ هذه المرحلة النهائية . وقد صرّح في خطاب له ألقاه في المؤتمر الذي عقد لبحث المطالب الوطنية عام ١٩٤٥ بقوله : « كل ذلك يا اخي جعلني اشعر شعوراً قد ارتقى بي الى مرتبة الاعتقاد اننا لم يعد لنا الخيار ، وان واجبنا ان نقود هذه النفوس الحائرة ونرشد هذه المشاعر الثائرة ». فهذه استجابة منه لضغط الشبان المتحمسين الذين كانوا يعتقدون انهم أتموا دور الاعداد ، وبلغوا المرحلة الاخيرة التي طلبها منهم في السابق . وخلع عليهم نعت « جيش الانقاذ وكتائب الجهاد ١٢٧ » .

وعلى كل حال فان جميع ما صدر عن الاخوان وعن مرشدهم يدل على انهم كانوا اشبه بالمتدرب على القفز الذي يعلي الخشبة كلما

آنس في نفسه القوة ، وبذلك ظلت اهدافهم نامية ومتطورة .

ويلحظ في مبادئهم ايضاً الشمول الكلي لكل مبدإ وكل فكرة ، سواء أوجدت حقاً في الدين ام جاءت من الخارج . فقد حرصوا على ان يفهموا الناس ان كل ما في الشرق والغرب من مبادىء حسنة هي مبادئهم هم . حدث احد الاعضاء العاملين من الشباب الجامعي أن (البنا) جمعهم مرة وقال لهم : « ان حاجكم الشيوعيون وقالوا لكم ان مبادئنا انسانية رحبة تأخذ بيد الضعيف والفقير وتساوي بين الناس وتحقق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فقولوا لهم : ليكن الامر كذلك . فان مبادئنا شاملة لمبادئكم مع زيادة . فليس من مبدإ تفخرون به الا عندنا ما يماثله ويربو عليه » .

وقد رسخت هذه الفكرة في نفس البنا وكرّرها مراراً حتى اضحت مبدأ اساسياً تتفرع منه جميع المبادىء . ونجد بيان ذلك في رسالة بعث بها البنا الى الملك فاروق والنحـــاس باشا رئيس وزرائه يومئذ وملوك العرب وامرائهم بعنوان « نحو النور » . ففيها يقول : ليس في الدنيا نظـام يمدّ الامة الناهضة بما تحتاج اليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمدّ الاسلام بذلك امه الناهضة ١٢٨ . ويقرر فيها كذلك ان القرآن جمع علوم الكون في آية واحدة وحث عليهـــا ـ على طريقة محمد عبده ـ ، وان نظُم الاسلام فيما يتعلق بالفرد او الاسرة او الامة حكومتها وشعبها او صلة الامم بعضها ببعض قـد جمعت

بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وايضاحها ، وانها اكمل وانفع ما عرف الناس من النظم حديثاً او قديماً . ويعتقد ان الاسلام معنى شامل ينتظم شؤون الحياة كلها ويفتي في كل شأن من شؤونها ، ويضع له نظاماً محكماً دقيقاً ١٢٩ . ويرى ان الحياة الفاضلة والمثل الرفيعة لن يجدها الناس في الشرق الاسلامي إلا في اسلامهم ، لانها من صميم مبادئه وهي مكفولة في نظامه كفالة تامة ١٣٠ . ويرى ان الوطنية في الاسلام اوفى وازكى وأسمى وانبل مما هي في افواه الغربيين وكتابات الاوروبيين ١٣١ ويرى ان العالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية والحرب وتوزيع الثروة والصلة بين المنتج والمستهلك وما يمت بصلة قريبة او بعيدة الى هذه البحوث التي تشغل بال ساسة الامم وفلاسفة الاجتماع ، كل هذه خاض فيها الاسلام ووضع للعالم النظم التي تكفل لهم الانتفاع بما فيها من محاسن ١٣٢ . ويعتقد ان دعوتهم عامة محيطة لا تغادر جزءاً صالحاً من اية دعوة الا ألمّت به واشارت اليه ١٣٣ .

وهذه النصوص كثيرة جداً في مؤلفات (البنا) والاخوان جميعاً دون استثناء . وقد ادّت بطبيعة الحال الى نتيجة لا مفرّ منها وهي ان الاخوان مقلدون لا مبتكرون ١٣٤ ، اي انهم لا يضيفون جديداً وانما يحيون قديماً ويبعثون ميتاً وينشرون مجهولاً ، لان جميع هذه التعاليم المتصلة بمختلف الوان الحياة واردة اصلاً في صلب الدين .

ومن هذا المبدإ العام الشامل استوحوا سائر مبادئهم ، ومنه استمدوا مبادئهم حتى شملت كل ناحية دينية وسياسية واجتماعيه واقتصادية ، كما هو مبين في قانونهم الاساسي . وقد قال (البنا) في احدى خطبه : تستطيع ان تقول ولا حرج عليك ، ان الاخوان المسلمين دعوة سلفية ، وطريقة سنيّة ، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية ١٣٥ !

وما هذه المبادىء ؟

يجعلون هم هذه المبادىء ستة :

الاول علمي : وهو شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً يوضحها ويردّها الى فطرتها وشمولها ويعرضها عرضاً يوافق روح العصر ويردُّ عنها الاباطيل والشبهات . وهم في الواقع يذهبون الى ما ذهب اليه محمد عبده قبل نصف قرن ، حينما اراد ان يردّ على تهم وجهت الى الدين ، فأخذ على عاتقه ان يثبت انه ملائم لروح العصر منسجم مع جميع العلوم والمعارف ، بدلاً من ان يستأصل هذه التهم من اصولها بالاعتراف بان للدين منحى يختلف اختلافاً تاماً عن منحى العلم ، فكانت النتيجة ان ورّط نفسه وورّط الدين في امور لا دخل له فيها .

الثاني : عملي : وهو جمع الامة المصرية والامم الاسلامية على هذه المبادىء القرآنية وتجديد اثرها الكريم البالغ في نفوس ابنائها حتى تكون امة قرآنية حقاً . وتقريب وجهات النظر بين

الفرق الاسلامية المختلفة . والمقصود بذلك بناء المجتمع الاسلامي كله على اساس ديني واحد وحسم الخلافات التي ظهرت في مناسبات مختلفة بين الفرق والجماعات الاسلاميـة . وفي ذلك يقول احد كتابهم : لن نهدأ او نسكن او نستريح حتى نرى القرآن دستوراً نافذاً . فسنحيا لهذه الغاية او نموت فيها ١٣٦ .

الثالث : اقتصادي : وهو تنمية الثروة القوميـة وحمايتها وتحريرها والعمـل على رفع مستوى المعيشة وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد والطبقات ، والتـأمين الاجتماعي لكل مواطن ، وضمان تكافؤ الفرص للجميع . والمقصود بذلك خدمة العمال الذين كانوا قوام الدعوة في اول نشأتهـا ، والحد من النفوذ الاجنبي في الاقتصاد المصري ، وتنشيط الصناعات المحلية ، وإقامة نقابات عماليـة تعمل على رفع مستوى العمال المالي والاجتماعي . ومن الواضح ان هذا المبدأ اخذت به الحكومات الغربية من فاشستية واشتراكية وديمقراطية . وهو اتجاه حديث في نظام الحـكم .

الرابـع : اجتماعي خيري : وهو المساهمة في الخدمة الاجتماعية الشعبية ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة وتشجيع اعمال البر والخير النافعة .

الخامس : وطني قومي : وهو العمل على تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً والوطن الاسلامي بكل اجزائـه من كل اجنبي ، ومساعدة الاقليات الاسلامية في كل مكان على الوصول

الى حقها وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً والسير الى الجامعة الاسلامية سيراً حثيثاً ، ومناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل مثل عليـا فاضلة تصون الحريات وتحفظ الحقوق ويأخذ فيها القوي بيد الضعيف حتى ينهض . واقامة الدولة الصالحة التي تنفذ احكام الاسلام وتعاليمه عملياً وتحرسها في الداخل وتبلغهـا في الخارج .

السادس : انساني عالمي : وهو المشاركة في بناء السلام العالمي والحضارة الانسانية على اساس جديد من تآزر المادة والروح ، بتقديم مبادىء الاسلام العالمية ، التي تعلن الاخوة وترسم الطريق العملي للوصول اليها، للعالم المتعطش الى حياة روحية فاضلة ١٣٧ .

وسنفصل بعد مبادئهم حسبما شرحت في كتبهم :

١ ـ البعد عن مواطن الخلاف الفقهي ١٣٨ : ويُقصد بذلك انهم لا ينتسبون الى طائفة خاصة ، وانما يتوجهون الى صميم الدين ولبّه ، ويرغبون في ان تتوحد الانظار ، اذ ان اعظم ما مُني به المسلمون الفرقة والخلاف ، واساس مـا انتصروا به الحبّ والوحدة . اما الخلاف في فروع الدين فأمر لا بدّ منه، والاجماع على امر واحد فيها مطلب مستحيل ومتناف مع طبيعة الدين . وانما يريد الله لهذا الدين ان يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشي الازمان ، وهو لهذا سهلٌ مرن لين ، لا جمود فيــه ولا تشديد ١٣٩ . وحسب الناس ان يجتمعوا على الاسس

٢ ـ البعد عن هيمنة الكبراء والاعيان : لان هؤلاء

تستهويهم الدعوات القائمة التي تستتبع المغانم وتجر المنافع.

٣ ـ البعد عن الهيئات والاحزاب : لان هذه بينها تنافر وتناحر ولا تتفق مع اخوة الاسلام ، ودعوة الاسلام عامة تجمع ولا تفرق ، ولا ينهض بها ويعمل لها إلا من تجرد من كل الوانه وصار خالصاً لله .

٤ ـ التدرج في الخطوات : لأن كل دعوة لا بد لها من مراحل تقطعها قبل ان تصل الى غايتها . وهي مرحلة الدعاية والتعريف بالفكرة ، ومرحلة التنفيذ والعمل والانتاج ١٤٠ .

٥ ـ الاستعانة بالقوة لتحقيق اهدافهم ، متدرجين من قوة العقيدة والايمان الى قوة الوحدة والارتباط ، ثم قوة الساعد والسلاح ١٤١ . ولكنهم سيستخدمون القوة العملية حيث لا تجدي غيرها، وحيث يثقون انهم استكملوا عدة الايمان والوحدة وهم لا يفكرون بالثورة ولا يؤمنرن بنفعها ونتائجها ، وان وقعت فستكون من ضغط الظروف واهمال مرافق الاصلاح .

٦ ـ اقامة حكومة دينية : لان الاسلام يجعل الحكومة ركناً من اركانه ، وهو حكم وتنفيذ ، وتشريع وتعليم ، وقانون وقضاء ، ولا ينفك واحد منهما عن الآخر . ولكنهم لا يطلبون الحكم لانفسهم ، فان وجدوا من الامة من يستعد لحمل هذا العبء والحكم بمنهاج اسلامي قرآني ، فهم جنوده وانصاره واعوانه . وان لم يجدوا فالحكم من منهاجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من ايدي كل حكومة لا تنفذ اوامر الله . ولن

يتقدموا لمهمة الحكم قبل ان تنتشر مبادئهم وتسود . وقد رأوا ان الحكومات التي عاصروها لم تنهض بهذا العبء ولم تظهر استعداداً صحيحاً لمناصرة الفكرة الاسلامية . ولم يكونوا قط مطية لحكومة من تلك الحكومات ١٤٢ .

٧ – يؤمنون بالوحدة العربية والوحدة الاسلامية : ويفهمون الاولى انها « عربية اللسان » . اما الثانية فيؤمنون بها ويعملون لجمع كلمة المسلمين واعزاز اخوة الاسلام ، وينادون بان وطنهم هو كل شبر ارض فيه مسلم . ويرون ان يعمل كلُّ انسان لوطنه وان يقدمه على سواه ، ثم بعد ذلك يؤيد الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية ، ثم يعمل للجامعة الاسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العام . ولا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار ، فكل منها تشد ازر الاخرى وتحقق الغاية منها . واذا اراد اقوام ان يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحاً يميت الشعور بما عداها فهم ليسوا معهم ١٤٣

٨ – يجعلون فكرة الخلافة والعمل لاعادتها في رأس منهاجهم لانهم يرونها رمز الوحدة الاسلامية ومظهر الارتباط بين امم الاسلام . ولكنهم يعتقدون ان ذلك يحتاج الى كثير من التمهيدات وأن الخطوة المباشرة لاعادة الخلافة لا بدّ ان تسبقها خطوات . فلا بد من تعاون تام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الاسلامية كلها ، يلي ذلك تكوين الاخلاق والمعاهدات ، وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد . ثم يلي ذلك تكوين

عصبة الامم الاسلامية ، حتى اذا استوثق ذلك للمسلمين كان عنه الاجتماع على (الامام) الذي هو واسطة العقد ومجتمع الشمل ١٤٤ .

٩ – موقفهم من الدول الاوروبية : يعتبرون كل دولة اعتدت وتعتدي على اوطان الاسلام دولة ظالمة ، لا بدّ ان تكف عن عدوانها ، ولا بد من ان يعد المسلمون انفسهم ويعملوا متساندين متحدين على التخلص من نيرها . والاسلام لا يرضى من ابنائه باقل من الحرية والاستقلال فضلاً عن السيادة واعلان الجهاد ولو كلفهم ذلك الدم والمال ، فالموت خير من حياة العبودية والرق والاستذلال ١٤٥ .

هذه هي مبادىء الاخوان العامة والخاصة كما قرروها في قانونهم الاساسي وفي خطب (البنا) وكتبهم .

بقي ان ننظر الى اي حد حققوا هذه المبادىء ، وما المشاريع التي قاموا بها باعتبارها خطوات تؤدي الى هذه الاهداف البعيدة .

الفصل الخامس

اعمالهم

يتبين من الفصل السابق ان من ابرز خصائص الدعوة الشمول لكل مبدإ أُوجد حقاً في الدين ام جدّ فيما بعد . وكذلك الحال في نشاطهم ، فقد كان شاملاً جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية والعسكرية سواء أأصيلة كانت أم مقتبسة . ولكنهم صبغوا هذا النشاط بصبغتهم الخاصة وألقوا عليه رداء دينياً فبدا منسجماً مع الدعوة .

واذ كانت الجمعية في اول نشأتها دينية فقد قصروا نشاطهم « على تحقيق المقاصد والاغراض التي جاء بها الدين الحنيف وشرح دعوة القرآن الكريم وفهم الاسلام فهماً صحيحاً » ، حتى اذا ذكر الناس ذلك واقتنعوا بفائدته انتج ذلك عملهم به ونزولهم على حكمه ١٤٦ .

وحملهم على سلوك هذا النهج رؤيتهم مصر جميعها بل الشرق العربي كله يزحف الى هاوية من الشك والاباحة والفقر والمجون والذل والقيود التي توضع في يديه باسم الاساور الذهبية ١٤٧ . وجاء في رسالة وجهها البنا الى محمد محمود باشا — في اوائل

الحركة – « مجتمعنا المصري تحطمت فيه المقاييس الخلقية وتدهور مستوى الفضائل تدهوراً يدعو الى الاسف الشديد ، وتظاهرت عليه معاولُ الهدم من كل جانب . فالشبان والشابات والاسر والافراد والجسوم والارواح كلهـــا محطمة تحطيماً يدعو الى منتهى السرعة في الاصلاح والترميم . وانما يكون ذلك بوسائل كثيرة من اصولها الرئيسية اصلاح منابع الثقـافة ، واصلاح القانون ، واستغلال وقت الفراغ ، ومحاربة المنكرات ١٤٨ » .

واذن فلا بدّ من الوعظ والارشاد وتطهـير النفوس من رجسها ، بنشر الثقافة الدينية حتى ينقلب المسلمون من مسلمين جغرافيين الى مسلمين مؤمنين علماً وعملاً حقاً وصدقاً .

وكان هذا فعلاً اول مظهر من مظاهر نشاطهم من حيث الاهمية وسبق العمل ، بل كان ميدان عملهم الرئيسي مدة طويلة من الزمن . ويبدو ان الفرصة كانت مؤاتية لهذا «التبشير» الروحي في مصر ، ولا سيما في مجتمعات العمال والفقراء في الاسماعيلية والريف المصري عامة ، فأقبلت عليه هذه الطوائف اقبـــالاً شديداً ، ووجدت فيه راحة وطمأنينة ١٤٩ .

وارتكز هذا الوعظ على قواعد : منها تعليم الاميين اصول الصلاة وبعض سورٍ من القرآن لاداء الفريضة . ومنها شرح حقيقة الدعوة الاسلامية وانها تحضّ على الايمان بنبوة كل من سبقوا محمداً من الانبياء ، والرجوع الى المعاني الروحية التي جاء بهـــا محمد وعيسى وموسى وابراهيم ونوح ومن قبلهم من

الانبياء ١٥٠ ، وانها دين ودولة ومصحف وسيف وعقيدة اجمع لا طقوس واعياد فحسب . ومنها تعويد الشعب احترام الآداب العامة حسبما نصت عليها الكتب السماوية والتزام الاوامر والنواهي كالاقلاع عن البغاء والقمار والخمر وما الى ذلك١٥١ . ومنها الوقوف في وجه الطغيان المادي الذي صرف الشعوب الاسلامية وابعدها عن زعامة النبي وهداية القرآن ، والعمل على ان تكون قواعد الاسلام هي الاصول التي تبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شؤون الحياة ١٥٢ . ومنها الحياة الفاضلة المثالية عملياً كالتعاون المادي في شتى مظاهره .

وكيف كانوا يؤدون هذه الرسالة ؟ كانوا اول الامر يخطبون في المساجد إثر صلاة الجمعة ، او يلقون دروساً عامة بعد الصلاة . وبعد ان فتحوا لهم فروعاً اتخذها قائد الدعوة « جامعات يربى فيها الشعب على منهاج التربية الاسلامية ١٥٣ » . وكانت هذه الدروس منظمة لا تنقطع في كل اسبوع ، يتعاون على القائها عددٌ من الاخوان بتوجيه المرشد .

ويذهب بعض كتابهم الى ان البنا رسم خطة واضحة منذ البداية مقتفياً اثر الوسول الذي كانت خطوته الاولى « تكوين الجماعة المؤمنة ثم تطبيق الحكم ١٥٤ » ، وانه ادرك ان الانقلاب لا يأتي ارتجالاً والامم لا تتطور من وضع الى آخر ، إلا باساليب نظامية ومناهج عملية . ولهذا عمل على تربية الناس على فضائل المبادىء وعلى تذوقها ١٥٥ . ويقولون : ان الحركات

الاصلاحية السابقة كانت ناقصة اذ لم تنتبه الى عنصر المنهاج الاسلامي ووجوب اقامة نهضة الامة عليه على اعتبار انه العلاج الوحيد ، وانها لم تفطن الى ان تربي الامة على اصول هذا المنهـاج حتى يمكن ان يؤمل من ورائها نجاح كحركة اصلاحية تظهر في امـة ذليلة مستعبدة . وان هذه هي اسباب اخفاق الحركات الاصلاحية السابقـة التي ظهرت في مصر والشرق في العصر الحديث ، وان الامر ظلّ هكذا حتى جاء العصر الحديث فاظهر قيـادة الاخوان عقلاً جديداً ومعنى جديداً في قيـادة النهضات والامم والشعوب ١٥٦ . ويقولون : ان هذه الحركة تدعو الى منهاج واضح ، الى الاسلاميـة الخالصة ، والنظـام الاسلامي الصافي ودستورية القرآن ، وبناء للحياة الاجتماعية على اسس سليمة في ضمان تربية الفرد تربية صالحة وتنشئة حياة الاسرة في رعـاية كريمة من المثل العليا للوصول الى تكوين الامة النموذجية١٥٧.

والخلاصة ان هذا المنهج التربوي استغرق نشاط الجماعة عدة سنوات ، وكان بداية الحركة كلها . واغلب الظن ان البنا اراد ان يدور عمله كله على هذا المنهج لا يتعداه الى نواحي اخرى ، وان نجاحه هو الذي فتح امامه أفاقاً واسعة ، فولجها ، ثم اخذت الاعمال يستدعي بعضها بعضاً ، الى ان تطورت الى المحنة التي قصمت الظهور .

ومن اعمالهم البارزة في سبيل تحقيق اهدافهم ارسال الرسائل الخاصة الى رؤساء الوزراء المصريين ثم الى الملك ، ثم الى ملوك

العرب وحكامهم وامرائهم ، يبسطون فيها دعوتهم بصراحة تامة . واحياناً وجهوا رسائلهم الى وزراء معينين في الدولة والى رؤساء وزراء أجانب ، في موضوعات تتصل بحركتهم .

بدأوا هذه الرسائل من عهد محمد محمود باشا اول رئيس دولة في عهد نشاطهم ، واستمروا فيها في عهد سائر الوزارات المصرية الى المحنة وبعدها ١٥٨ . لم ينقطعوا عن الكتابة والوعظ والارشاد في وقت من الاوقات . واحيـاناً كانوا يشفعون الرسالة بمقابلة شخصية مع رئيس الدولة او الوزير، يسترعون نظره الى رسائلهم وما ورد فيها من مختلف الارشادات . وكانت النغمة على وتيرة واحدة تقريباً الا في عهود الاضطرابات السياسية فقـــد كانوا يقتصرون على الكتابة في موضوعات سياسية فقط .

ومن أوائل رسائلهم رسالة الى محمود محمود باشا يبسطون فيها حالة الامة المصرية وما تعانيه من جهل ورذيلة وفقر وضعف خلقي وصحفي وثقافي في كل مكان ، في وقتٍ تنهض فيه الامم وتتوثب، والعالم يجدّ ويعمل، « والدواء تعاليم الاسلام و كتاب الله الذي لا يأتيه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه١٥٩ » . ثم يقول : ان أُعترض بوجود الانجليز فهم لا يعنيهم نظامُنا الداخلي . وان جدوا في الاعتراض وجب اعلان الجهاد . وان احتج بقلق الاجانب اصحاب الملايين فلنتفاهم واياهم ، وسيرون في الاسلام وحكمه وتعاليمه ضماناً لحقوقهم وحفظاً لارواحهم . وان احتج بالعناصر غير المسلمة فقد رأوا عدلنا الكامل في التاريخ

ولكن العقبة الصحيحة هي ان زعماء مصر لم يتشبعوا بالاسلام ولم يتصلوا بتعاليمه ، وعليهم ان يعودوا الى العقيدة والدين . ثم ذكر ان نجاح تركيا في خروجها عن الدين حمل العدوى الى مصر ، وهذه نكبة النكبات . ولذلك فهو يدعو حكومة محمد محمود الى التفرد برفع كلمة الاسلام واتخاذها شعاراً ١٦٠ .

ثم حثه على ان يكون قدوةً حسنة باجراء ما يلي : اولاً منع الحفلات الخليعة واختلاط الرجال بالنساء وشرب الخمر فيها. وهي حفـلات رسمية او شبه رسمية . ثانيـاً امتناع الوزراء والرؤساء عن ارتياد اندية القمار وميادين السباق ومحافل اللهو . ثالثاً ان يكفوا عن نشر صور سيـداتهم وفتياتهم في الصحف . رابعاً اداء الصلاة والامساك عن العمل في اوقاتها . خامساً ان يكون المظهر الغالب في بيوتهم مصرياً اسلاميـاً ، يتحدثون بالعربية ويتخذون مربيات مصريات ويجعلون المدارس الحكومية اسلامية . سادساً ان يؤاخذ الموظفون المستهترون ١٦١ .

ودعاه الى اصلاح القانون بصبغه بالفكرة الاسلامية، وتأليف اللجان من جديد للنظر في التوفيق بين القوانين القائمة والقوانين الشرعيـة حتى يشعر الانسان بانه محكوم بقانون الله السماوي لا بقانون الناس الوضعي ١٦٢ .

وعلى هذا المنوال سارت رسائلهم . وفي سنة ١٩٣٦ رفعوا رسالة مطولة الى الملك والنحاس وملوك العرب وحكامهم عنوانها (نحو النور) فصلوا فيها منهاجهم وختموها بقولهم : وانا لنضع

انفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف اية هيئة او حكومة تريد ان تخطو بامة اسلامية نحو الرقي والتقدم ، نجيب النداء ونكون الفداء .

وفي سنة ١٩٣٨ رفعوا رسالة الى الملك يطلبون فيها حل الاحزاب المصرية. ووجهوا رسالة اخرى على منوالها الى الاميرين عمر طوسن ومحمد علي توفيق ١٦٣ . ورأيهم في ذلك ان الاحزاب المصرية الحالية صناعية اكثر منها حقيقية . والعامل في وجودها شخصي لا وطني . والحوادث التي كوّنت الاحزاب زالت وجدّت ظروف تستدعي مناهج واعمالاً . والوقت قد حان لتجتمع الكلمة حول منهاج قومي إسلامي تتوافر على وضعه وانفاذه القوى والجهود ١٦٤ .

وارسلوا رسالة سنة ١٩٣٨ الى احمد خشبه باشا ، وزير الحقانية ، يطلبون فيها تجربة الدولة الاسلامية بعد ان جربوا القوانين المدنية خمسين سنة دون ان تفلح ، واوردوا شهادة الاوربيين في التشريع الاسلامي ١٦٥ .

وفي رسالة اخرى الى النحاس سنة ١٩٣٨ طلبوا فيها العناية بالسياسة الخارجية التي تربط مصر بغيرها من الامم الاسلامية والعربية تمهيداً لعودة الخلافة وتوكيداً للوحدة التي فرضها الاسلام ١٦٧ .

وفي سنة ١٩٣٩ ارسلوا رسالة الى النحاس باشا يطلبون فيها ان يكون اعضاءُ الوفد نماذج صالحة للتمسك بالدين ، وان يعلن

الوفد منهاجه الاصلاحي مستمداً من قواعد اسلامية مشتملاً على العناية باصلاح التشريع وتوحيد المحاكم في ظل الشريعة الاسلامية، واصلاح التعليم ، وتجنيد القادرين على حمل السلاح ، ومحاربة الموبقات ، واصلاح الاوضاع الاقتصادية ، ومقاومة روح التقليد الاوروبي ، واصلاح الادارة ، واصلاح السياسة الخارجية . وأردفوا بدعوة خصوم الوفد الى انتهاج هذا المسلك ١٦٦ .

وتوالت وسائلهم على هذا النمط ، وكلها تدور حول اقامة حكومة دينية واصلاح المجتمع إصلاحاً شاملاً على قواعد دينية .

واتماماً لهذا النوع من النشاط ألفوا لجنة خاصة تتولى نشر رسائل الاخوان من المركز العام . وقد نشروا عدداً من الرسائل منها رسالة (المنهج) ورسالة عنوانها (من أنت ؟) ، ورسالة عنوانها (تطورات الفكرة الاسلامية واهدافها) ، ورسالة عنوانها (القرآن والذرة) ، ورسالة عنوانها (التعاليم) ، ورسالة عنوانها (كيف ندعو الناس) ، ورسالة عنوانها (هل نحن قوم عمليون ؟) ، ورسالة عنوانها (نحو النور) ، ورسالة عنوانها (اهدافنا ومبادئنا) ، ورسالة عنوانها (الى اي شيء ندعو الناس) ورسالة عنوانها (دعوتنا) ، ورسالة عنوانها (بين الامس واليوم) ورسالة عنوانها (رسالة الجهاد) ، ورسالة عنوانها (رسالة المؤتمر الخامس) ، ورسالة عنوانها (الى الشباب) ، ورسالة عنوانها (الاخوان المسلمون تحت راية القرآن) ورسالة عنوانها (المأثورات) ورسالة تحتوي على (واجبات الاخت المسلمة ، ومنهاج التربية

الروحية ، واللائحة العامة) . ومعظمها بقلم البنا نفسه .

وألفت طائفة من الكتب في (البنا) نفسه ، وفي قضايا الاقطار الاسلامية . منهـــا (مع بعثة الحج) و (الاخوان المسلمون في ميزان الحق) و (قائد الدعوة او حسن البنـــا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة) و (قضايا الاقطـــار الاسلامية) و (فلسطين والمغرب) و (انهيار الحضارة الغربية) و (الاسلام يزحف و (روح وريحان) و (ثورة الدم) و (رجل الساعة). واعلن احد كتابهم ، انور الجندي ، عزمه على اصدار كتاب في مطلع كل شهر . ونشرت كذلك (من خطب حسن البنا) و (رسائل حسن البنا) و (مجموعة مقالات حسن البنـــا) و (مذكرات حسن البنا) ، وما الى ذلك .

ولا بد من الاشارة الى ان هذه الرسائل لاقت رواجاً كبيراً في مصر والاقطار العربية والاسلامية ، وكان لها صدى بعيد في شمالي افريقيا والسودان وسوريا وفلسطين والاردن ، وانهـــا كانت تثير الشعور الاسلامي وتهزه هزاً عنيفـــاً . ولم تعرف حركة اسلامية في العصر الحديث ما يماثل هذا النشاط في الكتابة، ولم تعرف اقلاماً نظير هذه الاقلام الملتهبة حماسة وايماناً وبياناً. فلا غرو ان ادى هذا المنحى من النشاط الى تحقيق بعض الاهداف التي حدّدها الاخوان في مناهجهم وكسبوا الانصار والمؤازرين من جميع الطبقـات . والحق انهم بسطوا دعوتهم بصراحة ووضوح وجلوها على المسلمين جلواً وافياً .

ومن وسائلهم المجلات والجرائد التي كانت اما مؤازرة واما مملوكة لهم . وبدأوا اول الامر بنشر مقالاتهم في مجلات تعالج القضايا الدينية . ثم انشأوا لهم مجلات خاصة بهم ، ثم صدرت لهم جريدة يومية باسم (الاخوان المسلمون) في ٥ مارس سنة ١٩٤٦ = ٣ جمادى الثانية سنة ١٣٧٥ فكانت ذروة نشاطهم الصحفي ، ولسانهم الناطق ، وترجمان حالهم من يُسر وعُسر .

ومن مجلاتهم (المنـــار) شهرية ، و (التعارف) اسبوعية و (الشعاع) اسبوعية و (النذير) اسبوعيـة و (الشهاب) . وصدر لهم بعد المحنة (المباحث) و (الدعوة) و (المسلمون) .

كانت جريدتهم اليومية اوسع صحفهم انتشاراً. وقد اوضحوا فيها اغراضهم كما يلي : اولاً : تجلية تعاليم الاسلام وعرضها عرضاً يلائم اسلوب العصر، ويثبت انها افضل الانظمة للجمعية الانسانية. ثانياً : رد ما يوجه اليها من اتهـــامات باطلة . ثالثاً : تقريب وجهات نظر اهل القبلة جميعاً من غير دخول مناقشات مذهبيـة عقيمة .. والعمل عـــلى جمع الكلمة حول الحق المشترك بأنزه الاقلام وأنبلها في حدود القاعدة الذهبية « نتعاون فيما اتفقنـــا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا عليه » . رابعاً : تقرير ان الاسلام لا يخاصم ديناً ولا يهضم عقيدة حقها، ولا يظلم غير المؤمنين به مقدار ذرةٍ ، ولا تثمر تعاليمه حين تسود بين ابنـاء الوطن الواحد إلا الحبُّ والوئام والتعاون والسلام مهما اختلفت نحلهم وتباينت معتقداتهم . خامساً : رسم الطريق الموصلة الى اعـادة

نظام الاسلام وتطبيق احكامه في الحياة الفردية وفي البيت وفي الدولة وفي كلّ شؤون المجتمع الصالحة ، والتحذير من الخروج عن هذه التعاليم .

وارادوا ان تكون جريدتهم المنبر العـام للهيئات الاسلاميـة والجماعات الاصلاحية على اختلاف الوانها وبلدانها .

وافسحت لهم هذه الجريدة الميدان للتعبير عن آرائهم والتعليق على حاضر العالم الاسلامي. واشترك في الكتابة فيها عددٌ كبير من الاخوان ومن غير الاخوان . وكانت مقالات البنا تتألق في صدر الجريدة منسجمة العبارات ، قوية البيان ، مملوءة بالنقول من القرآن والحديث والشعر (احياناً) لتنفذ الى اعماق القراء .

ومن ابرز اوجـــه نشاطهم العناية بالتعليم وفتح المدارس المتنوعة . وقد دعوا الحكومة المصرية في مناسبات كثيرة الى العناية بتدريس الدين في المنهاج العام وتكوين الخلق القومي . ووضعوا امام الناس منهاجاً واضحـــاً يتوخى اربعة اهداف : العقيدة الصالحة ، ونشر الاخلاق الفاضلة ، وبث روح الاعتزاز بأمجـــاد الامة وتراثها ، وتهيئة الاختصاصيين في جميع ميـادين الاختصاص العلمي لبناء النهضة من جميع نواحيها على اسس علمية. ودعوا اولاً : الى وضع سياسة ثابتة للتعليم تنهض به وترفع مستواه وتوحّد انواعه المتحدة الاغراض والمقاصد ، وتقرّب بين الثقافات المختلفة في الامة ، وتجعل المرحلة الاولى من مراحله خاصة بتربية الروح الوطني الفاضل والخلق القويم. ثانياً ـ العناية بالتـاريخ

الاسلامي والتاريخ الوطني والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الاسلام. ثالثاً — تقرير التعليم الديني مادة اساسية في كل المدارس على اختلاف انواعها كل بحسبه وفي الجامعة ايضاً. رابعاً — اعادة النظر في مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيان في كثير من مراحل التعليم ١٦٨. خامساً — ان ينحى عن التعليم من عُرف بفساد عقيدته وميوعة في اخلاقه وجحود لقوميته سادساً — ان يعنى بالعلوم الدنيوية لتصل الامة الى ما تحتاج اليه من مخترعات ومكتشفات وللوقوف على اسرار الكون ودقائقه ١٦٩.

وقد كرروا هذه المبادىء في كتبهم وواجهوا بها الحكومات المتعاقبة ووزراء المعارف.

ورأوا بعد ذلك ان يساهموا هم مساهمة فعالة في نشر التعليم. فانشأوا لجنة للعناية بالثقافة تابعة للجنة التربية بالمركز العام ١٧٠. وألفوا لجنة لانشاء مدارس ابتدائية وثانوية وفنية وخاصة للبنين والبنات تكون ذات طابع خاص تتميز به على سائر المدارس الحرة ١٧١، بقصد صبغ الحياة بالصبغة الاسلامية القوية التي تهديهم الى تفهم مجد اسلافهم وتدفعهم الى اعادته ١٧٢.

وحققوا من ذلك اولاً : فتح عددٍ من المدارس لمحو الامية وتنمية الثقافة الدينية بالمجان. ثانياً : مكاتب لتحفيظ القرآن نهاراً. ثالثاً : مدارس ليلية لتعليم العمال والفلاحين. رابعاً : اقساماً خاصة للراسبين في الامتحانات العامة يتولى التدريس فيها اساتذة

اخصائيون من خريجي الجامعة . خامساً : شعباً لتعليم الغلمان الذين حرموا التعليم لاشتغالهم بالصناعات . سادساً : معاهد لتعليم البنين – معاهد حرّة اي خصوصية – سابعاً : مدارس امهات المؤمنين لتعليم البنات . ثامناً : دوراً للصناعة ملحقة بالمعاهد يتعلم فيها الذين لا يستطيعون اتمام العلم .

وليس هناك احصاء عن عدد هذه المدارس المتنوعة ولا عدد طلابها واساتذتها . ولكن هذه المدارس كانت تقوم الى جانب الفروع بحيث لا يخلو فرع من مؤسسة علمية . وذكر ان عدد طلاب احدى مدارس محو الامية بلغ مائة عامل ١٧٣ . والراجح ان الاقبال على هذه المدارس كان كبيراً لا سيما فيما كان منها في بيئات العمال والفلاحين ١٧٤ . وحين وضعت الحكومة منهاجاً لمكافحة الامية في اثناء تولي العشماوي باشا وزارة المعارف سنة ١٩٤٦ طلب الى الاخوان ان يساعدوا الوزارة في تنفيذ خطتها اعترافاً منها بنفوذهم ١٧٥ .

وبذلوا نشاطاً متعدد الجوانب في الشؤون الاجتماعية . وانشأوا لهذا الغرض « قسم البرّ والخدمة الاجتماعية » وسجلوه في وزارة الشؤون الاجتماعية .

وسلكوا في اداء الخدمة مسالك شتى ، بعضها مألوف وبعضها غير مألوف . فمن ذلك انهم نظموا القاء محاضرات تدور معظمها حول الثقافة الدينية، مثل (الدين والدنيا) و(لماذا آمن الشباب بدعوة الاخوان المسلمين ؟ » ونظير ذلك . واسسوا جماعة للعناية

بنهضة القرى المصرية ، والاصلاح الريفي . ووضع احد الاخوان تصميماً لعزبة (مزرعة) حديثة في ارضه . وشيدوا في احدى القرى أربعة مدافن واسعة لدفن الفقراء والمساكين . وقرروا اطعام مائتي فقير اسبوعياً خلال الثلاثة اشهر المباركة في احدى القرى. وتبارت الشُعَبُ في اطعام الفقراء وانارة القرى واخراج الزكاة في شهر رمضان . وبلغ ما اطعمته الشُعَب ٦٠٠ فقير في اثناء شهر . وعنوا بالمصالحة بين المتخاصمين في القرى . وتولت احدى اللجان احصاء الاطفال والمشردين والاسر الفقيرة لتشغيل الاطفال في صناعات تتفق واسنانهم واعانة العجزة الذين لا عائل لهم . ورأوا في احدى حفلات المولد النبوي منكرات ترتكب فاحتجوا عليها لدى الحكومة .

ومن جهة اخرى اقبلوا على انشاء المساجد في مختلف انحاء القطر . وكان بعض الاعضاء يتبرع بالارض لاقامة مسجد ، وبعضهم يساهم مالياً في نفقات البناء . وكان الى جانب معظم الفروع مساجد ملحقة بها ١٧٦ .

واشتركوا في كثير من الحفلات إما للدعوة الى مبادئهم واما لاثبات وجودهم. ومن ذلك ان لجنة من المدرسين اجتمعت في طنطا لتصحيح اوراق الامتحانات ، فدعاهم الفرع الى حفلة تكريمية ودعا معهم المختصين بشؤون التعليم كالمراقبين والمفتشين والنظار والمدرسين . واحتفل الاخوان بهم وتكلموا باسهاب عن دعوتهم وعالجوا قضية المعلمين ١٧٧ . وانتقل الملك مرة من

القاهرة الى الاسكندرية فخرجت جوالة الاخوان تحييه في جميع المحطات التي وقف عليها القطار ١٧٨ . وحين عقد المؤتمر البرلماني في مصر سنة ١٩٣٨ اقام الاخوان لاعضاء الوفود العربية احتفالاً كبيراً خطب فيه البنا ١٧٩ . وأقاموا مرةً حفلاً كبيراً بدارهم لعمال شركة البحيرة وعمال محطة العطف الكهربائية وشرحوا لهم اهداف الدعوة. وألفوا لجنة لتنظيم شؤون العمل وتنفيذ مبادىء الاخوان ١٨٠ . وهكذا توالت حفلاتهم التكريمية على هذا المنوال ، وفي شتى المناسبات ، فكسبوا بذلك عدداً من الانصار والمؤازرين . ولعل من اطرف هذه المناسبات مناسبة انتخاب بطريرك للاقباط للكرازة المرقسية هنأ فيها البنا البطريرك ١٨١ .

واشتركوا في اقامة حفلات تمثيلية . وكان للمركز العام فرقة تمثيلية خاصة لتمثيل الروايات التي تلائم روح الجماعة ، مثل بلال ، الكفاح ، عمر بن عبد العزيز ، المعز لدين الله الفاطمي ، اليتيم ، وما الى ذلك ١٨٢ .

وكان لهم نشاط ملحوظ في الحركات الكشفية مما سيرد ذكره حين التحدث عن نشاطهم العسكري .

واظهروا نشاطاً في عقد المؤتمرات الدورية والخاصة لعرض ما قاموا به من اعمال ، ومراجعة النظر في مناهجهم ، او لاستعراض الحالة العامة ونشر القرارات او خلاصتها على الناس. وتنص المادة السادسة والخمسون من (قانون النظام الاساسي) على ان ينعقد كل سنتين مؤتمر عام من رؤساء شعب الاخوان ،

ومن اراد من الاعضاء ، بدعوة من المرشد العام ، بمدينة القاهرة او باي مكان يجده ؟ ويكون الغرض منه التعارف والتفاهم العام في الشؤون المختلفة التي تتصل بالدعوة ، واستعراض خطواتها في هذه الفترة . وظلت هذه الموتمرات متواصلة منذ تأسيس الجماعة الى المحنة ، وان كانت القرارات التي اتخذت في المؤتمرات الاربعة الاولى لم تَشِـع.

ولمعرفة طبيعة هذه المؤتمرات يُذكر ان المؤتمر الخامس الذي عقد سنة ١٩٣٨، بمناسبة مرور عشرة اعوام على تأسيس الاخوان، استعرض فيه البنا نشأة الجماعة وبسط خصائص الدعوة مفصلاً وشرح منهاجها شرحاً وافياً .

وفي المؤتمر السادس الذي عقد سنة ١٩٤١ قرروا اولاً : ان يدعو الملك فاروق ملوك المسلمين ورؤساءهم الى مؤتمر . ثانياً : ان تعتبر الحكومة البريطانية اقامة جيوشها في مصر رهناً بالضرورات الحربية . ثالثاً : دعوة الحكومة المصرية الى مضاعفة استعدادها العسكرى ١٨٣ .

وعقدوا سنة ١٩٤٥ – إثر انتهاء الحرب الكبرى الثانية – مؤتمراً نادوا فيه بالحقوق القومية واوضحوا الغاية والوسيلة . ثم عقدوا سبعة مؤتمرات شعبية في القاهرة وعواصم المديريات ، وانتشرت بعثاتهم من الطلاب في القرى والارياف لارشاد المواطنين الى الحقوق والواجبات .

وعقدوا سنة ١٩٤٦ اجتماعاً عاماً قرروا فيه اولاً : الولاء

للملك . ثانياً : قطع المفاوضات مع بريطانيا . ثالثاً مطالبة الحكومة بابطال معاهدة ١٩٣٦ . رابعاً مطالبة بريطانيا بالجلاء التام وعرض القضية المصرية على مجلس الامن وتنظيم وسائل الجهاد . خامساً : عقد معاهدة بعد الجلاء . سادساً : الاستعداد للجهاد . سابعاً : كل حكومة لا تتعاون مع الامة لتحقيق اهداف البلاد تكون اداة استعمارية . ثامناً : تأليف لجنة من الاخوان لرفع هذه القرارات الى الملك والجامعة العربية والسفارات والعمل على تنفيذها ١٨٤ . ودرجوا ايضاً على عقد مؤتمرات لطلبة الاخوان كان يتكلم في بعضها البنا .

ويتبين من هذا ان المؤتمرات الدورية والخاصة كانت وسيلة لتقوية الحركة وتجديد قواها وبسط مبادئها واستعراض سيرها ، وانها كانت من الوسائل الفعالة في نشر الدعوة وكسب الانصار لا سيما اذا اخذ بعين الاعتبار ان القرارات والخطب كثيراً ما كانت تنشر في كراسات او في الصحف ، ليطلع عليها الرأي العام .

وتوجهوا بنشاطهم نحو المرأة المسلمة ، منذ بدء الدعوة في الاسماعيلية ، فكوّنوا فيها (معهد امهات المؤمنين) لتربية البنات واعدادهن ليكن اخوات مسلمات . وكوّنوا فيما بعد فرق (الاخوات المسلمات) ليقمن بما يقوم به الاخوان المسلمون في الحقل النسوي على الوجه الذي يتناسب مع حالتها . ولا يعرف بالضبط ما وجوه النشاط التي عهد الى المرآة القيام بها . ولكن

الظاهر انهم أرادوا تعليمها وتربيتها لتكون ربة بيت ولتعرف حقوقها وواجباتها في المجتمع ذاكرين ان الشريعة كرمتها ورفعت من شأنها وقررت لها من الحقوق مثل ما قررت للرجل تماماً . ولا فرق بين الرجل والمرأة في الاسلام في الحقوق والواجبات العامة ١٨٥ . ورأوا من الواجب ان ترشد قيادة الاخوان المرأة الى هذه المعاني التي قررها الاسلام بعد ان سيطرت عليها مفاتن الحضارة الغربية وتسلط عليها دعاة المدنية الزائفة فصوروا لها الاسلام على انه رجعية وتأخر ، وآدابه وتقاليده على انها جمود ، وانه يجافي واقع الحياة ويتنافى مع كل الحقوق الانسانية ، وانه سلبها كلّ ما يجعلها انساناً حياً يستمتع بحقوق الاحياء ١٨٦ .

وقرروا ان حركتهم هذه اول حركة نسوية في مصر قامت على أساس متين يهدف الى تحرير المرأة تحريراً حقيقياً ، ويعطيها كلّ حقوقها ، ويرتقي بملكاتها ، ويهذب كل مواهبها ، ويربيها على اسمى ما عرفت الانسانية من مبادىء الشرف والفضيلة والعفاف ١٨٧ .

ويظهر انهم اسسوا عدداً من الفروع للأخوات المسلمات ، وان نشاط الاخوات ظلّ محدوداً في نطاق العلم والعمل الاجتماعي . ففي مناسبة ليلة الاسراء والمعراج مثلاً في ٢٦ يونيو ١٩٤٦ أقامت الاخوات في القاهرة حفلاً للسيدات ١٨٨ . وكن يحضرن في القاهرة دروساً اسبوعية في دار الاخوان بالسيدة زينب .

وعلى كل فانه مما يسترعي النظر ان يبلغ نشاط الاخوان الى هذا المدى ، وان يُعرف مركز المرأة الخطير في المجتمع ، وان تُمدّ يدٌ لانتشالها من الحالة التي تعانيها .

والتفتوا ايضاً الى الناحية الصحيـــة ، فاقبلوا على تأسيس المستشفيات والمستوصفات في مختلف المدن لمعالجة المرضى من مختلف الاديان ١٨٩ . وليس لدينا احصاء عن عددها سوى قولهم انه كان لهم اكثر من عشرين مستوصفـاً ومستشفى ١٩٠ . لقد حاولوا ان يكثروا منها لسدّ الحاجة في بيئات العمال القرويين . وذكر ان مستوصف طنطـا عالج خلال سنة واحدة ٣٧٧٤ مريضاً من مختلف الاديان ١٩١ .

واتجهوا نحو الشركات فاسسوا (شركة المعاملات الاسلامية) وسجلوها في المحكمة المختصة وجعلوا رأس مالها ٣٠ الف جنيه ، (وشركة الاخوان للغزل والنسيج) يقصدون منهـا احياء الاشتراكية الاسلاميـة وتحرير الاقتصاد القومي ورفع مستوى العامل المسلم والاتجاه نحو المثالية في الاتقان والفن ، وحثوا العمال على المساهمة فيها ، و (شركة التجارة والاشغال الهندسية) في الاسكندرية ذات ٣٥٠٠ سهم برأس مـال قدره ١٤٠٠٠ جنيه ، و (شركة المطبعة الاسلامية والجريدة اليومية) ، للأولى رأس مال اولي قدره ٧٠٠٠٠ جنيه ، وللثانية ٥٠٠٠٠ جنيه . وكل منهما منفصـلة عن الاخرى . وتأسست هذه الشركة سنة ١٩٤٥ كي تخوض غمار حرب المبادىء والكلام التي بدأت اثر

انتهاء الحرب الكبرى الثانية بالموجات المتلاحقة من المطبوعات على اختلاف الوانها ومناهجها . وذكر الاخوان في مقدمة البيان الذي اصدروه عن هذه الشركة انهم ليسوا في حاجة الى الفيض في بيان الفوائد التي تجنيها الفكرة الاسلامية من قيام هذه المؤسسة ، فان الصحافة في هذا العصر هي السلطة الرابعة التي تتحكم في توجيه الدول وتكوين الرأي العام . واباحوا لسواهم من رجال النهضة الاسلامية الاشتراك معهم في هذا المشروع ، مبينين انه فضلاً عن كونه خدمة جليلة للدعوة الاسلامية ، فهو طريق ناجح لتثمير المال وتنميته والاتجار به تجارة رابحة . واعتبروه ثاني مشروع من مشروعاتهم الضخمة التي تكشف عن مقدرتهم وجميل غيرتهم على دعوتهم ١٩٢ .

وصدرت الجريدة اليومية – كما ذكر في فصل سابق – وراجت رواجاً كبيراً في مصر وسائر البلدان العربية . ولم تقف عن الصدور الا عند وقوع المحنة . ولكنها تعرضت احياناً لمصادرة الحكومة ومراقبتها الشديدة لا سيما إبّان المفاوضات المصرية – البريطانية وقضية فلسطين ، حين كان الاخوان يقفون في طليعة الهيئات الواعية الى قطع المفاوضات ، والغاء المعاهدة ، والقتال الى النهاية في فلسطين .

وكانت شركاتهم جميعها ، وعددها سبع شركات١٩٣ ، ناجحة نجاحاً كبيراً ، اذ كانوا يشركون العمال في رأس المال لاول مرةٍ في تاريخ الشركات في مصر على ما يرجح – ويقيمون

لهم المساجد والاندية والمدارس . وذهبوا الى حد تأسيس قسم خاص بالعمال في المركز العام لرعاية مصالحهم ، وتشجيعهم على الاشتراك في اسهم الشركات التي يعملون فيها ، ولمعرفة الصناعة التي تحتاج اليها البلاد وتنجح كي يحثوا الاغنياء على انشاء مصانع لها ١٩٤ .

واسترعى هذا النشاط الاقتصادي الانظار ، وعجب بعضُ الناس سائلين ما لهذه الجماعة والشركات، وراحوا يتقولون. وردّ الاخوان على ذلك بأن جمعيتهم التي قامت بهذه الاعمال العظيمة لم تأخذ إعانة حكومية مرة من المرات ولم تستعن بمال هيئة من الهيئات اللهم الا خمسمائة جنيه تبرعت بها شركة قناة السويس للجمعية بمناسبة عمارة المسجد والمدرسة بالاسماعيلية . وذكروا ان اموالهم الخاصة أُنفقت باخلاص فأثمرت وبوركت وأتت اكلها ١٩٥ .

وبرّر الاخوان اقبالهم على المشاريع الاقتصادية بان الاسلام يُعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه لقول النبي « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ١٩٦ . والواقع انهم استفادوا من الاطلاع على الاشتراكية الغربية التي تقوم مناهجها على نصرة العامل والزارع ، واقتبسوا كثيراً من مبادئها ١٩٧ ، فدعموا بذلك نفوذهم في بيئات العمال والقرويين ، وأمنوا شر الانهيار الذي كثيراً ما ينتج عن الافلاس المالي . ومن جهة اخرى افسحوا مجالاً لظهور رأس المال الوطني في الحقل الاقتصادي تحقيقاً

لمبادئهم السياسية والتحريرية. ولا شك في انهم استفادوا من ذلك كثيراً من الناحية الاقتصادية والسياسية على السواء.

وللدلالة على اتجاههم نحو الاشتراكية القومية يذكر انهم اولاً: اعتبروا الثروات العامة كالمعادن وغيرها يجب ان تخضع لتشريع يصون مصلحة الامة. ولا يجوز للدولة ان تمنح استثمارها لاية شركة اجنبية، بل عليها ان تتولى ذلك بنفسها، فإن عجزت وجب ان تسلم ذلك الى شركات تنشأ باموال عربية. ثانياً: ان تمنع الدولة تملك الاجانب للعقارات. ثالثاً: ان تمنع كل ما يؤدي الى الاحتكار وتضخم الثروات عن غير طريق الجهد الشخصي والعمل المفيد المشروع. رابعاً: ان تؤخذ الزكاة وتنظم ليستعان بها على القضاء على الفقر والامراض الاجتماعية. خامساً: للدولة عند الحاجة الماسة ان تتدخل في الثروات العامة والخاصة والمرافق الكبرى بما تقتضيه مصلحة الامة العليا، على ان لا يقضي ذلك على الملكية الفردية والتنافس الاقتصادي.

وقرروا ما يماثل ذلك فيما يتعلق بالعمال كضمان العيش لهم وتيسير العمل لكل فرد وتأمين الاجر الذي يتناسب والكفاية، مع ضمان الحد الادنى وتحديد اوقات العمل وصيانة العقيدة والاخلاق وضمان المستقبل عند المرض والعجز ومنع استخدام الاحداث وتحريم تشغيل النساء إلا فيما يتفق مع طبيعتهن ووظيفتهن الاجتماعية. وقرروا ان يكون لكل فلاّح حد ادنى للملكية، وحق الحصول على سكنٍ صالح، وتأمين الصحة

والغذاء الكافي والثقافة المفيدة والجو الروحي ١٩٨ .

ومن ابرز نواحي نشاطهم توجيه الاعضاء نحو « الجهـــاد » بمفهومه الاسلامي العام . وقد صنفوه اصنافاً : فمنه عاطفة حية قوية تفيض حناناً الى عز الاسلام ومجده وتهفو شوقاً الى سلطانه وقوته وتبكي حزناً على ما وصل اليه المسلمون من ضعف . ومنه ان يودي الهم الدائم والجوى اللاحق الى التفكير الجدي في طريق النجاة . ومنه التنازل عن بعض المال ومطالب النفس لخير الاسلام وبني المسلمين. ومنه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومنه ان يكون المرء جندياً لله يقف له نفسه وماله لا يبغي على ذلك من شيء ، فاذا هُدد مجد الاسلام وديست كرامته ودوّى نفير النهضة لاستعادة مجد الاسلام كان اول مجيب للنداء واول متقدم للجهاد . ومنه اقامة ميزان العدل واصلاح شؤون الخلق وانصاف المظلوم والضرب على يد الظالم مهما كان مركزه وسلطانه . ومنه حب المجاهدين من القلب والنصح لهم بمحض الارادة ١٩٩ .

وسلكوا الى تحقيق هذا الهدف ثلاثة سبل ، الاول : العناية بالالعاب الرياضية على جميع انواعها من كرة القدم وكرة السلة والمصارعة والملاكمة يشترك فيهـــا العمالُ والطلبة على السواء . والثاني انشاء فرق الجوالة – الكشافة – في مختلف المراكز. وقد كانت هذه الجوالة تقوم باستعراضات في الاحياء وعنـــد الاستقبالات والمهرجانات، ولا يُعرف بالضبط عدد جميع الاعضاء

في هذه الفرق ولا عدد الفرق نفسها. وتذكر مصادر الاخوان ان عدد الجوالة بلغ اربعين الفاً ٢٠٠ . ولكن ذكر مرة ان الف جوال من ثلاثة مراكز فقط قامت باستعراض في احياء القاهرة ٢٠١ . واذا صح اتخاذ هذا الرقم مقياساً فلا بد من ان يكون عدد الجوالة كبيراً جداً . ويذكر الذين شهدوا بعض الاستعراضات في المناسبات العامة ان عدد المشتركين فيها كان كبيراً ، وانهم كانوا على جانب عظيم من التنظيم . وقد جعل للجوالة مفتش عام وسكرتير اعلى للاشراف عليها وتنظيمها ٢٠٢.
والثالث : انشاء الكتائب على غرار الفتوة او الجندية الاهلية للشبان القادرين على القتال . وكان شعار هذه الكتائب « امر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج ٢٠٣ » . وكان على المشتركين فيها ان يبايعوا رؤساءهم على نصرة الدين وينخرطوا . وكان لكل مركز كتيبة ، وللمنطقة رهوط ذات طوابير . وكانوا يقيمون معسكراً عاماً ليتدرب فيه طلاب الاخوان لمدىً محدودة ٢٠٤ .

وقد سئلوا الى اي حدّ نقلوا نظامهم هذا عن الغرب ؟ فأجابوا بأن أساس فاشية موسوليني ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساس عسكري بحت . والفرق بين هذه وبين عسكرية الاسلام فرق عظيم . فان الاسلام الذي قدّس القوة هذا التقديس هو الذي آثر عليها السلم، فقال الله تعالى بعد آية القوة : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، وهو الذي

حدّد ثمن النصر ، وهو الذي وضع اساس القانون الحربي بنبذ الخائنين وعدم الغدر والفلّ والتمثيل ، وعدم قتل المرأة والطفل والشيخ الكبير ، وعدم قطع شجرة مثمرة او عقر بعير الا للأكل ، وعدم اتباع مدبرٍ ولا اجهازٍ على جريح.. فالعسكرية في الاسلام : بوليس العدالة وشرطة القانون والنظام ٢٠٥ .

وهم يبرّرون تشكيل هذه الكتائب بإخفاق السياسة . فهذا الاخفاق حوّل الامة الى كتائب الاخوان وقيادتهم . وهكذا فرضت مبادىءُ الاخوان وقيادة الاخوان نفسها فرضاً ، اذ كانت نتيجة طبيعية لتطور افكار الامة ، وكانت علاجاً لازماً قدمته الحوادث ٢٠٦ .

وليس ثمة شك في انهم آمنوا بمبدإ القوة او (الفتوة) منذ البداية ليحققوا مبدأ نصوا عليه في نظامهم الاساسي ، وهو العمل على تحرير وادي النيل والبلاد العربية جمعاء ، والوطن الاسلامي بكل اجزائه من كل سلطان اجنبي ومساعدة الأقليات الاسلامية في كل مكان على الوصول الى حقها ، وتأييد الوحدة العربية ، والسير الى الجامعة الاسلامية ، ومناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة في ظل مثل عليا فاضلة ٢٠٧ . وليس من المعقول ان يضعوا هذا الهدف نصب عيونهم دون ان يتخذوا الوسائل الى تحقيقه . ولكنهم تريثوا طويلاً ، وقضوا مدة في تلقين الشعب دروس التضحية والصبر وآيات الجهاد والبذل ٢٠٨ . واعلنوا صراحة انهم سيستخدمون القوة العملية حين لا يجدي

غيرها ، وحين يثقون انهم قد استكملوا عدة الايمان والوحدة ٢٠٩ . ولا يعرف على وجه اليقين اوصلوا الى هذه المرحلة سنة ١٩٤٨ حين اغتيل النقراشي باشا واتهموا بتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم . ولكن الراجح انهم وصلوا اوج قوتهم في تلك السنة ونفد صبرهم وودّ فريق منهم – المتطرفون – ان يقلبوا النظام السائد ويسيطروا على الدولة .

ومهما يكن من شيء فان كتائبهم عادت الى نشاطها سنة ١٩٥١ اثر الغاء المعاهدة المصرية – البريطانية . وقام رجالها بتفتيش ركاب السيارات على الطريق المؤدية الى منطقة القنال وحجزوا عدداً من البطاقات التي تخول حامليها دخول المعسكرات البريطانية لمنعهم من التعاون مع الانجليز ٢١٠ . وذكر ان القوات البريطانية شددت من اجراءاتها للمحافظة على الامن اثر المعلومات التي وردت اليها من ان جماعة من الاخوان اعتزموا القيام بحرب عصابات ضد الانجليز ، كما ذكر ان لديهم مدرسة للتدريب على القتال في الزقازيق . وهذا يدل على ان نظام الكتائب ظلّ نافذاً الى ما بعد المحنة . وقد قام خلاف حول سيطرة الحكومة الوفدية على الكتائب جميعها ، سواء أمن الاخوان كانت ام من غيرهم ، وألفت لجنة من اربعة لواءات من اصحاب الخبرة برئاسة احد وزراء الدولة للاشراف على تدريبها .

وربما يصح ان تضاف وسيلة رابعة الى تحقيق اهدافهم هي

الدعوة الى تقوية الجيش المصري بكتابة المقالات المتواصلة في جريدتهم حول هذا الموضوع كي يحمي هذا الجيش استقلال البلاد وحيادها ٢١١ . وذهبوا الى ابعد من ذلك فطلبوا من الجامعة العربية ان تعمل على توحيد نظام الجيوش العربية واساليب تدريبها، اذا كان البحث في امر توحيدها متعذراً في هذه الظروف ٢١٢ .

الفصل السادس

الاخوان والسياسة

١ – لم ينفرد الاخوان في فهم الاسلام انه دين ودولة . فقد سبقهم الى ذلك ، في العصر الحديث الوهابيون – اتباع محمد بن عبد الوهاب – قبل نحو قرن ونصف ٢١٣ .

واغلب الظن ان الاتراك في اثنـــاء الخلافة العثمانية كانوا يذهبون هذا المذهب . وهم لم يقاوموا الحركة الوهابيـة لمخالفتهم اياها في هذا الفهم ، ولكن لأنهم اعتبروها حركة عصيان وتمرد على دولة الخلافة .

وربما كانت جميع الدول الاسلامية القديمة على هذا المذهب ايضاً ، مع فارق رئيسي واحد ، وهو ان تلك الدول كانت قد قطعت شوطاً بعيداً في التشريع ، واستعانت بالفقهاء في استنباط القوانين ، اولئك الفقهـاء الذين لم تعجزهم الحيلة عن التوفيق بين الدين والدنيا باللجوء الى النص حيناً ، والى القياس حيناً آخر ، والى الاجتهاد حيناً ، والى الذكاء الانساني الذي يحل كلّ مشكل عند الضرورة . اما الاخوان ومثلهم السلفيون والوهابيون ٢١٤ فقد ارادوا العودة الى مصدرين محدودين لا ثالث لهما ، هما القرآن

والحديث . وبذلك يقول البنا : « يعتقد الاخوان ان التعاليم الاسلامية ومعينها هو كتاب الله وسنة رسوله ، اللذين ان تمسكت بهما الامة ، فلن تضل ابداً ، وان كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالاسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي اوجدتها والشعوب التي عاصرتها . ولذا يجب ان نستقي النظم الاسلامية التي تحمل عليها الامة من هذا المعين الصافي ، وان نفهم الاسلام كما يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح ، وان نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية لا نقيّد انفسنا بغير ما يقيّدنا الله به ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه ، والاسلام دين البشرية جمعاء ٢١٥ » فهم اذن يريدون العودة الى المنابع الاصلية وحدها، قاطعين الزمن بمئاته الطوال التي تبلغ نحو اربع عشرة عداً .

والواقع ان الاخوان ارادوا هذه العودة حتى ان البنا سمى اسلامهم « اسلام الاخوان المسلمين » للدلالة على تحررهم مما التزمه غيرهم في كثير من العصور من نعوت واوصاف وحدود ورسوم من عند انفسهم ٢١٦ .

٢ — واذ كان الاسلام شاملاً شؤون الناس في الدنيا والآخرة فهو اذن « عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية وعمل ومصحف وسيف » بتعبير البنا نفسه ٢١٧ . وعلى ذلك فالسياسة جزء لا يتجزأ من الاسلام ومن منهاج الاخوان .

وقد اثار تدخل الاخوان في السياسة سؤال بعض الناس : ما لهم وللسياسة ؟ أهم رجال دين ام رجال سياسة؟ وهذا ما يسأله

كثيرون اليوم . وردوا هم على ذلك بانه اذا كان الاسلام شيئاً غير السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والثقافة فما هو إذن ؟ أهو مجرد ركعـات وألفاظ ٢١٨ ؟ وقالوا : عجيب ان تجد الشيوعية دولة تدعو اليها وتنفق في سبيلها وان تجد غيرها من من النظم كذلك امماً تجاهد لها ولا تجد حكومة اسلامية تقوم بواجب الدعوة الى الاسلام الذي جمع محاسن هذه النظم جميعاً وطرح مساوئها ، وتقدمه لغيرها من الشعوب نظـاماً عالمياً فيه الحلّ الصحيح لكل مشاكل البشرية ، مع ان الاسلام جعل الدعوة فريضة لازمة واوجبها على المسلمين شعوباً وجماعات قبل ان تخلق تلك النظم « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون٢١٩»

وقالوا : انا نفهم الاسلام عقيدة فنقوى بعقيدته ، وشريعـة فنطالب بانقاذ شريعته ، ودستوراً لا نؤمن في الدنيـا بغير عدالته ، وجامعة نجتمع عليها ، ومبادىء لا نحيد عنها ، وغـاية لا نعمل لغيرها ٢٢٠ .

وقالوا : ندعوكم الى الاسلام وتعـاليم الاسلام واحكام الاسلام وهدى الاسلام . فان كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا ٢٢١ .

٣ — وما منهاجهم السياسي ؟ وكيف توسلوا الى تحقيقه ؟

ا — لا شك في ان « الحكومة الدينية » هي في رأس المنهاج . وقد افصحوا عن ذلك في جميع مؤلفاتهم ومنشوراتهم

بصورة لا تقبل الشك . قال البنا في احدى خطبه التي شرح فيها الدعوة : « اتصل الاخوان بكتاب الله فاستلهموه واسترشدوه ، فايقنوا ان الاسلام هو هذا المعنى الكلي الشامل ، وانه يجب ان يهيمن على كل شؤون الحياة ، وان تصطبغ جميعها به ، وان تنزل على حكمه وان تساير قواعده وتعاليمه ، وتستمدّ منها ، ما دامت الامة تريد ان تكون مسلمة اسلاماً صحيحاً . اما اذا اسلمت في عبادتها وقلدت غير المسلمين في بقية شؤونها فهي امة ناقصة الاسلام ٢٢٢ . وقال في موضع آخر : .. الاسلام الذي يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من اركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد .. وقد جعل النبيُّ الحكم عروة من عرى الاسلام . والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والاصول لا من الفقهيات والفروع . فالاسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء لا ينفك واحد منهما عن الآخر . والمصلح الاسلامي ان رضي لنفسه ان يكون فقيهاً مرشداً يقرر الاحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والاصول ، وترك اهل التنفيذ يشرعون للامة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة اوامره ، فان النتيجة الطبيعية ان صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد ، ونفخة في رماد » . ٢٢٣

وواضح من هذا انهم لا يقنعون ان ينصّ في صلب الدستور – كما هو الحال في الدستور المصري – على ان دين الحكومة الاسلام ، بل ان يكون التشريع كله اسلامياً اولاً ، وان

يكون التشريع العملي والتنفيذي اسلامياً ثانيا . ولهذا فهم يطالبون بصبغ الحكم كله صبغة دينية .

ومن المعروف ان الدستور المصري مدني استُمدت أصوله من الدساتير الغربية . اما القانون الذي ينظم الاحوال الشخصية للمسلمين وحدهم ـ اذ للطوائف الاخرى قوانينها الخاصة بأحوالهم الشخصية كذلك ـ فمستمد من الشريعة الاسلامية . واذن فيكون امام الاخوان ثلاثة امور مختلفة . الاول : الحكم الدستوري السائد في مصر . الثاني : الدستور المصري المدني . الثالث : القوانين التي تضعها الدولة لتنظيم صلة الافراد بعضهم ببعض ، وتحمي حقوقهم الادبية والمادية ، وتحاسبهم على ما يأتون من اعمال، بقطع النظر عن مذاهبهم ـ اي القانون المدني.

اما الامر الاول فيرونه منطبقاً على تعاليم الاسلام ، وانه اقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله الى الاسلام . ولذلك فهم لا يعترضون عليه .

واما الامر الثاني فهم يرون اولاً : ان من نصوص الدستور ما هو مبهم غامض يدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير ، ولذا فهم يطالبون بتحديدها وتوضيحها . ويرون ثانياً : ان طريقة التطبيق التي تفسر بها عملياً نصوص القانون قد اخفقت وانها بحاجة شديدة الى تفسير وتعديل يحقق المقصود . ولكنهم يقفون عند هذا التعميم ولا يضربون امثلة للغموض كي يعرف بالضبط اين يقع هذا الغموض .

واما الامر الثالث – القانون المدني – فيقفون منه موقف المعارض ، ويطالبون ان يحلّ مكانه التشريع الاسلامي سواء أكان ذلك في المسائل المادية ام الجنائية ام التجارية ام الدولية . ويضربون على ذلك امثلة الزنا والربا والخمور والميسر . فيرون القانون يحميها والدين يمنعها . وهنا ايضاً لا ينوّعون الامثلة حتى تشمل المسائل المادية التي ذكرت . وان كانوا يقرّون ان الدين لم يعرض للجزئيات وخصوصاً في الامور الدنيوية البحتة ، ولم يمنع الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية واصوله العامة ٢٢٤ . وقد ألّفوا بعد المحنة كتباً متنوعة لاثبات صلاح التشريع الاسلامي للحياة الحديثة فى جميع مظاهرها كما ورد في الفصل الثاني .

ب – ويلي ذلك في الاهمية مبدأ تحرير وادي النيل برمته من النفوذ الاجنبي . وقد اقتضاهم هذا المبدأ ان يقفوا من الانجليز موقف العداء العنيد الذي لا هوادة فيه . وهم يشبهون في هذا (الحزب الوطني) الذي شُهرت عنه العبارة المأثورة « لا مفاوضة قبل الجلاء » . وهي ايضاً عبارتهم التي رددوها في مختلف المناسبات . ويشرح الاخوان وجهة نظرهم في هذا الشأن بأن الاستعمار بلغ مداه في نهاية الحرب العالمية الاولى حين أحاط بالبلاد العربية وقيّد حكوماتها وحال بينها وبين التقدم . فمصر تحت الحماية ، وفلسطين والعراق في قبضة الانجليز، وسوريا ولبنان وتونس والجزائر في يد فرنسا ، وطرابلس وبرقة مع

ايطاليا . حتى تركيا الاوروبية والآسيوية ، وهي دار الخلافة ، وقعت تحت نير الحلفاء .. وفي الحرب العالمية الثانية انضمت هذه الدول الى الدول الديمقراطية . وكان طبيعياً وقد وضعت الحرب اوزارها ان يطالب المظلومون بحقهم وان يجاهدوا في تحرير اوطانهم ٢٢٥ .

وقد ثبت الاخوان على هذا المبدإ . فظلوا يطالبون بتحرير وادي النيل باللين حيناً وبالعنف حيناً آخر . ففي بدء الحرب العالمية الثانية أيدوا علي ماهر باشا في قراره بتجنيب مصر ويلات الحرب . وفي اثناء الحرب اعلن احمد ماهر باشا الحرب على ألمانيا وايطاليا فلم يوافقوه على ذلك وكتبوا إليه ناصحين بالعدول عنه. ولم تقف حملتهم على الانجليز ، رغم موقف الحكومة موقف المؤيد للحلفاء ، مما ادى الى مطاردتهم واعتقال عدد كبير منهم ، باعتبار ان سياستهم مخالفة لسياسة الحكومة المصرية نفسها . وقد بلغ الخلاف مع الحكومة ان اتهموا بأن لهم ضلعاً في مقتل أحمد ماهر باشا . وبعد اعلان الهدنة هبوا يطالبون بتحقيق المطالب الوطنية كاملة والجلاء عن وادي النيل . وتزعموا كثيراً من الحركات العنيفة . ورفضوا مبدأ المفاوضة . واشتركوا في مظاهرات دامية الى ان اغتيل النقراشي باشا ثم البنا بعده . وظل موقفهم على هذا بعد المحنة فكانوا السباقين في قتال الانجليز في القنال .

ومما يدل على امعانهم في مقاومة الانجليز ان البنا وضع صيغة

دعاءٍ ليتلوه أتبـاعه عقب الصلاة هذا نصه : « اللهم رب العالمين وامان الخائفين ومذل المتكبرين وقاصم الجبارين تقبّل دعاءنا وأجب نداءنا وانلنا حقنا وردّ علينـا حريتنا واستقلالنا . اللهم ان هؤلاء الغاصبين من البريطانيين قد احتلوا ارضنا وجحـدوا حقنـا وطغوا في البلاد واكثروا فيها الفساد . اللهم فرد عنا كيدهم وفل حدهم وفرق جمعهم وخذهم ومن ناصرهم او اعانهم او هادنهم او وادّهم اخذ عزيز مقتدر . اللهم واجعـل الدائرة عليهم وسق الوبال عليهم واذل دولتهم واذهب عن ارضـك سلطانهم ولا تدع لهم سبيلاً على احد من المؤمنين آمين ٢٢٦ » .

واعترفت بعض الصحف الانجليزية ان نشاط الاخوان والوفديين – في هذه المرحلة – قد حول تيار الرأي العام الى الناحية الوطنيـة المتطرفة ، كما اعترفت بان الجماعات الاساسية المسيطرة على حركات الطلبة القوية هي الوفد المصري والاخوان المسلمون ٢٢٧ .

ومن الطبيعي ان الاخوان صبغوا هذه الوطنية بصبغة دينية، واعتبروا تحرير الوطن من الانجليز فرضاً دينياً .

ولكنهم لم يعتبروا هذا التحرير الخطوة الاخيرة . فهي في نظرهم الخطوة الاولى فقط . اما الخطوة الثانيـة فتحرير البلاد العربية كلها وتأمين وحدتها . والخطوة الثالثة العمل للجـامعة الاسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامي العـام . والخطوة الرابعـة الوحدة العالميه . لان هذا هو مرمى الاسلام

وهدفه ومعنى قوله تعالى: «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ٢٢٨». وقد ذكر في مكان آخر انهم جعلوا فكرة الخلافة والعمل لاعادتها في رأس منهاجهم، على ان يحققوا ذلك في خطوات ٢٢٩.

وقد كانت هذه الوطنية الدينية سلاحاً ذا حدين فمن الناحية الاولى ورطتهم مع الحكومات المصرية نفسها اذ ساقتهم الى ان يكونوا دائماً في موقف المعارض الذي لا يلين. وهذا ادى بالضرورة الى ان يقاتلوا في الداخل والخارج في وقت واحد، والى ان يجتازوا انواعاً من المحن اخفها الاعراض الحكومي واقساها السجن والاعتقال. ولكنهم من الناحية الثانية كسبوا مؤازرة شعبية ما كانوا ليكسبوها لو وقفوا عند الدعوة الدينية او لو وقفوا موقف المؤيد للحكومات المتعاقبة. وليس شك في انهم برزوا في كثير من المواقف، وظهروا على منافسيهم – لا سيما الوفديين – بحكم هذه السياسة المتطرفة. وقد ذكرت الصحف المصرية في شهر دسمبر سنة ١٩٥١ – اي بعد المحنة – انهم اكتسحوا جميع الاحزاب في كليات جامعة فؤاد الاول حين اعلنوا اخفاق الوسائل السلمية، ودعوا الى افتتاح معسكر للتدريب العسكري. وحين جرت انتخابات مجالس الاتحاد في مختلف كليات الجامعة، إثر افتتاح المعسكر نالوا المقاعد الآتية:

١١/١١ في اتحاد كلية الزراعة.

١١/١١ « « « العلوم.

٧ / ١٠ في اتحاد كلية الهندسة .

١٦/١١ « « الآداب .

٩/١٠ « « الحقوق .

٩/١٣ « « الزراعة .

واسترعى تفوقهم في كلية الحقوق خاصةً الانظار ، لان هذه الكلية عرفت بانها معقل الطلبة الوفديين ٢٣٠ .

ج – ومن مبادئهم السياسية الغاء الاحزاب السياسية المصرية جميعها . اذ يرون ان هذه الاحزاب وجدت في ظروف خاصة ولدواع اكثرها شخصي لا مصلحي. ويعتقدون ان الاحزاب لم تحدد برامجها ومناهجها الى الآن . فكل منها يدّعي انه سيعمل لمصلحة الامة في كل نواحي الاصلاح. ولكن ما تفاصيل هذه الاعمال وما وسائل تحقيقها، وما الذي اعد من هذه الوسائل، وما العقابات التي ينتظر ان تقف في سبيل التنفيذ؟ كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الاحزاب وادارات الاحزاب . فهم قد اتفقوا في هذا الفراغ كما اتفقوا في امر آخر هو التهالك على الحكم وتسخير كل دعاية حزبية بكل وسيلة شريفة وغير شريفة في سبيل الوصول اليه وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه.

ويعتقدون كذلك ان الحزبية افسدت على الناس كل مرافق حياتهم ، وعطلت مصالحهم وأتلفت اخلاقهم ومزقت روابطهم ، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة اسوأ الآثار .

ويعتقدون ان النظام النيابي ، بل حتى البرلماني ، في غنى عن

نظام الاحزاب بصورتها الحاضرة في مصر ، وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية في البلاد الديمقراطية . فالحجة القائلة بان النظام البرلماني لا يُتصوّر الا بوجود الاحزاب حجة واهية . وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية يسير على نظام الحزب الواحد ، وذلك في الامكان . كما يعتقدون ان هناك فارقاً بين حرية الرأي في التفكير والابانة والافصاح والشورى والنصيحة وهو ما يوجبه الاسلام ، وبين التعصب للرأي والخروج على الجماعة والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الامة وزعزعة سلطان الحكام ، وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الاسلام ويحرّمه اشد التحريم . والاسلام في كل تشريعاته انما يدعو الى الوحدة والتعاون .

وذهبوا الى ابعد من هذا اذ اعتقدوا ان فكرة ائتلاف الاحزاب فكرة عقيمة وانها مُسكّن لا علاج ، إذ سرعان ما ينتقض المؤتلفون بعضهم على بعض . والعلاج الناجع – في رأيهم – ان تزول جميع الاحزاب بعد ان ادت مهمتها وانتهت الظروف التي اوجدتها ٢٣١ .

ويكمن وراء هذا الموقف من الاحزاب المصرية عامل خفيّ هو انهم اعتبروها كلها مقصرة في تنفيذ احكام الاسلام واحكام الدستور ٢٣٢ . وكان من رايهم ان يقوم على انقاض الاحزاب نظام جديد تجتمع به جهود الامة حول منهاج قوي اسلامي صالح ٢٣٣ . ومعنى هذا ان يقوم حكم اسلاميّ في مصر لا مجال

فيه للحزبية السياسية .

واقاماً لهذا المبدإ اشترطوا على كل من ينتسب اليهم ان يتحرر من كل لون حزبي مع الاصطباغ بالفكرة التي تعتمد على سياسة القرآن وتعاليمه . وألفوا لجنة سياسية تابعة للمركز العام تشرف على الشؤون السياسية .

ومن الطبيعي ان هذا الموقف الصارم من الاحزاب لم يتكون مرة واحدة ، ولم يصلوا اليه في قفزة واحدة . فقد ظلوا محايدين في الادوار الاولى ثم اخذوا يعلنون معارضتهم بالتدريج ، الى ان انتهوا الى هذه الدعوة الصريحة الجريئة بعد الحرب الكبرى الثانية . فقد رأوا انهم لم يعودوا « دعوة » بل اصبحوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان المملكة المصرية ٢٣٤ ، وانهم هم القلب المؤمن والعقل المستنير والشباب الجريء المتوثب ، دورهم تملأ الوادي ، واعلامهم تخفق في الآفاق وكتائبهم تغص بها الاندية وتضيق بها السهول ٢٣٥ . واعلنوا ان في البلد دعوة جديدة انتقلت بالامة من حال الى حال ، وتطورت بقضيتها تطوراً كبيراً .. وان هذه القضية تريد ان تحتل مكانها بعد هذا الظهور ، وان تأخذ منزلتها من الصدارة وان هذه القضية هي وحدها قضية الاصلاح في الامة ٢٣٦ .

وهنا ميّزوا « دعوتهم » من حركة الاصلاح التي قام بها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وغيرهما . فالمناداة بالفكرة الاسلامية واظهار جمالها بكل الاساليب التاريخية المعروفة لا

تنكر . ولكن ذلك غير « الدعوة » الاسلامية كحقيقة دستورية مستقلة يقوم عليها نظام عام له ميزاته ، ثم تنظيم حركة تقود جيلاً يعمل على تطبيق مبادىء النظـــام الاسلامي في الحكم والسياسة والاجتماع ، واقرارها عملياً كدستور واجب النفاذ ، الى جانب الذود عنها كعقيده صحيحة.. و « الدعوة » الاسلامية بهذا المعنى لم يعرفها التاريخ منذ آمـاد طويلة جداً الا حين رفع لواءهـــا حسن البنا في القرن العشرين باسم دعوة الاخوان المسلمين ٢٣٧ .

د ـ وحددوا لهم سياسة معينة من الدول الاوروبيـة التي تحكم بقعة من البقع الاسلامية كانجلترا وفرنسا وايطاليا .

وأساس هذه السياسة امران : الاول ان الوطن الاسلامي واحد لا يتجزأ ، وان العدوان على جزء منه عدوان عليه كله. والثاني ان الاسلام فرض على المسلمين ان يكونوا أئمة في ديارهم سادة في اوطانهم ، بل ليس ذلك فحسب ، بل ان عليهم ان يدعوا غيرهم الى الدخول في دعوتهم والاهتـداء بالاسلام الذي اهتدوا به من قبل .

وبناء على هذا الاساس يتوجب اعتبـــار كل دولة اعتدت وتعتدي على اوطان الاسلام دولة ظالمة لا بدّ من ان تكف عدوانها، ولا بدّ من ان يعد المسلمون انفسهم ويعملوا متساندين متحدين على التخلص من نيرهـا . ويستشهدون عـلى ذلك بمسألة اشبه بفتوى دينية او حكم فقهي ورد في احد الكتب هذا نصها:

« امرأة مسلمة سُبيت بالمشرق وجب على اهل المغرب تخليصها وافتداؤها ، ولو اتى ذلك على جميع اموال المسلمين» ومن البديهي ان المرأة رمز الى الوطن الاسلامي .

وبما ان انكلترا معتدية في مصر وفلسطين، وفرنسا معتدية في سوريا والمغرب ، وايطاليا معتدية في طرابلس (وهذه امثلة لها اشباهها في بقاع اخرى من العالم الاسلامي) ، فيجب اعلان الجهاد عليها واغتصاب الحرية والاستقلال منها ، ولو كلّف ذلك الدم والمال ، اذ الموت خير من حياة العبودية والرق والاستذلال ٢٣٨.

وتنفيذاً لهذه السياسة ساهموا مساهمة فعّالة في قتال اليهود في فلسطين سنة ١٩٤٨ وكانت فرقهم اقوى الفرق واشجعها . وجمعوا الاعانات في الداخل لمساعدة المقاتلين ، وساهموا في قتال الانجليز في منطقة القنال بعد المحنة .

ولكنهم قدّموا خدمة الوطن الخاص على خدمة الوطن العام، خدمة المرء وطنه اولاً ثم اوطان المسلمين على اساس الاقرب اولى بالمعروف . هذا من حيث العمل . اما من حيث المبدإ ، فالاسلام لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعاً امّة واحدة ، والوطن الاسلامي وطناً واحداً ، مهما تباعدت اقطاره . ولذلك فهم ينادون بان وطنهم هو كل شبر ارض فيه مسلم ٢٣٩، وان مهمتهم بعد تحرير وطنهم تحرير سائر الاوطان الاسلامية ٢٤٠ ، وان الوطن

الاسلامي سما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية الى وطنية المبادىء السامية والعقائد الخالصة الصحيحة والحقائق التي جعلها الله للعالم هدى ونوراً ٢٤١ . وهم يشبهون (السنوسية) وبعض الطرق الصوفية في افريقيا التي رأت من واجبها نشر الدين . وربما كان هذا الاتجاه الفعّال في نشر الدعوة — في افريقيا خاصة — رد فعل لحركات التبشير التي نشطت في تلك القارة . اما الشيوعية فقد حملوا عليها وسفهوا آراءها ٢٤٢ .

ه — وحدّدوا سياستهم من الاقليات التي تشاطرهم الوطن وفق نصوص القرآن . فقد نص « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرّوهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » ورأوا في ذلك دعوة الى وجوب حماية المواطنين من غير المسلمين والبرّ بهم والاحسان اليهم .

اما بشأن اصحاب الاديان السماوية فقد نصّ القرآن « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين احد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » .

اما من يجب ان يُناوأ ويُقاطع ولا يتصل به فقد حددته الآية : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم

من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

اما العهود التي تقطع فتجب المحافظة عليها حسب نص القرآن « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً » و « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » و « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » .

وقالوا : ان الاسلام الذي يضع هذه القواعد ويسلك باتباعه هذه الاساليب يجب ان يعتبره الغربيون ضمانة اخرى تضمن لهم الوفاء بمعاهداتهم واداء التزامات الدول الاسلامية لهم . بل نقول انه من خير اوروبا نفسها ان تسودها هذه النظريات السديدة في معاملات دولها بعضها لبعض فذلك خير لهم وأبقى ٢٤٣ .

وأراد البنا ان يؤكد سياستهم في بعض المناسبات فأرسل مرة الى توفيق دوس باشا – القبطي – رسالة تهنئة لانتخابه عضواً في مجلس الشيوخ ، ورد دوس باشا على تهنئته بانه سرّ بصدور جريدة الاخوان ونزعتهم القومية التي لا تعترف بالحزبية والطائفية والعنصرية ٢٤٤ .

وأكد مرة في مقال له ان حركتهم ليست بتعصبية ولا جامدة ولا حزبية ليطمئن الاقليات – ولا سيما الاقباط – الى حسن نواياهم ٢٤٥ . وقد التزموا هذه السياسة نحو مواطنيهم الاقباط الى اليوم . وعندما اعتدي على كنيسة قبطية في

السويس بريء الاخوان من هذا الاعتداء وحملوا على مرتكبيه وشهد لهم الاقباط بالبراءة . وقد جرى المرشد العام الجديد على هذا المنهاج فكان في تجواله في القطر المصري يزور الاقباط والمؤسسات المسيحية توثيقاً لروابط المحبة بين المواطنين جميعاً .

و – هذه هي الخطوط الرئيسية لمبادئهم السياسية التي يبدو انها اتضحت وتبلورت مع الزمن . واذا صحّ ما ذكر سابقاً من انهم بدأوا دينيين ثم توسع منهجهم بعد ما نالوه من نجاح وانتشار ، وخاصة بعد ان اثيرت امامهم المشاكل ووجهت اليهم الاسئلة ، فاضطروا ان يوضحوا ويفصلوا ، اذا صح ذلك كانت هذه المبادىء السياسية متأخرة عن المبادىء الدينية زمناً على الاقل . على انه من المحقق انهم تقيدوا في صياغة هذه المبادىء بما ورد في القرآن من نصوص وبما استخلصوه من تاريخ الاسلام من آراء . ومن البديهي انهم حكّموا فهمهم في النصوص مخالفين آراء فريق من المسلمين او على الاصح احد القضاة السابقين الشيخ علي عبد الرازق في المبدإ الاول الذي بُسط سابقاً . وهو شرعية الحكومة الدينية . وخلاصة رأيه انه ليس في القرآن ولا السنة دليل على وجوب الخلافة ، وان شعائر الحكم سياسية يرجع فيها الى احكام العقل وتجارب الامم وقواعد السياسة . وكذلك تدبير الجيوش وعمارة المدن والدواوين فانها ترجع الى الهندسة ، وان الرسالة غير الملك ، وان ما يبدو من مظاهر دولة فوسيلة الى تثبيت الدين فقط ، وان الاسلام وحدة دينية للناس

كافة ٢٤٦ . ونسج على منوال علي عبد الرزاق الشيخ خالد محمد خالد في كتابه من هنا نبدأ .

ومهما يكن من شيء فسواء كانت آراؤهم السياسية متأخرة عن آرائهم الدينية ام متقدمة ام مماشية لها فلا شك في انهم راعوا عوامل الزمن والظروف المحيطة بهم عند تقرير الوسائل التي ينبغي ان يتوسلوا بها الى تحقيق مبادئهم .

بدأوا اولاً ببث الدعوة بقصد اعداد جيل جديد واعٍ المبادىء مترب عليها ، يكون لها اشبه بالجنود المدافعين ٢٤٧ .

ثم ثنّوا بكتابة الرسائل الى الملوك والحكام في شتى المناسبات يدعونهم الى التمسك باهداب الدين واستمداد الاصلاح من القواعد الاسلامية . ولما اصدروا جريدتهم اعادوا نشر بعض هذه الرسائل ، واضافوا اليها رسائل جديدة ، وصاروا يتتبعون الاحداث السياسية ويدون آرائهم فيها بصراحة وجرأة . ثم عنوا بالمؤتمرات الدورية (مرةً كل سنتين) والمؤتمرات الطارئة لمواجهة الاحداث الجديدة ، ثم اخذوا يحاضرون في المدن والريف وفي الاذاعة ، ثم اقتحموا ميدان المظاهرات يشتركون فيها حيناً ويقودونها ويشرفون عليها حيناً آخر . ثم اعدّوا الكتائب ومرنوها على القيام باعمال الجندية او شبه الجندية لكي يكونوا مستعدين للقتال في اوقات الطوارىء كما حدث في قتال فلسطين . ثم نشروا عدداً من الكتب التي تشرح الدعوة شرحاً وافياً في جميع النواحي مشتملة على الناحية السياسية . وبالجملة لم يتركوا

وسيلة الا اتخذوها لاظهار مبـــادئهم ونشرها والدفاع عنها . والسياسة في جميع هذه النشرات والمؤلفات تحتل مكاناً بارزاً . والواقع ان ناحية « الدعاية » كانت مركزة تركيزاً قوياً ، وهي في العصر الحديث سلاح فعـال . وهذه احدى ميزات الدعوة الظاهرة .

وربما كان من المناسب ان نختم هذا الفصل بعبارة تلخص سياستهم كلها قالها البنا نفسه . فقد شبه الدولة الاسلامية بالمنضدة ذات الارجل الثلاث اذا كسرت احدى ارجلها سقطت. فالرجل الاولى هي المبادىء الاسلامية . والثانية هي الامة المتحـدة . والثالثة هي الحكومة الاسلامية التي تعمل عـــلى وحدة الامة ووحدة المبادىء ٢٤٨ . وفي هذا المثل الذي ضربه البنا تصوير لسياستهم يغني عن الاطناب .

وماذا كان شأنهم خارج مصر ، وكيف تدرجوا في فتح الفروع في الاقطار العربية ؟

الفصل السابع

حركة الاخوان خارج مصر

تنص المادة الثانيـة من « قانون النظام الاساسي » للاخوان المسلمين على ان : « الاخوان المسلمون هيئة اسلامية جامعة تعمل لتحقيق الاغراض التي جاء من اجلها الاسلام.. »

ومعنى هذه المادة ان حركة الاخوان ليست مصرية بحتة ولا عربية بحتة ، ولكنها اسلامية جامعة .

هذا من حيث المبدإ . اما من حيث العمل فهم يرون التدرج من الوحدة القومية الى الوحدة العربيـة الى الوحدة الاسلاميـة . والولاء في نظرهم لهـذه الاحداث « الثلاثة » لا يتنازع ولا يتناقض . فالاسلام فرض ان يعمل كلُّ إنسان لخير بلده وان يقدم اكبر ما يستطاع من الخير للامة التي يعيش فيها . ثم ان الاسلام نشأ عربياً ، ووصل الى الامم عن طريق العرب ، ونزل القرآن بالعربية . ولذلك فان وحدة العرب أمر لا بد منه لاعادة مجد الاسلام واقامـة دولته . (وهم يقصدون بالعروبة عربية اللسان) . ثم ان الاسلام وطن وجنسية ، كما هو عقيدة وعبادة . والمسلمون جميعاً متساون . والوطن الاسلامي وطن واحد مهما تباعدت اقطـاره . وهو وحدة لا تتجزأ .

وبناء على هذا التحديد فالاخوان يعملون لجمع كلمة المسلمين واعزاز اخوة الاسلام وينادون بان وطنهم هو كل شبر ارض فيه مسلم . وهم يرون ان هذه الوحدات لا تتعارض ، وان كل واحدة تشدّ ازر الاخرى وتحقق الغاية منها . واذا اراد اقوام ان يتخذوا من المناداة بالقوميـة الخاصة سلاحاً يميت الشعور بما عداه منهم ليسوا معهم ٢٤٩ .

وهم يرون مصر قد انتهت اليها رئاسة الامم الاسلامية بحكم ظروف كثيرة ٢٥٠ ، ويرون الاخوان المسلمين انهم في مصر هم القلب المؤمن والعقل المستنير والشباب الجرىء المتوثب ، وان من مصر ستنطلق بشائر الحرية الى الشرق الاسلامي كله حاملة اليه الوحدة والى العدو نذير الويل والهزيمة ٢٥١ .

وهم يرون كذلك ان الاسلام استيقظ من غفوته وبدأ يزحف. استيقظ اولاً باسم الفكرة القومية الوطنية، ثم باسم الفكرة العربية التي صارعت الجامعة الطورانية، ثم مضت الفكرة الى هدفها بقوة وعزيمة اسلامية بحتة ٢٥٢ .

وبما انه نشأت بعد الحرب الكبرى الاولى حركات متنوعة كالقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية والعـالمية ، وكان لا بد للامم الاسلامية من ان تختار لها مذهباً من المذاهب ، فقد رأى الاخوان ان الاسلام خاض في لبّ هذه الحركات ووضع للعالم النظم التي تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن ، وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات . ولذلك فهم يطالبون ان

تكون قواعد الاسلام هي الاصول التي تبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شؤون الحياة . ويعتقدون ان كل مظهر من مظاهر النهضة الحديثة يتنافى مع قواعد الاسلام ويصطدم باحتكام القرآن فهو تجربة فاشلة ، ستخرج منها الامة بتضحيات كبيرة في غير فائدة . فخير للامم التي تريد النهوض ان تسلك اليه اخصر الطرق باتباعها احكام الاسلام.

وها قد نهض الاخوان بهذه الدعوة لا يختصون بها قطراً دون قطر من الاقطار الاسلامية . ولكنهم يرسلونها صيحة يرجون ان تصل الى آذان القادة والزعماء في كل قطر يدين ابناؤه بدين الاسلام . ويحذرون الشعوب الشرقية الاسلامية من الاندفاع في تيار التقليد فترقع نهضاتها بتلك النظم البالية التي انتقضت على نفسها واثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها٢٥٣.

واذن فقد كان في صلب الدعوة العمل على نشرها في العالم الاسلامي كله بل وفي كل بقعة يقطنها نفر من المسلمين . ولكن متى بدأ ذلك ؟

ليس هناك تواريخ وثيقة تبيّن متى فتحت الفروع في خارج مصر . ولكن يبدو بوضوح ان العمل في الخارج مرّ في مرحلتين. الاولى مرحلة الاهتمام بشؤون العالم الاسلامي وقضاياه السياسية على وجه خاص . وقد بدأت هذه المرحلة قبل سنة ١٩٣٧ . فقد كان البنا يتحدث في خطبه عن العالم الاسلامي ويدعو الى ان يتمتع بحريته واستقلاله ٢٥٤ . وكان يعتبر الاخوان حماة

القضايا الاسلامية عامة والقضايا السياسية خاصة ٢٥٥ . واغلب الظن ان قضية فلسطين فتحت عيونهم على مصاب العرب في تلك البقعة في حوادث سنة ١٩٣٦ ثم بعد هذا التاريخ ٢٥٦ . وظلوا منذ ذلك الوقت يتابعون هذه القضية باهتمام بالغ . وربما يصح القول ان القضية الفلسطينية شحذت همتهم للمزيد من العناية بقضايا البلاد العربية . وارسل البنا مرة رسالة باسم الاخوان الى سلطان مراكش واخرى الى رئيس الحكومة الفرنسية طالباً الافراج عن الامير عبد الكريم ٢٥٧ .

اما المرحلة الثانية فمرحلة انشاء الفروع في الخارج وهذه بدأت سنة ١٩٣٧ وهي السنة التي اسس فيها فرع دمشق على ان يكون مركزاً للجنة عليا تقوم بانشاء المراكز في مختلف المحافظات في سوريا ولبنان . ولكل مركز الحق في انشاء فروع في الملحقات بعد موافقة اللجنة المركزية . وله ايضاً ان يفتح شعباً في احياء المدينة .

وربما يخطر بالبال لمَ بُدىء بدمشق ؟ الراجح ان سبب البداية بها يرجع الى الطلبة السوريين الذين كانوا يدرسون في مصر وينتسبون الى الاخوان في عهد الدرس . وقد عُني الاخوان بالطلبة العرب الذين يدرسون في مصر عناية خاصة واحاطوهم بالرعاية والتكريم وعاملوهم كما يعاملون الاعضاء المصريين تماماً . وهنا تمّ الاتصال بين الدعوة في مصر وبين الطلاب العرب . وكان اولئك الطلبة دعاة متحمسين للاخوان

في بلادهم . وحين تهيأت الاسباب نظم اولئك الطلبة فروعاً في بلادهم بالتعاون مع الاشخاص الذين يتفقون معهم في الاهداف .

وبما ان فرع الشام من اهم الفروع في خارج مصر ، وذكر مرة عن احتمال نقل القيادة اليه من مصر إثر مقتل البنا ومصادرة جميع فروع الدعوة واموالها ، وبعض اعضائه تولوا مناصب عالية في الحكومة السورية ودخلوا مجلس النواب، فمن الضروري تأريخه بايجاز .

نهض بالعمل للدعوة سنة ۱۹۳۷ بضعة عشر فرداً من شباب الجامعة السورية وطلاب العلوم الشرعية، وارادوا ان يتسموا باسم واحد وان تكون منظماتهم في مختلف البلدان مرتبطة بعضها ببعض رسمياً . ولكنهم خشوا بطش حكومة الانتداب فالتجأوا الى اللف والدوران حتى يصلوا الى اغراضهم . فأسست جمعيات ذات رخص واسماء مختلفة . فتأسست اولاً (دار الارقم) في حلب ، فجمعية الشبان المسلمين في دمشق ، فجمعية الرابطة في حمص ، فجمعية المكارم في القدس ، فجمعية الاخوان المسلمين في حماه ، فسائر الجمعيات الاخرى في بيروت وطرابلس ودير الزور واللاذقية . كما اسست لها مراكز في بعض بلاد الغرب التي كان يجتمع فيها قسم من اعضائها للدراسة .

وكانت هذه الجمعيات المختلفة الاسماء وثيقة الصلة بجميع الحركات الوطنية والاصلاحية العربية والاسلامية . وكانت تشكل بمجموعها جماعة واحدة مع تعدد الاسماء . وتعارفت فيما

بينها على التسمي (بشباب محمد) .

وأخذت هذه الجمعيات تعقد مؤتمرات . فعقد اولها في حمص . وثانيها سنة ١٩٣٧ . ولما عقد المؤتمر الثالث بدمشق سنة ١٩٣٨ كانت الجماعة قد سارت شوطاً بعيداً في التنظيم . وقد قررت في هذا المؤتمر اتخاذ مركز رئيسي لسائر الجمعيات يكون مركزه دار الارقم في حلب .

ومرت بعد ذلك عدة اعوام — وكانت تلك اعوام الحرب العالمية الثانية العصيبة — تعذر فيهـا عقد المؤتمرات . واكتفي بأن يقوم المركز الرئيسي بمهمته وان يتصل امناء سرّ الجمعيات بعضهم ببعض . وفي سنة ١٩٤٣ عقـد مؤتمر رابع في حمص اشترك فيه ممثلو المراكز في سوريا ولبنان واقرّ بقاء (دار الارقم) في حلب مركزاً رئيسياً . واتخذ قرارات ذات لون جديد كاحداث منظمات السرايا والفتوة في كل مركز ، والعناية بالناحيتين الرياضية والاقتصادية الى جانب النواحي الثقافية والاجتماعية والاخلاقية والقضايا الاسلامية والعربية العامة .

وفي عام ١٩٤٤ عقـد المؤتمر الخامس في حلب وقرر الغاء المركز الرئيسي في حلب وتأليف لجنة مركزية عليا في دمشق مشكلة من ممثل عن كل مركز ، لها مكتب دائم ، وعلى رأسها مراقب عام — هو الشيخ مصطفى السباعي — وتعقد اجتماعات دورية . وحضر هذا المؤتمر مندوب من الاخوان المسلمين في مصر . وتم الاتفاق — بعد الاتصال مع مؤتمر الاخوان في مصر

وفلسطين – على توحيد اسماء الجمعيات باسم (الاخوان المسلمون) وعلى توحيد النظم . وبذلك دخلت مرحلةً جديدة موحدة الاسم والاهداف قوية الفاعليـــة . فاسست المعهد العربي الثانوي ، وشكلت دار الطباعة والنشر العربيـة ، التي تولت اصدار جريدة (المنار) لسان حال الجماعة في سوريا التي ما تزال تصـدر الى اليوم ، ولكنها لم تعد تنطق باسم الجماعة رسمياً ، وشركة النسيج في حلب .

وفي سنة ١٩٤٦ عقـــد المؤتمر السادس في يبرود لمراكز الاخوان في سوريا ولبنان، بعد ان توّحدت الجماعة اسماً واهدافاً مع الاخوان في مصر . وسبق المؤتمر اقامة معسكر تدريب للفتوة في يبرود نفسها . وبعد ختام المؤتمر دعت اللجنة المركزية طائفـــة من رجال دمشق الى ناديها وتلت عليهم المقررات التي اتخذت .

ومن اهم هذه المقررات :

ا – ارسال بعثات علمية من طلاب الجماعة للدراسة في مصر واوروبا .

ب – توسيع نطاق الحركة الرياضية والفتوة .

ج – تأليف لجان للعناية بشؤون العالمين العربي والاسلامي تتولى متابعة الحركات الوطنية في الاسكندرونه ومصر وشمال افريقيا وطرابلس الغرب والهند واندونيسيا ، ولجنة خاصة بقضية فلسطين .

د – تأليف لجنة لاتخاذ الطرق العملية للنهوض بالفلاحين والعمال .

وحددوا اهداف الجماعة كما يلي :

ا – تحرير الامة وتوحيدها وحفظ عقيدتها وبناء نظمها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على اساس الاسلام.

ب – ليسوا حزباً كسائر الاحزاب . وهدفهم اصلاح المجتمع لا الوعظ فحسب ، اصلاحاً منبعثاً من ذاتية الامة وعقائدها المقدسة . وفي سبيل ذلك يحاربون اي استعمار باي شكل كان ، ويتعاونون مع كل هيئة وطنية تعمل لخير الوطن. ودعوتهم شاملة تتناول الاقتصاد والاخلاق والسياسة الوطنية والثقافة والرياضة وشتى نواحي الاصلاح ، اذ ذلك كله هو مفهوم الاسلام في معناه الصحيح الواسع [قابل ذلك بآراء الاخوان في مصر] .

ج – وهم يدعون الى التعاون بين ابناء الامة كلها لا فرق بين مذهب ومذهب وينقمون على كل محاولة ترمي الى تفريق الصفوف باسم الاديان والطوائف ، ويرونها حركة هدامة تخدم مآرب المستعمرين .

د – وفيما يتعلق بالقضايا الوطنية الداخلية فهم يدعون الى اصلاح جهاز الدولة بتنفيذ القوانين دون محاباة – ولا يشيرون الى اصلاحها على اساس الدين كما عند الاخوان في مصر – ويطلبون العناية بالتعليم والاخلاق والاقتصاد والزراعة والصناعة.

هـ – وفيما يتعلق بالدين حرصوا على عدم اثارة النعرات الطائفية . فذكروا ان دعوتهم هي رجوع الى تعاليم الاديان الصحيحة البعيدة عن تلاعب ذوي الاهواء . والاديان كلها تأمر بهذا وتحث عليه . والذين يظنون في دعوتهم تغذية للشعور الطائفي هم اجهل الناس بطبيعة الاديان ومراميها . وبدعوتهم تمّ التفاهم الحقيقي بين ابناء الوطن الواحد . فاتسعت منابرهم لخطباء المسيحيين ، ومنابر المسيحيين لخطباء الاخوان .

وظلت الجمعية سائرة في طريقها . وفي حرب فلسطين ١٩٤٨ ألفت كتيبة للقتال بقيادة الشيخ مصطفى السباعي المراقب العام للاخوان في سوريا . وجاء البنا من القاهرة الى بيروت فدمشق متفقداً كتائب الاخوان في قطنا .

وعندما صودرت جمعيات الاخوان في مصر واغتيل البنا اتجهت الانظار الى جمعيات الاخوان في سوريا ولا سيما الى الشيخ مصطفى السباعي نفسه باعتباره من اقوى المرشحين للقيادة . وظلت جريدة الاخوان في دمشق تصدر كعادتها . ونشرت عدة كتب للبنا وعنه في دمشق ، في حين انحلت شعب لبنان او توارت . وتولى بعض الاعضاء مناصب عالية كالوزارة . ودخل بعضهم مجلس النواب . وصرّح بعضهم تصريحات اشتمت منها ميول يسارية . ولكن السباعي كرر في خطبه الحملة على الشيوعية وعلى الديموقراطية الغربية ، داعياً الى الوقوف على الحياد في اي صراع عالمي جديد ، واستمداد النظم من الاسلام

وفق المبادىء التي سار عليها الاخوان في مصر . على ان هذا لا ينفي اتجاههم نحو الاشتراكية او على الاصح « الاشتراكية – الاسلامية » واتجاه بعض افراد منهم خطوة ابعد من ذلك. ولكنها مهما بعدت لا يمكن ان تبلغ حد الشيوعية .

وما زال الاخوان – في اثناء قيام الحكومة العسكرية الموقتة في سوريا سنة ١٩٥١ – يعملون تجربة نسبية ، الى ان صدر قرار بحلهم في ٥٢/١/١٧ بدعوى اشتغالهم بالسياسة وهم اصلاً هيئة دينية صرفة . وقد ذكر في بعض المصادر انهم من طلاب « الحكومة الدينية » فهل هذا صحيح ؟ اما ان الاخوان في مصر من طلاب هذه الحكومة فامر فوق كل شبهة واوضح من ان يمارى فيه . ولكن الاخوان في دمشق – وسائر سوريا بالطبع – لا يطلبون هذه الحكومة بصراحة وحرارة كما هو الحال في مصر . والواقع ان موقفهم مرّ في ثلاثة ادوار . ففي دور نشأتهم سنة ١٩٣٧ لم يشيروا الى الحكومة الدينية البتة . وكان مطلبهم من الناحية السياسية يتركز في العمل على تحرير البلاد العربية والاسلامية من الاستعمار والنفوذ الاجنبي . ومن الناحية الوطنية المحلية طلبوا « اصلاح عيوب النظام السياسي بحيث يتمكن افراد الشعب من اختيار نوابه بطرق شريفة لا تأثير فيها ولا اغراء ، بحيث يتمكن نواب الامة من الاشراف على شؤون الدولة دون تميز » ، كما طلبوا اصلاح الانظمة والقوانين والمحاكم بما يحقق العدالة بين الناس وايصال الحقوق الى اربابها

ومنع البغي والعدوان والفساد». وحددوا اول غاية لهم: بـ «شرح رسالة القرآن – دستور العرب والمسلمين – وعرضها بما يلائم روح العصر وبابرازها للناس كاقوى رسالة وا كملها» ٢٥٨ .

وفي الدور الثاني سنة ١٩٤٦ – بعد مؤتمر بيرود وفي وقت ازدهار الحركة في مصر وبلوغها اوج قوتها– قرروا ان في الاسلام من متانة الاصول التشريعية – القرآن والسنة والاجماع والقياس – ومرونتها ما يجعله متمشيا مع الزمن كافلا لسعادة البشر في مختلف بقاعهم في حياتهم المادية والروحية. وقرروا كذلك ان الاسلام عقيدة وعبادة وخلق وتشريع ودين دولة (وازن ذلك باقوال الاخوان في مصر). وطلبوا اعادة النظر في القوانين الجزائية والمدنية والاقتصادية والاخلاقية والتعليمية وصوغها من جديد بما يتفق مع تشريع الاسلام وروحه ويحقق مصلحة الامة وامنها ورخاءها. وفي الوقت نفسه قرروا: ان في المدنية الغربية خيراً كثيراً. وشراً كثيراً. وان في الاخذ بما يفيد من صناعتها وعلومها قوة لنهضتنا لا غنى عنها. وكل تجديد نافع لا يذيب شخصية الامة ولا ينافي فضائلها الاصلية هو قوة جديدة تدعم كيانها وتضمن مستقبلها.

ومن الواضح انهم لم يتعرضوا للدستور ولا لنظام الحكم القائم يومئذ –الجمهوري– ولا للسياسة بصورة صريحة. فهل ابطنوا في نفوسهم «الحكومة الدينية» ولم يفصحوا عنها؟ ولِمَ لم يطلبوا اعادة النظر في الدستور كي يتفق مع التشريع الاسلامي وروحه؟

وفي الدور الثالث ، في سنة ١٩٥١ ، حين وضع دستور جديد للدولة السورية دعا الاخوان الى ان يكون في صلبه نص على ان دين الدولة الاسلام – كما هو الحال اليوم في مصر والاردن والعراق وايران وافغانستان والعربيـة السعودية واليمن – ولكن المجلس عدل هذا الطلب بان نص على ان يكون الاسلام دين رئيس الجمهورية فقط . ويبدو ان الاخوان قبلوا بذلك او على الاقل نزلوا عند حكم الاكثرية . ولكن هذا النص المطلوب لا يعني ان تكون الدولة دينية . فالدول المذكورة سابقاً ليست كلها دينية تماماً . وهي جميعاً تنّص على حرية العقيدة والعبادة لجميع مواطنيها . وبعضها جدد نظام الحكم فيها على اسس غربية ٢٥٩ . والاتجاه نحو هذا التجديد يتزايد مع الزمن . وهذا الواقع خلاف مطلب الاخوان في مصر ، كما تبيّن سابقاً . وعلى كل فالذي يستخلص من شواهد الحال ان الاتجاه نحو حكومة دينية في سوريا عامة وفي حلقـات الاخوان خاصة اضعف جداً مما هو في مصر . وحركة الاخوان في سوريا اقل نشاطاً وانتشاراً مما هي في مصر .

اما فروع فلسطين فتأسست سنة ١٩٤٦ – اي بعد فروع سوريا بنحو عشر سنوات – في اثنـاء ازدهار الدعوة في مصر . وكانت البواعث خارجية . وكانت فلسطين تعـاني اضطراباً سياسياً عنيفاً يصرفها عن التفكير في اية شؤون دينية . ولكن جريدة الاخوان كانت تصل الى فلسطين كل صباح بانتظام ،

وفيها مقالات عنيفة في الدفاع عن حقوق العرب السياسية . كما سبق ان اشترك الاخوان في جهاد الفلسطينيين في اضطرابات ١٩٣٦ – ١٩٣٩ اشتراكاً ضئيلاً نسبياً بالقياس الى اشتراكهم في القتال سنة ١٩٤٨ على ان عدداً كبيراً من رجال الدين –ولا سيما في حيفا – سبق ان اسسوا جمعيات ذوات صبغة دينية ، وان لم تكن ذوات مناهج شاملة كمناهج الاخوان في مصر .

يضاف الى هذا الجو ان الاخوان في مصر اخذوا يرسلون الرسل الى فلسطين يبسطون الدعوة بسطاً وافياً في المساجد ، ويتناولون الناحية السياسية بالمعالجة المتفقة مع الرغبات القومية .

ونتج عن ذلك ان انتشرت الدعوة اولاً على الالسنة ثم صار لها انصار ومؤيدون . ثم جاء مندوب من قبل الاخوان (عبد المعز عبد الستار) واحتفل بافتتاح فرع في القدس في ١٩٤٦/٥/٥ حضره ما يزيد عن الفي شخص . ومما ذكره المندوب ان الدعوة ليست عنصرية ولا طائفية . وتكلم في هذا الاجتماع جمال الحسيني نائب رئيس اللجنة العربية العليا وقال انه تمنى منذ تسع سنوات ان تنشر دعوة الاخوان في فلسطين ، وان امنيته قد تحققت الآن . واعلن انضمامه الى الاخوان وحلى صدره بشعارهم .

وبعد انتهاء الاحتفال جمع مبلغ ١٨٧١ ج فلسطينياً لبناء دار . واخذ فرع القدس فيما بعد ينظم المحاضرات ، يلقيها فلسطينيون ، واحياناً زوار من اخوان مصر . وفتح نادياً خاصاً ذا مكتبة . ثم ارتفع المبلغ المجموع الى ٦٠٠٠ ج . ف .

واستطاع فرع القدس ان يستملك قطعة ارض من الاوقاف الاسلامية ليقيم عليها داراً . ووجد تشجيعاً كبيراً من مختلف طبقات الشعب . على انه لم يكن مستقلا او شبه مستقل كفرع دمشق مثلا ، بل كان فرعاً من فروع الاخوان في مصر ، تابعاً لهم في المنهج والعقيدة .

وحين وقع القتـــال سنة ١٩٤٨ اشترك بعض الاخوان الفلسطينيين فيه واتخذوا من الدار مقراً للجهاد . ثم اقفل باحتلال القدس الجديدة . وبعد استقرار الحالة نسبياً في القدس عاد الفرع الى نشاطه بصورة ضيقة جداً . وكان ينشر سنة ١٩٥١ في احدى الجرائد القدسية اليومية (الدفاع) مقالات طيلة شهر رمضان يتحدث فيها عن الدين والسياسة على طريقة الاخوان في مصر .

ثم انشئت الفروع في سائر مدن فلسطين . فانشىء فرع في يافا ، وفرع في اللد وفرع في حيفا انضمت اليه جماعتا (انصار الفضيلة) و (الاعتصام) وهما جمعيتان اسلاميتان . وكان ذلك بحضور مبعوث المركز العام في القاهرة (عبد المعز عبد الستار) .

وانشىء فرع في طولكرم ، بحضور المبعوث ايضاً . وبعد ذلك بقليل – ١٨ اكتوبر ١٩٤٦ – عقد مؤتمر عام في حيفا حضره ممثلون عن لبنان والاردن وفلسطين استعرض فيه حال فلسطين السياسية ، واتخذ قرارات منها : اعتبار حكومة فلسطين مسؤولة عن الوضع السياسي المضطرب ، وتأييد الجامعة العربية ، ومطالب مصر بالجلاء ووحدة وادي النيل ، وعرض قضية فلسطين

على مجلس الامن ، وتأييد المشاريع التي ترمي الى انقاذ الاراضي، وعدم اعترافهم باليهود الطارئين على البـــلاد ، وتعميم شعب الاخوان ، وتحية المرشد العام في مصر ، وشكر الاخوان في البلاد العربية .

وهذا الاتجاه السياسي المحض متفق والاتجاه الذي سار فيه الاخوان في مصر . فقد اتجه الاخوان في هذه المرحلة كلياً الى السياسة واضحى الهدف الديني ثانوياً .

وانشئت في الوقت نفسه فروع في الاردن . ويبدو ان الملك عبدالله بارك هذه الحركة وآزرها . فقد طلب الى مندوب الاخوان ان ينقل تحياته الى الاخوان المسلمين راجياً ان تكون حركتهم لا مرمى لها سوى التفاني في مرضاة الله والعمل لوجهه ولفائدة الاخوان المسلمين . وكلفه ان يدعو المرشد الاكبر الى زيارة الاردن باسمه ٢٦٠ .

وظلّ فرع عمان مستمراً في اثناء قتال فلسطين وبعده الى هذا اليوم . ولكنه محدود النشاط مقيد بالاوضاع السائدة . على ان لوجوده دلالة. فقد امتدت الدعوة حتى بلغت سوريا وفلسطين والاردن. واصبحت الاسلاك متصلة ما بين مصر وهذه البلدان.

ويبدو ان الاخوان جدّدوا نشاطهم في لبنان سنة١٩٤٩ . ولكنهم احتفظوا بطـــابع خاص ينسجم مع بلد « الطوائف والطائفية » فاعلنوا « اننا لا نعيش في هذا الوطن وحدنا وانما هناك طوائف اخرى شقيقة يجب ان نتعاون واياها عـلى اصلاح

الوطن وحمايته ... ونعلم ان الدين لله والوطن للجميع وان لكل فريق حقاً يرضيه » . وبرروا وجودهم بكثرة الاحزاب. وركزوا هدفهم في شقين. الاول: اصلاح الدار. والثاني: التعاون مع الجار . واوردوا تحت الاول ثمانية عشر بنداً تتصل باصلاح حال المسلمين الداخلية ، وتحت الثاني المحافظة على حقوق الطوائف الاخرى والتعاون معها لحفظ الوطن واقرار السلام والمحبة ومحاربة الطائفية العمياء والمتاجرة بالدين .

اما السياسة فقد نصوا على «عدم التدخل في الامور السياسية التي لا تمسّ كياننا ولا تنافي مصلحة الامة والوطن ». ولكنهم في الوقت نفسه ذكروا انه سيكون لهم (فيالق) رسمية ذات قائد اعلى يكون من اعضاء (الهيئة العليا للجماعة) . وشرطوا للانتساب اليهم عدم الانتساب الى اية جماعة او هيئة او منظمة اخرى . وجاروا منصب (المرشد العام) في القاهرة بان منحوا (الواعظ العام) كثيراً من امتيازاته في التعيين والاشراف .

وبلغوا ذروة الطرافة حين اعلنوا انهم يمنحون اوسمة على خمسة عشر نوعاً تبدأ بوسام الكعبة وتنتهي بوسام الانصار !

ولا يشيرون الى اية صلة بينهم وبين الاخوان في مصر او على الاقل في سوريا . ويظهر انهم اكتفوا بان جعلوا شعارهم - سيفان يتوسطهما مصحف - مماثلا رمزاً الى الوحدة ٢٦١.

ويبدو ان نشاطهم ظل محدوداً للغاية او مستوراً للغاية ، مع ان جماعة (عباد الرحمن) اظهرت نشاطاً ملحوظاً. فاصدرت

سلسلة نشرات صغيرة تحتوي على وصايا دينية واجتماعية ٢٦٢. والقت احاديث دينية في الجوامع. واسست لها ندوة. وجعلت لها مطبعة . والذي يبدو من منشوراتها انها تحاول ان تنهج على منوال (الاخوان المسلمون) في القاهرة بصورة متواضعة .

وربما كان غريباً ان يجيء دور السودان متأخراً عن سوريا ولبنان وفلسطين . فقد قامت اول محاولة لتأسيس فرع للاخوان في ام درمان في شهر يونيو ١٩٤٦ إثر تنصير فتاة مسلمة على يد الارسالية الانجيلية في تلك المدينة . ولكن هذا الفرع انشيء لغرض نشر الدين الاسلامي ومقاومة التبشير في السودان نتيجة للحادثة المذكورة . واعتبر هذا الفرع تجوزاً شعبة من شعب الاخوان .

وفي شهر اكتوبر ١٩٤٦ ارسل المركز العام عضوين من اعضائه البارزين الى السودان لزيارة شعب الاخوان فيه ، او في الواقع، لنشر الدعوة وانشاء الفروع. وقصد العضوان ام درمان التي اظهرت ميلاً الى ربط جمعيتها الاسلامية بالاخوان في مصر . ثم قصدا الخرطوم وزارا دور الهيئات والاحزاب السودانية وكبار رجالات السودان واخذا يشرحان لهم حقيقة الدعوة وان الاخوان في مصر هم اقوى صوت يحارب فصل جنوب الوادي عن شماله . ويظهر ان السودانيين كانت تساورهم بعض الشكوك حول هذه الدعوة فجلاها المندوبان ورداها الى الانجليز .

واتفق المندوبان مع اعضاء الشعبة الرئيسية في أم درمان

على نشر الدعوة في السودان ورسما لذلك الخطط . وتمكنا في ايام قليلة من افتتاح عدد من الشعب في بلاد الجزيرة . ثم اتجها الى غرب السودان — وكانت اخبار الدعوة قد وصلته إثر زيارة قام بها بعض الاخوان في السنة السابقة — فزارا دور الاخوان والوجهاء وتحدثا عن الدعوة وعملها لاعادة مجد الاسلام . وتمكنا من فتح ٢٥ شعبة في الاماكن المحيطة ببور سودان وعطبرة والدامر وشندى .

وبهذه الزيارة تم فتح السودان في وجه الدعوة بعد مضي نحو عشرين عاماً عليها في القاهرة . ولذا اعتبروه آخر ارض خصبة لدعوتهم . وكانت البعثة تخطب في السوق وفي الجوامع ، وتأخذ البيعة بالولاء بعد استيضاح السودانيين حقيقة الدعوة واهدافها٢٦٣ .

وانتشرت الدعود في بعض بلدان شمالي افريقيا وشرقيها فارسلت الجمعيات والهيئات الاسلامية في اسمره (باريتريا) الى المركز العام في القاهرة تخبره انها اعتزمت ان تطلق على نفسها اسم (الاخوان المسلمين) وتطلب اعتماد تسجيل الاخوان في اسمرة وبلاد اريتريا ، وتأخذ على نفسها نشر الدعوة في بلاد شرقي افريقيا ٢٦٤ .

وتأسس في تطوان (بالمغرب الاقصى) مركز عام تتفرع منه الفروع في سائر انحاء المغرب الاقصى. واسس فرع في مدينة (القصر الكبير) وتقيّد المركز العام في تطوان باوامر المركز

العام في القاهرة ، وتولى التنفيذ والتطبيق بشعب المغرب .

ووصلت الدعوة الى تونس وصرّح رئيس وزرائها في اثناء مروره بالقاهرة « ان اسم الاخوان المسلمين يملأ العالم نوراً وهداية ، واسم الاستاذ البنا يتردد على جميع الالسن كمصلح ديني واجتماعي يرجون على يديه خيراً كثيراً » ٢٦٥ . ولكن لا يعرف عن وجود فرع فيها ، ولا في الجزائر وطرابلس .

وذهبت الى الحجاز بعثة برئاسة البنا نفسه في شهر اكتوبر ١٩٤٦ لاداء الفريضة ونشر الدعوة . واتخذت لها مقراً في مكة وتوافد الاخوان من شعب فلسطين وسوريا والمغرب الاقصى والسودان والهند والقيت فيها الكلمات حول مستقبل الاسلام وأوطان المسلمين باللغتين العربية والانجليزية ٢٦٦ .

والراجح انهم لم يفتحوا لهم فرعاً في البلاد السعودية مع قيام الصلة الوثيقة بين دعوتهم والحركة الوهابية من جملة نواح. ولعل ذلك راجع الى السياسة التي جرت عليها هذه المملكة بعدم السماح بقيام جمعيات فيها .

وفي فترة الازدهار ايضاً – وربما كان ذلك سنة ١٩٤٧ – قدّم احد المحامين في بغداد الى الحكومة العراقية طلباً بتأسيس فرع للاخوان فرفض طلبه . ولكن افراداً من الشعب ، من المحامين وطلاب الجامعة ، ولا سيما من لواء الموصل ، كانوا من اتباع الدعوة . ولوحظ في اثناء الوثبة – اي الثورة على معاهدة بورتسموث سنة ١٩٤٨ – ان من جملة النداءات التي كان يهتف

بها المتظاهرون نداء الاخوان المسلمين « الله اكبر ولله الحمد » مما يدل على ان افراداً كانوا ينتسبون الى الدعوة . وسجن أفراد اثر الوثبة عرفوا بميولهم نحو الاخوان . يضاف الى ذلك ان مكتبة من مكاتب بغداد سميت « مكتبة الاخوان المسلمين » وكانت تبيع مطبوعات الاخوان . وصاحب هذه المكتبة اصدر بعد ذلك جريدة اسمها جريدة (السجل) ، ولكنها لم تنطق باسم الاخوان . ومرّ بالعراق احد دعاة الاخوان بقصد الترويج للدعوة . ولكن فرعاً رسمياً لم يفتح .

وظروف العراق بوجه عام لم تُعِنْ على انتشار الدعوة فيه على نطاق واسع . فمن جهة هناك الشيعة الذين لا يستحسنون هذه الدعوة . وقد ذكر احد الطلاب الشيعيين الذين انتسبوا الى الدعوة في القاهرة ان بعض الشيعيين عتبوا عليه لانضمامه الى الدعوة . ومن جهة ثانية فان الحكومة ما كانت لتسمح بانشاء حزب او هيئة ما دون الحصول على اذن منها . ويبدو ان سياسة الحكومة اجمالاً لم تكن تنظر الى الدعوة نظرة تشجيع . وربما كان لموقف الاخوان المتطرف من الانجليز علاقة بذلك . ومن جهة ثالثة وجدت في العراق جمعية الشبان المسلمين ، وهي تسدّ الحاجة الى حد ما . وما تزال هذه الجمعية قائمة في العراق ، وان كان معظم اعضائها من السنيين .

وبسبب هذه الظروف ظل النشاط مستوراً . وقيل ان جمعية « الاخوة الاسلامية » في بغـداد التي يرئسها الشيخ أمجد

الزهاوي ، ويوّجه نشاطها الشيخ محمد محمود الصواف ، جمعية اخوانية . وقد أعيد طبع عدد من كتب الاخوان في بغداد ، وأسست مطبعة لنشر الرسائل الاخوانية .

ويلاحظ امران في العراق . الاول ان الحركة القومية قوية . والثاني ان الرأي الاسلامي موزع بين فرقتين كبيرتين تكادان تتعادلان . وزعماء كل من الفرقتين يتشددون في الدين تشدداً عظيماً . ولهذين الامرين يضيق مجال العمل امام الاخوان، وينفسح في شمالي البلاد اكثر من انفساحه في جنوبيها .

وذكرت جريدتهم ان افراداً وهيئات اسلامية في امريكا كتبوا الى المركز العام يطلبون برامج الاخوان وتوجيهاتهم ويبدون الرغبة في تسجيل اسمائهم في الاخوان ويعرضون استعدادهم لتكوين جبهة اخوانية في امريكا تعمل لتخليص الاذهان من الشوائب التي علقت بها بتأثير الدعايات السيئة التي ينشرها خصوم الاسلام والصهيونيون . وذكرت كذلك ان المركز سيرسل اليهم مذكرة مطبوعة وافية عن الدعوة والاسلام ٢٦٧ .

وفي بعض المناسبات أناب الاخوان عنهم نواباً من الطلبة لحضور مؤتمرات عقدت في انكلترا وفرنسا لدراسة حال البلدان العربية والشؤون الاسلامية. وابدوا اهتماماً خاصاً بهذه المؤتمرات بغية ايصال الدعوة الى اوروبا عن طريق الشبان المتعلمين الذين يعنون بقضايا بلادهم السياسية قبل كل شيء آخر . وقد كان

لاتجاه الدعوة اتجاهاً كبيراً نحو السياسة ، ومعالجة قضايا جميع البلدان العربية والاسلامية على النحو الذي تعالج فيه القضية المصرية ، كان لهذا اثر كبير في استرعاء عناية الشبان بحركة الاخوان ، اياً كانوا ، في اوطانهم او في اوروبا وامريكا .

اما شعبهم في العالم الاسلامي غير العربي فلا نعرف عنها شيئاً. وتذكر مصادرهم انه كانت لهم شعب في اندونيسيا وسيلان والباكستان وايران وغيرها ٢٦٨ . والراجح ان بعض الجمعيات الاسلامية في تلك البلاد آختهم او ثبتت حركتهم .

ولقد بلغ اهتمام المركز العام حداً ان انشأ « قسماً خاصاً للاتصال بالعالم الاسلامي والبلاد العربية » . وكانت رسائل البلدان العربية الاسلامية ترد الى هذا القسم فيتولى الاجابة عنها، وعنه تصدر التوجيهات الى الافراد والهيئات في خارج مصر . وكان هذا القسم يجمع من المعلومات عن العالم الاسلامي ما لا يتوافر في جمعية اخرى .

والواقع ان الاخوان توسلوا بكل وسيلة ممكنة لبث دعوتهم في الخارج، اولاً لجذب القلوب نحوها وكسب الاصدقاء ، وثانياً لتأسيس الفروع . واتسع نشاطهم في هذا المضمار سنة ١٩٤٦ في مرحلة الازدهار . واعانهم على ذلك صدور جريدتهم اليومية (في ٥ مايو ١٩٤٦) التي فتحت صدرها لمعالجة قضايا البلدان العربية. ومن يراجع هذه الجريدة يجد انها خصصت قسماً كبيراً من اعمدتها للبلدان العربية . وكان محرروها يتصلون بالشخصيات

البارزة من العرب والمسلمين الذين يزورون القاهرة او يمرون بها للتحدث اليهم في شؤون بلادهم . وكان نشر الاحاديث يثير اهتمام قرائهم في البلدان العربية . يضاف الى ذلك ان كثيراً من كبار الزوار كان يزور المركز العام ويتحدث عن شؤون بلاده ، فتنعقد بذلك الصلة بين مصر والخارج . واذا لوحظ ان الاخوان المسلمين كانوا الهيئة المصرية الوحيـدة التي تُعنى جدياً بشؤون العرب والمسلمين في خارج مصر وتشاركهم في بحث احوالهم وتنصرهم على خصومهم السياسيين (الذين هم في الغالب فريق واحد في مصر وخارجها) بان ما يكسبونه من عطف ومؤازرة، وكيف ان التربة كانت ممهدة احسن تمهيد لقيام فروع لهم في الخارج . وهـذه احدى خصائص هذه الحركة الجديدة في الاسلام . فلا يعرف تاريخ المسلمين منذ عهد طويل حركة دينية ـ سياسية تغلغلت الى كثير من البلدان العربية والاسلامية وكسبت المؤازرين والانصار كما فعلت هذه الدعوة. ومما اعانها على النجاح في الخارج بروز العنصر السياسي على العنصر الديني . فلو كانت حركة دينية محضة لكان انصارها من طبقة معينة. ولكن اتجاهها نحو السياسة التحررية والانحياز الى جانب الوطنيين في كفاحهم الاجنبي دون اثارة النعرات الدينية او الطائفية جذب اليها انصاراً من جميع الطبقـــات ، ومن ذلك طبقة الشبان المتعلمين ورجال السياسة . فهي في الخارج اقرب الى الحزب السياسي منها الى الهيئة الدينية .

يضاف الى ذلك انهم فطنوا مسبقـــاً الى وجود خـلافات مذهبية في البلاد العربية والاسلامية - كالسنة والشيعة والعلويين الخ - فصمموا على اغفالها اغفالا تاماً ، منذ البداية ، واعتبروا المسلمين جميعاً كتلةً واحدة يجمعها القرآن . وقد اشاروا الى هذا المعنى في كتاباتهم وخطبهم كثيراً فكسبوا عطف الجميع . وارادوا في بعض البلدان ان يجذبوا اعضاء من الفرق الاسلامية المنحرفة عن السنة . والواقع ان عدداً من تلك الفرق اشترك في الدعوة في مصر وخارجها .

وبعد يحسن بنا ان نبدي رأينا بصراحة واخلاص في هذه الدعوة ، ذاكرين مالها وما عليها .

الفصل الثامن

تحليل الدعوة

ان الفصول السابقة تهدف الى اعطـــاء صورة كاملة قدر المستطاع لدعوة الاخوان المسلمين مدعومة بالنصوص المنقولة من كتبهم ومنشوراتهم . وكان العمل الى الآن ، اشبه بجمع اجزاء صورة متقطعةٍ كالتي يلعب بها الصغار ، لتتكوّن منهـــا صورة مطابقة للاصل . وهذا العمـل سهل الى حدٍ ما لأنه لا يتطلب سوى درس المنشورات الاخوانية ، وانتزاع الحقائق التي تمثـل حركتهم وعرضها بدقة ووضوح وتجردٍ عن الغرض .

ولكن الدعوة تستحق درساً عميقاً ، ونظراً شاملاً ، ونقداً علمياً لابراز خصائصها . ففي احيان كثيرة لا يكفي ان تعرض الصورة امام المشاهدين ، بل لا بد من كتابة شرح في اسفلها يعين المشاهدين على تفهمها وتذوقهـا ، ولو جاء هذا الشرح ممثلاً لرأي فردٍ واحد هو صاحب الشرح ، قد يتفق وآراء المشاهدين او يختلف .

وقد أُلف في هذه الدعوة ما لم يُؤلَّف في دعوة مثلهـا في العـــالم الاسلامي . ولكن الكثرة الكبرى كانت تقصد نشر

الدعوة والترويج لها واظهار محاسنها. ويكفي ان تكون صادرة عن الاخوان انفسهم حتى تكون كذلك . وأُلف في نقد الدعوة كتاب او كتابان . وعيب هذا التأليف انه قصد الى تجريح الدعوة وتسفيه آرائها واظهار مساوئها . ولذلك لا يصح ان يركن اليه . ولا نعرف كتاباً نظر الى الدعوة نظرة علمية او مجردة عن الهوى – معها او عليها – وحاكمها على ضوء الحركات الاسلامية السابقة ، وعلى مقوماتها الذاتية ، واثرها في الحياة العامة في مصر وسائر البلدان التي ظهرت فيها ، ايجاباً او سلباً. وهذا العمل على جانب كبير من الصعوبة والدقة ويتطلب من التجرد والاناة والعمق والاطلاع الواسع وتوافر المؤلفات الاخوانية من كتب ونشرات ومجلات وجرائد ما لايكاد يتيسر لاحد . وعلى ذلك فسيظل التحليل مشوباً الى حد ما بنظرة ذاتية ، وسيظل بعيداً عن الكمال ، الى ان تصبح الحقائق التاريخية – المتعلقة بالدعوة – اكثر وضوحاً ، وابعد عن ملابسات الحوادث الجارية . وعلى كلٍ فهذا التحليل يُفرَضُ فيه ان يكون اقرب الى الصواب من مؤلفات الانصار والخصوم على السواء .

تتصف هذه الدعوة ، بالنسبة الى الدعوات الاسلامية السابقة ، باربعة امور :

الاول الشمول ، والثاني التنظيم الدقيق ، والثالث الشعبية ، والرابع التفاعل مع الاحداث المحلية في مصر .

اما الاول – الشمول – فقد استخلصوه من الدين ، إذ انهم فهموا تعاليم الاسلام انها شاملة شؤون الناس في الدنيا والآخرة ، لا روحية او عبادية فحسب . ولذلك قالوا عبارتهم المشهورة : « الاسلام عقيدة وعبادة ووطن وجنسية ودين ودولة وروحانية وعمل ومصحف وسيف » . ووضعوا منهاجهم ، حسب هذا المفهوم شاملاً جميع نواحي الحياة الروحية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية والزراعية والسياسية والحربية واية ناحية اخرى تتصل بالدين او الدولة بسبب من الاسباب . ولا يعرف تاريخ الاسلام « دعوة » بهذا المفهوم الواسع الشامل. فقد ظهرت حركات سياسية ، وحركات روحية ، وحركات اصلاحية ، اما الحركة الشاملة لجميع الحركات بلا حصر فهي هذه الدعوة . ونتج عن ذلك ان أغرق الدين بطوفان من الظواهر غير الروحية . وربما صحّ ان يسأل سائل : ما علاقة الدين بشركة تجارية او مزرعة تعاونية او فرق كشفية ؟ وقد أثاروا هم انفسهم هذا السؤال ، وقدروا ان يبدو عملهم هذا متناقضاً . وردّوا قائلين : « هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة ولا يلتئم بعضها ببعض . ولو علموا انها جميعاً يجمعها الاسلام ، ويأمر بها الاسلام ، ويحضّ عليها الاسلام ، لتحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعاني الانسجام ٢٦٩ » . وردّهم هذا يشرح مفهومهم الخاص للاسلام او الدين جملة .

ولئن كانوا يقصدون ان الدين يقيم في قلب المؤمن ضميراً

حياً يلازمه في حركته وسكونه ، في حله وترحاله ، في عمله وفي اوقات فراغه ، فذاك قصد له مبررات ، ويلتقي عليه كثير من المفكرين. وان كانوا يقصدون ان الدين يُشرع لهذه المظاهر الدنيوية ويفرض سلطانه عليها ويحدّد سلوك الفرد فيها فقد غالوا في مفهوم الدين، ووضعوا امام السائرين في الدنيا مزالق لا يؤمن فيها العثار. وهو قصد مستبعد لانه لا يلتئم مع ما قرّره (البنا) من ان الشعوب الغربيـــة وصلت « من حيث العلم والمعرفة واستخدام قوى الطبيعة والرقي بالعقل الانساني الى درجة سامية عالية يجب ان يؤخذ عنها » ، كما يجب ان يؤخذ عنها « التنظيم والترتيب وتنسيق شؤون الحياة العامة تنسيقاً بديعاً » . وقوله : « الحضارة الغربية والحيـــاة الغربية قامت على العلم والنظام فاوصلها المصنع والآلة الى جبي الاموال والثمرات وملكها نواحي الامم الغـافلة ٢٧٠ » . واقوال (البنا) هذه تدّل على الانصـــاف وبعد النظر ، وهي في الوقت نفسه تنحّي العصبية الدينية عن العـلم والمعرفة والتنظيم التي هي ميراث الحضارات المتعاقبة . واقحام الدين فيها عدا كونه مخالفاً للواقع ، يصبغها بصبغة خاصة وينفر الناس منها ، مما يؤدي الى الانعزال العلمي والفكري ، وشلل بعض الجماعات الانسانية شللاً تاماً .

ولنا ان نسأل: وما الذي حمل الاخوان على مطّ الدين على هذا النحو ؟

الواقع ان الذي حملهم على ذلك عوامل داخليـة اقتصادية

وسياسية . فقد رأوا معظم الشركات اجنبية . ورأوا السياسة تحرس هذه الشركات وترعاها . ورأوا الدين عاملاً فعالاً في التفقير والترغيب في آنٍ واحد . فتوسلوا به ، وادخلوه هذا المدخل . ولغلبة العصبية الدينية اقبل المصريون على شركاتهم جميعها . وطالما بررت الغاية الوسيلة .

على ان شركاتهم هذه الصناعية والتجارية والزراعية كانت اسلامية اسماً ، وفنية محضة عملاً . فآلات الصناعة والزراعة والتجارة من صنع الغرب . وقد ذكر انه شوهد في مزرعتهم من الآلات الحديثة ما لم يُر مثلها الا في السينما ٢٧١ . وهذا يدل على ان الاهابة دينية والعمل فني غربي . ولو لم يكن الامر كذلك لما نجحت بل لما وجدت .

والصفة الثانية هي التنظيم الدقيق الذي لا يعرف له مثيل حتى في الحركات الاسلامية السرية (الباطنية) ، لسببٍ بسيط ، وهو ان الدعوة جاءت بعد تلك الحركات بنحو الف سنة فاستفادت منها كما استفادت مما جدّ من حركات في الغرب . ويبدو ان المؤسسين اطلعوا على جميع الانظمة التي تيسر لهم الاطلاع عليها ، حيثما كانت ، اسلامية ام غربية ، ودرسوها دراسة دقيقة ، واخذوا منها ما يلائم الدعوة . اما الزعم انهم اقتبسوا نظاماً معيناً على سبيل التقليد — كما يدعي خصومهم — ٢٧٢ فلا مبرر له .

لقد كانت جمعيتهم اشبه بساعة مضبوطة ، كل قطعة فيها

تعمل بالتعاون مع سائر القطع . وكالساعة ايضاً يمكنك ان ترى بعض قطعها ولا يمكنك ان ترى قطعاً اخرى لانها موضوعة بحيث لا ترى ، ولكن بين ما يرى وبين ما لا يرى صلة اكيدة .

وليس هذا التشبيه من باب البيان . فهو مقصود لاظهار مواهب البنا ، المرشد العام والمؤسس ، الذي كان ولا شك على جانب عظيم من المقدرة على التنظيم ، ولربط هذة القدرة بصناعة الساعات التي احترفها والده واحترفها هو فترات ٍ قصيرةً عن رغبة وميل . فالبنا ساعاتي موهوب للغاية حقيقة ومجازاً . صنع ساعة انسانية بمهارة فائقة ، ونظم اجزاءها ادق تنظيم ، وكانت عقاربها تسير بغاية الضبط . ويقول الذين شاهدوا تطور الحركة عن كثب واحتكوا بالبنا احتكاكاً شخصياً انه كان يشرف على كل صغيرة وكبيرة سواء أظاهرة كانت ام مخفية . ولتثبيت هذا الاشراف واعطائه الصبغة الشرعية نصّت المادة ١٣ من قانون النظام الاساسي على ان تبايعه الهيئة التأسيسية والاخوان في الشعب المختلفة عن طريق رؤسائهم ، ويجددوا بيعتهم معه لاول لقاء يجتمعون به فيه على « السمع والطاعة » . ونصت المادة ٢١ على ان يقسم اعضاء المكتب بالله على ان يكونوا حراساً امناء لمبادىء الاخوان ونظامهم الاساسي واثقين بقيادتهم منفذين لقرارات المكتب العام القانونية « وان خالفت آراءهم » .

وقسموا الاعضاء الى مراتب ، صف اول وصف ثان ، وعضو مؤيد وعضو عامل . ولا يجتازون هذه المراتب الا بعد اجتياز اختبارات معينة. ومتى بلغ العضو مرتبة « العضو العامل » حق له ان يحضر اجتماعات خاصة يعقدها البنا نفسه .

وتيسيراً لمهمة الاشراف على هؤلاء الاعضاء العاملين كانوا يقسمون الى وحدات روحية هي : النواة والخلية فالاسرة فالكتيبة . ويرئس كل وحدة نقيب مسؤول عنها من الناحية التوجيهية. واذا وجد في شعبة واحدة كتيبتان او اكثر كوّنوا جميعاً « مجموعة » يكون نقباؤها مسؤولين امـام رئيس الشعبة الذي يعتبر من الوجهة الروحية النقيب العـام لجميع الاعضاء العاملين .

وحين تعددت (الشُعب) اعتبرت كل شعبة وحدة ادارية لها مجلس ادارة تختاره الجمعية العمومية . وربطت هـذه الشعب ربطاً محكماً بالمركز العـام عن طريقين : الاول ان يخطر المركز العام بجدول اعمال هذه الشعبة قبل اجتماع الجمعية العمومية بعشرة ايام على الاقل ليتسنى للمركز العام ان يوفد من يمثله فيه. والثاني اشترط لصحة القرارات التي تتخذهـا الجمعية العمومية للشعبة اياً كانت « موافقة المكتب عليها » . والمكتب العام هو الذي له حق تثبيت او رفض الشعبة الجديدة وهيئتها الادارية ، وحق حلها كذلك .

ولتوزيع الاعمال وتأمين سيرها ألف المكتب العام لجاناً

متعددة ، كل لجنة تختص بدراسة ناحية من نواحي نشاطه العام او نشاط احد الاقسام . كما ألف اقساماً لتولي الاعمال الرئيسية التي يضطلع بها كقسم الخدمة الاجتماعية والقسم الرياضي ، وقسم الاتصال بالعالم الاسلامي الخ .

وجعلوا « المركز العام » مقر القيادة . وألفوه من الهيئة التأسيسية (نحو مائة عضو) ومن مكتب الارشاد العام (اثنا عشر عضواً من اعضاء الهيئة التأسيسية يرشحهم المرشد بنفسه) .

ومكتب الارشاد العام يرأسه البنا . ويقسم اعضاؤه اليمين على حراسة مبادىء الاخوان ونظامهم الاساسي والثقة بالقيادة وتنفيذ القرارات .

وينعقد كل سنتين مؤتمر عام من رؤساء شعب الاخوان بدعوة من المرشد العام .

وكانت تلقى احاديث في بعض ايام الاسبوع بانتظام بالمركز العام . فحديث يوم الثلاثاء عام . وحديث يوم الخميس خاص بالطلبة .

وكانت لهم فرق عسكرية تسمى « الجوالة » تتعلم النظام العسكري وتتبع الشعب . ولكل شعبة جوالتها في الغالب .

هذه هي الاجزاء الظاهرة من آلة الساعة باختصار . وهي لا بدّ من ان تكون مقتبسة من عدة مصادر شرقية وغربية .

اما القسم الخفي من اجزاء الآلة فكان يسمى (النظام الخاص) – السري – وهو يتألف من الاعضاء العاملين المخلصين

ويقابله « المحيط العام » وهو الذي يتولى النشاط الظاهر .

ويتكون هذا القسم الخفي حسب وصف النيابة ٢٧٢ من مجموعات . ولا ينتسب اليه الا الاعضاء الذين وقفوا على سيرة حياتهم مفصلا . فعلى كل واحد منهم ان يقيد اعماله اليومية من حيث تلاوة القرآن وحفظه وتلاوة (المأثورات) ٢٧٣ وتلاوة ورد الرابطة والقيام بالالعاب الرياضية صباحاً ومساء والصلاة حاضراً . وعليه ان يقدم جدولاً شهرياً بهذه الاعمال . وعلى اعضاء هذا القسم ان يتلقوا دروساً معينة تنتظم في اربعة مراحل. والمراحل تشمل دراسات ادبية وروحية ودينية ودراسات في استعمال السلاح ، ودراسات في القوانين ، ودراسات في الاسعافات الاولية . وعليهم كذلك ان يخضعوا لكشف طبي لفحص قوة الابصار وسعة الصدر والحالة العصبية الخ . . وفي نهاية كل مرحلة يجتاز العضو فحصاً نظرياً في المواد التي درسها . وبعد اتمام هذه المراحل تأتي البيعة يتلقاها المرشد او من ينوب عنه . ويؤديها كل عضو على انفراد في غرفة مظلمة . وفيها يقسم العضو على الطاعة — على مصحف ومسدس — ويخبره آخذ البيعة عن السبب في انشاء هذا النظام وعن الجهاد في سبيل الله باعتباره الوسيلة الوحيدة لنصرة الاسلام ، وينذره بانه ان افشى سراً من اسرار النظام فجزاؤه الموت . ويكون لكل عضو رقم خاص سري . وهم في الغالب يؤلفون مجموعات صغيرة تتكون من خمسة يديرها رئيس . وهذا كله مما وصلت اليه

نيابة وذكرته في مرافعتها .

اما مهمة اعضاء القسم الخاص فتنفيذ الاوامر التي تصدر لهم . وهي في الغالب تتعلق بالجهاد او القتال على اي وجه من الوجوه .

هذا هو عمل الاجزاء الخفية من الساعة بقدر ما وصلت الينا. ومن الصعب التثبت من صحتها كلها. ولكن الراجح انها صحيحة جملة . وانها جزء من « الدعوة » .

وقد حاول بعض الذين اطلعوا على هذا النظام الخاص ان يربطوه بنظام (الحشاشين) او (الباطنية) - التي هي من الاسماعيلية - الذي سار عليه حسن الصبّاح . ومن الصعب القطع في ذلك . وعلى كل فالثابت انهم - كما ذكر سابقاً - استفادوا من جميع الانظمة التي اطلعوا عليها شرقية وغربية اسلامية وغير اسلامية . وانظمتهم المتعلقة بالوسائل مزيج من الانظمة السلفية والصوفية والباطنية والنازية وربما الشيوعية .

وبعد هذا العرض الموجز لنظامهم لا يسع الباحث إلا ان يعترف بانه اولاً نظام دقيق محكم . وانه ثانياً مزيج من انظمة متنوعة . وانه ثالثاً من ابرز صفاتهم ومظاهر قوتهم ونجاحهم . وانه رابعاً مطبوع بالطابع الديني الذي هو طابع الدعوة كلها .

وصفتها الثالثة المميزة « الشعبية » ، اي العناية بالشعب باساليب اقرب الى الاشتراكية منها الى اي مذهب آخر . ولملاءمة هذا الاتجاه لحياة سواد المصريين المبتلين بالرأسمالية

والطبقية - التي تجعل ما بين الفلاح والباشا هوة سحيقة جداً - وسائر الآفات الاجتماعية وما يترتب عليها ، نجحت الدعوة بين هذا السواد نجاحاً عظيماً .

والحق ان (البنا) كان بارعاً غاية البراعة في التوفيق بين مبادىء الاصلاح الاجتماعي التي وصلت اليها الامم الغربية بعد طول التجربة والدرس وبين مبادىء الدين . ولكنه ، بالطبع ، كان يصبغ المبادىء الغربية بالصبغة الدينية . ولم يكلفه ذلك عناء كبيراً . فقد مده الاسلام بقواعد عامة تلغي الفروق الجنسية والطبقية في المجتمع وتجعل الافضلية « للتقوى » ، كما جاء في الحديث والقرآن : « ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً » ، فأحسن هو عرضها وشرحها .

واستطاع البنا بذكائه ان يضع دعوته بين نظامين هما النازية - الفاشستية والشيوعية. وهو من جهة سفّه النظامين وحمل عليهما حملات شعواء . سفّه النازية - الفاشستية لانها تقوم على الجنسية وتؤدي الى تناحر الاجناس البشرية في سبيل وهم من الاوهام. وسفّه الشيوعية لانها تقوم على هدم الاديان وشيوع الملكية ونزع الملكية الفردية. ورأى الاسلام يقوم على قاعدتين سلميتين الاولى الآدمية - نسبة الى آدم - التي تردّ الناس جميعاً الى اب

واحد وام واحـدة . والثانية الصلة الربانية التي تجعل اكرم الناس اتقاهم . فالاسلام لا يعترف بالفوارق الجنسية ولا يترك الانسان كتلة مادية مجردة من كل احساس ديني ٢٧٤ .

وهو من جهة ثانية درس النظامين واستفاد منهما . اخذ من الاول النظام والطاعة ، او في الحق شيئاً يشبه الديكتاتورية وحصره بنفسه ٢٧٥ ، واخذ من الثاني التكافل بين الطبقـات والاخوة الانسانية في الدنيا دون تمييز بين شعب وشعب . واعتبر هو هذه المظاهر التي اخذها مجرد اتفاق ظاهري . ولكن الواقع انها اصلاً من احد المذاهب الغربية . مثال ذلك اولاً : الضرائب التصاعدية ، ثانياً : ضريبة الايلولة على التركات ، ثالثاً: حماية الملكيات الصغيرة والحد من الملكيات الكبيرة ، رابعاً : توزيع املاك الدولة على صغار الزراع ، خامساً : استغلال منابع الثروة الخ .. وهذه جميعها دعا البنا الى الاخذ بهـا بصراحة في معرض الدعوة الى محاربة الشيوعية ٢٧٦ . ومن اين جاء بهـذه الآراء الاشتراكية الصريحة ؟ ان هذه المبادىء تحمل الجواب في طيّها . ولكن لا يصح ان يفهم ان البنا كان اشتراكياً بالمعنى الغربي. لقد كان مسلماً اولاً واخيراً . مسلماً وجد هذه المبادىء تدخل في الاطار الاسلامي العام . والحق هي كذلك .

وماذا كانت نتيجة هذه « الشعبية » او « الاشتراكية ـ الاسلامية » ؟ لقد استهوت الطبقات الفقيرة من عمال ومزارعين . وقد قال البنا مرةً : « ليس اولى بالعمال من الاخوان . وهم

كلهم او جلّهم من العمال . وفي وسط العمال نشأت دعوتهم ودرجت فكرتهم . ومن العمال كان المؤمنون الاولون والمجاهدون المؤسسون.. ٢٧٧ » وقد انتشرت بعد في مصر بسرعة فائقة لا تعرفها دعوة اسلامية سابقة . أمردّ ذلك الدين ذاته ام الاشتراكية نفسها ؟ من الصعب الاجابة عن هذا السؤال . وربما كانا معاً السبب . فالمعروف عن الطبقات الفقيرة انها ذات عاطفة دينية قوية . ولكن الفقر ايضاً شنيع . ومن يتصدى لقتاله يجذب الانصار .

لقد اتهم الاخوان بالرجعية . وهي تهمة غير صحيحة . او على الاصح غير دقيقة . لقد كانوا تقدميين الى حدٍ كبير في نشاطهم الاجتماعي نظرياً وعملياً . وكانوا تقدميين في نشاطهم الزراعي وفي نشاطهم التجاري . وهذه امور لا شك فيها . ولولا ذلك لما نجحوا . الا ان صحّ نعت الاشتراكية بالرجعية .

والحق ان البنا عرف كيف يلائم بين هذه الاشتراكية وبين الدين . عرف كيف يصبغ الاشتراكية بالدين او ان يحشو الاشتراكية في غلاف ديني . وهذه احدى صفات الدعوة البارزة ، بل واحد اسباب نجاحها .

اما الرجعية ففي النظر الديني الضيّق او على وجه الحصر في مسألة الحكومة الدينية ، لا الدين نفسه . فالدين نفسه قوّى شعبيتهم ومكّن لهم . ولذا كانوا كلما دنوا من الغاية ، من الحكومة الدينية ، توقع المترقبون انفجاراً عنيفاً يؤدي الى احدى

ثلاث نتائج . اما انهيار الاشتراكية التي تبنوها . واما انهيار الحكومة الدينية . واما انهيار الدعوة كلها . وهم وان كانوا اقتربوا من هذه الغاية بعض الاقتراب ، وظهرت في الجو امائر الانفجار ، الا انهم لم يبلغوها . وكانت نكصاتهم – ببطش خصومهم – تردّهم ردّات بعيدات الى الخلف . وكل ردة تنجيهم من قرب الانفجار . ويخطىء من يتصوّر ان هذه الردّات تضعفهم او تؤدي الى القضاء عليهم . فما دام المرض قائماً والعلاج مقدماً في اية صورة من الصور فلا بد من ان يقبل المريض على العلاج . والاخوان قدموا العلاج . وهو علاج حديث . ولكن هذا التصور يصحّ عندما يبلغون الغاية . وحتى عند بلوغها من المتعذر الجزم بالنتائج . فقد يدركون في آخر المرحلة انه لا بد من تسوية بين الاشتراكية والحكومة الدينية، فلا يقع الانهيار .

وعلينا ان نذكر انهم تبنوا منهجاً تقدمياً شعبياً في وقت كانت فيه الحكومات المتعاقبة قائمة على اسس حزبية لا على مناهج واضحة مدروسة . وكان الذي تبنوه اخلق بحكومة منه بهيئة تتسم بالسمة الدينية . وقد ادركوا هذه الميزة من ناحيتهم والضعف من ناحية الحكومات فراحوا في كل مناسبة يهاجمون النظام الحزبي – الذي لا منهاج واضح له – وينتقدون جميع الاحزاب على السواء ، ويدعون الى حلها وتبنّي منهاجهم كله ، بدلاً من النظام الحزبي . ومنهاجهم التقدمي في ذاته صالح او على الاقل ملائم للاحوال السائدة في مصر . ولكن منهاجهم

كله الذي تقدموا به لم يخل من نواحٍ ضعيفة . ولو انهم كانوا حزباً سياسياً محضاً – بالمعنى الصحيح – مقتصراً على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكان لهم شأن غير هذا الشأن.

والصفة الرابعة التفاعل مع البيئة باحداثها المتعاقبة . وليس ثمة دليل على انهم رد فعل للاحوال السائدة اقوى من نجاحهم . وليس ثمة دليل على أصالتهم اقوى من كونهم رد فعل لتلك الاحوال . وهذه احدى صفاتهم البارزة . اما تفسير انتشارهم في كثير من البلدان خارج مصر فهو تشابه معظم الاحوال السائدة في مصر وتلك البلدان .

فمنهاجهم السياسي القائم على التحرر من اية سلطة اجنبية هو في الواقع رد فعل للحكم الامبريالي (impérial) . ولولا هذا الحكم لجاز ان نفترض خلو الدعوة من النص على الاتجاه السياسي . فهم – من هذه الناحية – حلقة من سلسلة الحركات السياسية المناهضة للامبريالية كحركة عرابي والحزب الوطني وحزب الوفد . والخلاف الوحيد بينهم وبين الحلقات السابقة انهم يناهضون الامبريالية على اساس ديني لا مدني فحسب . فهم يرون ان الاسلام لا يقبل حكماً اجنبياً او سيادة اجنبية . ويرون ديار الاسلام كلها سواء في هذا الحكم . ومن هنا كانت دعوتهم عامة لا خاصة .

ذكر البنا انه قرأ مرة حكماً فقهياً بالنص التالي : « امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على اهل المغرب تخليصها وافتداؤها

ولو اتى ذلك على جميع اموال المسلمين » . واستخلص منه امرين : الاول ان الوطن الاسلامي واحد لا يتجزأ وان العدوان على جزء من اجزائه عدوان عليه كله . والثاني ان الاسلام فرض على المسلمين ان يكونوا ائمة في ديارهم سادة في اوطانهم . ثم قال : ومن هنا يعتقد الاخوان المسلمون ان كل دولة اعتدت وتعتدي على اوطان الاسلام دولة ظالمة لا بد من ان تكف عدوانها ، ولا بد من ان يعد المسلمون انفسهم ويعملوا متساندين متحدين على التخلص من نيرها ٢٧٨ . وذهب الى ان المسلم اعمق الناس وطنية لانها مفروضة عليه من الله .

ولهذا عنيت الدعوة بالجهاد عناية كبيرة ، كما عنيت بالقوة والفتوة ونظام الجندية ــ الكتائب ــ كي تسند القوة الايمان .

وعلل البنا اتجاه الدعوة الى هذه الوجهة بقوله : وتصادف نشأتها ــ اي الدعوة ــ عهد الصراع القوي العنيف بين الاجنبي المغتصب والوطني المجاهد . فكان من اثر هذه الظروف ان تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التي عاصرتها ٢٧٩ .

هذا من حيث السياسة الخارجية . اما من حيث السياسة الداخلية فقد كانت كذلك رد فعل لعاملين اساسيين : الاول التناحر الحزبي الذي لا يتفق مع اخوة الاسلام من ناحية والذي آل الى استمرار عملية البناء والهدم . والثاني خلو المبادىء الحزبية من مناهج اصلاحية . وهذا دعاهم الى نبذ الحزبية ووضع

منهاج اشتراكي شامل يعالج جميع شؤون الدولة .

هذه هي اهم الاسباب التي زجت الاخوان في السياسة على النحو الذي بيّناه. ولولاها لكانوا في الارجح هيئة دينية محضة .

اما الشطر الآخر من منهاجهم الذي يتعلق بالشركات الصناعية والتجارية والزراعية فهو ايضاً ردّ فعل لعوامل داخلية . فقد رأوا استئثار الشركات الاجنبية بالمشاريع الكبيرة . ورأوا المصريين عملاء واجراء لا ينالهم من الارباح الا حظ ضئيل جداً . فتقدموا يقتحمون الميدان بعصبية قومية — دينية . وكانت مصر بعد الحرب العالمية الثانية استفادت خبرة في كثير من الصناعات. وتخرج في المدارس التجارية والصناعية عدد كبير من الشبان المصريين . فساعد ذلك على ان ترتكز العصبية على اساس علمي فني ، وعلى ان تنجح مشاريعهم كلها نجاحاً كبيراً .

ولم يستطع الاخوان ولا البنا نفسه ان ينكر فضل العلوم الغربية والصناعات الغربية التي قوامها الآلة والفن والخبرة — كما ذكر في صدر هذا الفصل — لانهم رأوها سبب التقدم والنجاح في معاملهم وشركاتهم نفسها . ولو قاطعوها لمجرد كونها غربية او غير اسلامية لظلوا اصحاب دعوة «كلامية» لا اثر مادي لها .

وبقي بعد هذا من منهاجهم الناحية الدينية المحضة . وهي ايضاً رد فعل لدور الانتقـــال العقلي وللاحتكاك بين الشرق والغرب، وللهزات الاجتماعية التي تعقب الحروب. لقد انتجت هذه العوامل ازمة روحية، صراعاً بين القديم والجديد، بين الدين والعلم،

بين الحرية والتقليد .

ومن ظهر لمعالجة هذه الازمة ؟ جميع الذين كانوا في الميدان لم يجابهوا الواقع ولم يكونوا اصحاب مناهج شاملة . فرجال الدين الرسميون كانوا جدليين نظريين . ورجال الفرق الصوفية كانوا روحيين ضيقي الافق . وجمعية الشبان المسلمين كانت اشبه بجماعة اجتماعية . وهكذا كانت كل جماعة تعالج الازمة علاجاً جزئياً . ومن ثم كان هناك فراغ الى ان ظهر الاخوان فملأوه على القواعد التالية :

اولاً : ربطوا الدين بالدنيا . وهذا مخالف للصوفية التي كان همها الدين فقط – حسب مفهومهم – رأو الازمة الدينية نتيجة لمقدمات مادية متنوعة .

ثانياً : وضعوا منهاجاً شاملاً لجميع المقدمات ، للسياسة والاقتصاد والتعليم والاجتماع الخ ..

ثالثاً : رأوا نقطة البداية تكوين شعب جديد تنفخ فيه قوة نفسية تتمثل في الارادة القوية والوفاء الثابت والتضحية والمعرفة بالمبدإ . ولهذا عنوا بالوعظ والارشاد والتعليم عناية كبيرة بالمحاضرة والاذاعة وكتابة المقالات و كتابة الرسائل و كتابة الكتب في سبيل تكوين الشعب .

رابعاً : نزلوا الى الشارع والسوق والقهوات يكونون لهم تلاميذ فيهـــا . ومن ثم وسعوا دائرة نشاطهم فاعتنوا بالطبقة الوسطى والعالية .

خامساً : اختصروا الطريق بالعودة الى القرآن والحديث لكي يجمعوا جميع الطوائف الاسلامية تحت لوائهم ، ولكي يتجنبوا الجدل في الجزئيات التي لا بد من الاختلاف فيها . وهو عمل حميد . لان الفرقة بين الفرق قد طالت وشغلتها الجزئيات عن الاسس والاعراض عن الجوهر . ولكنهم تمسكوا بحرفية النص في كثير من الاحيان مما ادخلهم في مآزق حرجة ، اخطرها واظهرها انهم ارادوا ان يكونوا مقلّدين ٢٨٠ . ولكنهم في الواقع لم يستطيعوا ان يكونوا كذلك في جميع الحالات . لقد رأيناهم في الصناعة والزراعة والتجارة والتنظيم يأخذون بأحدث الاساليب . ورأيناهم يحسنون اختيار النصوص الداعية الى القوة والجهاد والعمل والتخلق بالاخلاق الكريمة والجمع بين الدين والدنيا . ولكنهم اظهروا تصلباً قوياً في التشريع . ووقفوا امام النصوص وقفة المتقيّد الجامد . لم يرتاحوا الى الاجتهاد والتأويل على نحو ما فعلت بعض الفرق الاسلامية بل على نحو ما فعل محمد عبده قبلهم بمدة قصيرة . وربما نَحَوْا هذا النحو لانهم رأوا الدين رقّ في بعض النفوس ، ورأوه مفقوداً في بعض النفوس الاخرى ، وكانت مادتهم الاولية سواد الشعب الجاهل . وهذه الظواهر من طبيعتها ان تدعو الى التشدد . والدين حينما يكون متأصلا في النفوس لا يُخشى عليه من الحرية الفكرية والتسامح والتأويل لكي يسير مع الحضارة النامية جنباً الى جنب . يضاف الى ذلك ان العالم قد تقارب كثيراً في هذا العصر ، واضحى من الواجب لخير

البشرية جمعاء ان تضيق شُقة الخلاف بين الاديان ، وان تدنو المفاهيم الروحية بعضها من بعض . وكل تشدد في الحرفية يؤدي الى العزلة ، والعزلة تناقض طبيعة الحياة الحاضرة . ثم ان العلم قد انتشر في مصر وفي سائر البلدان العربية والاسلامية . والمتعلم لا ينجيه من الشك فالالحاد الا مرونة الدين وقابليته للتأويل والتيسير .

والخلاصة ان حركة الاخوان ردُّ فعل للاوضاع السائدة في مصر ، واصولها مستمدة من البيئة . وهي لذلك حركة ذات طابع خاص يميزها عن الحركات السابقة .

كتب احمد حسن الزيات في مجلة الرسالة يقول : « الاخوان المسلمون هم وحدهم الذين يمثلون في هذا المجتمع الممسوخ ، عقيدة الاسلام الخالص وعقلية المسلم الحق . انهم لا يفهمون الدين على انه صومعة منعزلة ، ولا الدنيا على انها سوق منفصلة ، وانما يفهمون ان المسجد منارة السوق ، وان السوق عمارة المسجد . . وكان للاخوان المسلمين في الارشاد لسان ، وفي الاقتصاد يد ، وفي الجهاد سلاح ، وفي السياسة رأي . . فلهم في كل بلد من البلدان العربية اتباع ، وفي كل قطر من الاقطار الاسلامية أشياع . . وما يقظة الوعي العام في مصر والسودان ، وفي العراق وسورية ، وفي اليمن والحجاز ، وفي الجزائر ومراكش ، الا شعاع من هذه الروح سيكون له بُعَيد حينٍ نبأ ٢٨١ » . وهذا قول فيه كثير من الصواب ، وان كان لا يخلو من

الزخرف البياني المشهور عند ادباء الكتاب .

ويخطىء من يظن ان حركة الاخوان قد انتهت بمقتل البنا ، او انها حركة مصيرها الاخفاق . فقد اثبتت الايام الاخيرة ان الحركة ظلت تسير بعد مقتل البنا سرّاً ، وانه ما كادت الحكومة المصرية ترفع الحجز عنهم حتى عادوا سيرتهم الاولى ، وتجددت صحفهم ، وعادت كتائبهم ، وعادت محاضراتهم ، بل إنهم قد اكتسحوا اتحاد جامعة فؤاد في القاهرة — كما ذكر سابقاً — وهذا كله يدل على انهم لم يبدأوا من اول الطريق بل واصلوا سيرهم من حيث انتهوا .

وليس ثَمّ امائر الهزيمة — كما يتصور بعض الناس — ولنذكر الحادثة الطريفة التالية : كتب صحفي لبناني في جريدة (صدى لبنان) في اواخر شهر يناير سنة ١٩٥٢ يحبّذ اغلاق الحكومة السورية دور الاخوان في سوريا . فتصدى له شقيقه — وهو كاتب ايضاً من خريجي الجامعة الاميركية في بيروت — يردّ عليه في جريدة اخرى قائلاً : « مهما اختلفنا معها في الرأي فلسنا نجحد اخلاصها للبلاد وصدقها في الجهاد . وهل ينسى احد ان الاخوان المسلمين سَقَوا اكثر من اي حزب آخر ارض فلسطين بالعرق والدماء ؟ هل ينسى احد ان الاخوان المسلمين هم اليوم رافعو لواء الجهاد المقدس ضد الانجليز في قنال السويس[٢٨٢]؟ » .

وهذا يدل على ان لهم انصاراً يعطفون على الاقل على جزء من منهاجهم . وهو امرٌ لا شك فيه البتة .

والقول الحق في الاخوان انه ما دامت الاوضاع التي ادّت الى وجودهم قائمة فسيظلون عاملين . بل وربما يصح ان يقال ان انصارهم سيزدادون في مصر وفي سائر البلدان العربية . اما اذا اختفت هذه الاوضاع فالحكم على مستقبلهم يختلف . والواجب في هذه الحالة ان يسير نشاطهم في مجرى رئيسي واحد ، هو المجرى الديني الذي كان نقطة البداية في حركتهم .

ولكن الواقع ان هناك ثلاثة امور ستكون محكاً لثباتهم ، وستؤثر الى حد كبير في تقرير مصيرهم . الاول : رأيهم في الحكومة الدينية . والثاني : موقفهم من الحضارة الغربية . والثالث: موقفهم من اعتبار العنف وسيلة من وسائلهم.

فهم يؤمنون بالحكومة الدينية ايماناً راسخاً . ويؤمنون كذلك بالخلافة وبالجامعة الاسلامية . فهل سيظلون يؤمنون بالحكومة الدينية ؟ وهل سيظل مفهومهم للحكومة الدينية تطبيق حرفية الشرع ؟ هذا ما ستكشف عنه الايام وخاصة بعد ان يدنوا من أهدافهم رويداً رويداً .

وربما يدركون ان المجتمع النامي المتطور يحتاج الى تشريع نامٍ متطور ، وان ايقاف نمو التشريع يعني ايقاف نمو المجتمع . وهو امر يكاد يكون مستحيلاً . يُضاف الى ذلك ان التشريع الاسلامي نما وتطور مع المجتمعات الاسلامية . وما القياس والاجتهاد والاجماع الا روافد للتشريع لم يكن منها بدّ . ولم يناقض هذا النمو الاسلام ولم يضرّه في حالٍ من الاحوال .

وقد رَضِيَ المسلمون عن هذا النمو بالاجماع عليه. فالمصريون الذين تتألف منهم الدولة المصرية قبلوا بالتشريع الحاضر. وهو تشريع نام متطور كان على غير الصورة التي هو عليها الآن، وظل ينمو الى ان اصبح على ما هو عليه الآن، مستمداً اصوله من التشريع الاسلامي والقوانين المدنية الغربية في وقت واحد. وكان معظم واضعيه والموافقين عليه مسلمين. وحين وضعوه لم يبرأوا من الاسلام. بل وضعوه وهم مسلمون واثقون بأن وضعه لا يَضير المجتمع الاسلامي ولا الاسلام بل يفيدهما ٢٨٣.

لا شك في ان الاخوان لم يطالبوا بالحكومة الدينية عبثاً. لقد رأوا بعض القوانين في مصر تبيح ما نهى عنه الدين. رأوا قانوناً يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر، وهما محرّمان ديناً، فثاروا وطالبوا بتطبيق التشريع الديني في جميع الاحوال بلا استثناء، كما كان الحال في صدر الاسلام. وهذا هو موطن الدقة في الموضوع. هل جميع القوانين المدنية أدّت الى ما ادى اليه هذان القانونان مثلاً؟ هل كل تشريع مدني فاسد؟ لو كان الامر كذلك لكان التشريع الغربي، بل تشريع العالم اجمع — عدا القسم من العالم الاسلامي الذي يطبق التشريع الديني — فاسداً. وهو قول سخيف. فالتشريع يستوحي المصلحة العامة في كل الامم قاطبة. والمصلحة العامة تلتقي مع الغرض الاسمى من الدين. ولا يجوز عقلا ان يختلفا.

يحتج الاخوان بان التشريع المدني من صنع الانسان.

والانسان معرض للخطإ والزلل . في حين ان التشريع الديني من الله . والله معصوم عن الخطإ ضرورة . واذن فالتشريع الديني خير من التشريع المدني . وقد رددوا هذا الاحتجاج مراراً في مؤلفاتهم . وهو لا غبار عليه . ولكن الهدف الاول من التشريع الديني تحقيق المصلحة العامة او السعادة الاجتماعية . والمصلحة العامة تتغير بتغير الازمان والاحوال . ومن نصوص المجلة تتغير الاحكام بتغير الازمان . ولذا اتى التشريع الديني بالقواعد العامة وترك للانسان حرية الاجتهاد مقيداً بالمصلحة العامة. والخلفاء الاولون اجتهدوا . وظلّ الاجتهاد باباً من ابواب التشريع في العصور الاسلامية الاولى الى ان تجمد المجتمع الاسلامي فتجمد معه الاجتهاد . وهناك فرق اسلامية ما تزال تأخذ بالاجتهاد محافظة على هذا الحق الالهي والطبيعي معاً . ولا احد ينكر عليها انها مسلمة قولا وعملا .

اما القوانين المدنية الظاهرة المعايب المفسدة للمجتمع فيمكن الاعتراض عليها . والمجتمع نفسه لا بد من ان يغيرها عندما تتبيّن له معايبها . مثال ذلك تشريع اباحة الخمر في امريكا . فقد اباحه القانون فترة . ثم عندما رأى المجتمع ان هذا القانون هدد مصلحة المجتمع الغاه بقانون مضاد . ثم لما تبيّن للمجتمع ان الالغاء غلبت مساوئه محاسنه عاد الى التشريع الاول . وهكذا ظلت المصلحة العامة هدف التشريع الاول . كما ان هذه المصلحة هي هدف التشريع الديني الاول . وهنا يلتقي التشريعان .

يضاف الى ذلك ان القوانين ليست هي المسيطرة على الناس بل الناس هم المسيطرون على القوانين . فلو التزم المصريون – مثلاً – حدود دينهم وتفهموا الحكمة من تشريعهم الخاص لامتنعوا عن شرب الخمر ، ولتركوا لغيرهم من اصحاب الاديان الاخرى ان يتصرفوا كما يشاءون . ولكنهم في حالة جهل دينهم وعدم اتباعه لا يفيدهم المنع بحكم القانون . فهذه هي المخدرات – مثلا – تفتك في الشعب والقانون يمنعها منعاً باتاً . وكان يجب ان يحول هذا القانون دونها . ولكنه عجز . ولو سبق القانون اعداد تربوي يهدف تبيان مضار المخدرات، وعلاج نفساني عميق للحالات النفسية التي تستدعي استعمال المخدرات لحقق القانون غايته ، بل لما عادت حاجة الى القانون . فالقوانين – سواء ادينية كانت ام مدنية – يعمل بعضها ولا يعمل بعضها الآخر ، حسب حالة الامة . فعندما تتثقف الامة وترقى تستغني عن كثير من القوانين التي سُنَّت لها قبل ان تبلغ ذلك الدور .

وبعد ذلك كله، فان قضية التشريع الديني جزء من قوام الحكومة الدينية التي يطالب بها الاخوان . وكثير من المسلمين يخالفونهم الرأي بشأن الحكومة الدينية . ولو تبصر الاخوان في هذا الموضوع لرأوا ان انتشار الوعي الروحي والمفاهيم الدينية على وجهها الصحيح في سواد الامة يجعل المطلب التشريعي ثانوياً. لان الامة الخيِّرة التقية الصالحة في غنى عن التشريع. وخير المؤمنين من كان قاضي نفسه وقانونها . اما الاشرار فعلى الحكومات ان

تعـالجهم باستئصال علل الشر لا بالتشريع وحده فالتشريع مع وجود العلة لا يغني . ولذلك فإن رسالة الاخوان الاولى هي احياء الوعي الروحي وتهذيب الاخلاق وبث الفضائل الانسانية حسبما يُقرر الاسلام ٢٨٤ .

ثم ان امامنا الآن امة اسلامية ناشئة هي الباكستان . وهي تتمتع باستقلال يمكنها من اقامة حكومة دينيـة دون عائق . ولا احد يرتاب في صحة اسلام الباكستانيين وحرصهم الشديد على الدين . وهم مع ذلك نحوّا فكرة الحكومة الدينية . قال المرحوم لياقت علي خان، رئيس وزراء الباكستان مخاطباً مجلس الامـة :

« لقد قلت قبل هنيهة ان الشعب هو الممارس الحقيقي للسلطة . وهذا بالضرورة يمنع خطر اقامة حكومة ثيوقراطية (دينية) . حقاً ان الثيوقراطية بمعناها الحرفي تعني حكومة الله . بيـد انه من الواضح ان العالم كله بهذا المعنى هو حكومة ثيوقراطية ، اذ أتوجد بقعة في الكون جميعه خارجة عن سلطان الله ؟ على ان الحكومة الثيوقراطية تعني من حيث الاصطلاح حكومة رجال الدين المرسومين الذين يستعملون السلطة باعتبارهم معينين من قبل اولئك الذين يزعمون انهم يستمدون حقوقهم من مركزهم الكهنوتي . ولست بحاجـة الى ان اؤكد ان فكرة كهذه غريبة عن الاسلام تماماً . فإن الاسلام لا يعترف بالرهبنة ولا بأية سلطة كهنوتية . وبناءً على ذلك فان الثيوقراطية لا وجود

لها في الاسلام البتة . واذا كان ثمّ من لا يزال يستعمل كلمة « ثيوقراطية » بمعنى نظام الحكومة الباكستانية، فهم اما واقعون في سوء فهم خطير ، واما سادرون في دعايات شريرة . وعندما نستعمل لفظة « ديموقراطية » بالمعنى الاسلامي فانها تشمل جميع مظاهر حياتنا. انها تتناول نظام حكومتنا ومجتمعنا على السواء ، لان احدى عطايا الاسلام الكبرى فكرة المساواة بين جميع الناس » .

هذا فيما يتعلق بالحكومة الدينية . اما فيما يتعلق بالتشريع فقد اظهر الباكستانيون ميلا الى الاخذ بروح الاسلام لا بحرفية النص ، والى غربلة القوانين لانتقاء ما يصلح للعصر الحديث . وهذا ما قالته مجلة The Islanic ditarature في احدى افتتاحياتها:

« ان النظر الشائع الى الدين الذي يأخذ به المسلمون هو بالتوكيد تراث الملكية «القروسطية» والنظام الاقطاعي. وبما ان العالم الحديث قد تجاوز هذين النظامين فان تصورنا الديني الحالي لا يعيننا على ان نسلك سبيلنا في وسط بحر خضم من التغيير . وعلى ذلك فمن الواجب ان نميز العناصر العامة في الاسلام من العوامل العرضية الموقوتة التي تدخل بالضرورة في اي نظام يحاول ان يحل المشكلة الاجتماعية التي تتصل به آنياً . ان الاسلام كان ولن يزال ديناً عاماً . بيد ان مما يُسهى عنه عادة انه حتى الدين العام محاط بظروف محدودة لا يمكن ان يتجاهلها ان شاء ان يعالج مشاكل الامة العملية ومشاكل العصر الذي

خلق فيه . وهذه الظروف المحدودة توجب له خصائص معينة وتلزمه ضروباً من الحلول ليست من متمماته ، ويجب ان تفصل فصلا واضحاً عن رسالته العامـة الخالدة ، ان اريد لتلك الرسالة ان تحتفظ بصلاحها في جميع الظروف وفي جميع الاحـوال المتغيرة التي تنجم في العصور التالية .

وعلى ذلك يجب علينا ان نستخلص الاسلام العام من القرآن والحديث ، وان نهمـل تلك العناصر التي اقحمتها فيه ظروف المجتمع العربي المحدودة واحوال العـالم الخاصة التي ترجـع الى القرن السابع الهجري » .

والمسألة الثانية هي الحضارة الغربية التي يقف منها اكثرهم موقف العداء. وهذا الموقف يؤدي الى نتيجتين. الاولى: التنفير من الحضـارة والانطواء على الذات ودوام حالة الخمول التي اوصلت العالم الاسلامي الى ما هو عليه الآن . والثانية نعت حركتهم بالرجعية ليس فقط في نظر الغربيين بل وفي نظر المسلمين المتنورين .

وقد حملهم على هذا الموقف جملة اسباب :

الاول : خلطهم بين الحضارة والاستعمار . وهم يجعلون هاتين اللفظتين مترادفتين في كثير من الاحيان . وهذا – كما لا يخفى – خطأ .

والثـاني : خلطهم بين الحضارة والدعـارة والخمر والقمار والترف وما الى ذلك من مساوىء اجتماعية . وهم يردّون هذه

المساوىء الموجودة في البلاد الاسلامية الى الحضارة الغربية . اما ان الحضارة الغربية كلها هي هذا الوجه البشع فغير صحيح . واما ان الغرب ادخل هذه المساوىء الى الشرق بقصد اضعافه واستغلاله فأمر يدل على ضعف الشرق واستخذائه وفقدان ارادته وغفلته . وعلى الشرق ان ينبذ هذه المساوىء لا لانها تتنافى مع دينه فحسب بل لانها ليست من الحضارة في شيء .

والثالث : انهم يظنون ان الحضارة الغربية خالية من الدين . وهذا وهم . فالغربيون متدينون اجمالاً . والدين في المجتمع الغربي عنصر حي . ولكنه نما وتطور وساير الحضارة واتجه نحو الناحية الاخلاقية اكثر من اتجاهه نحو التقاليد والطقوس . وهذا عكس ما جرى في الشرق . وهؤلاء الذين يحكمون على الغرب بأنه مجرد من الدين لا يعرفون الغرب ، او يفهمون الدين فهماً مخالفاً لفهم الغربيين ، او يحكمون عليه بما يرتكبه عدد من الجنود او الافراد الذين يرتادون الشرق . وهؤلاء لا يمثلون الغرب .

روى الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الازهر اليوم عن استاذه الامام محمد عبده انه قال له بعد عودته من رحلة في اوربا : لقد ذهبت اليها فوجدت مسلمين عملاً لا قولاً ، وعدت فوجدت مسلمين قولاً لا عملاً ... ٢٨٧

والرابع : انهم يظنون الحضارة الغربية غريبة عن الشرق . والواقع غير ذلك . فالحضارة الغربية تراث انساني عام اشتركت

فيه جميع العقول وشارك فيه المسلمون مشاركة كبيرة . فهو اخلاط من تراث الامم المتعـاقبة . وقد عاشت الحضارة في الشرق مدة طويلة . واذا عادت اليه الآن فسيمتص منهـا ما يلائم الحال التي هو فيها . فان كان واعياً مدركاً امتص العناصر الخيرة الصالحة الملائمة لبيئته . وان كان غبياً غافلاً امتص العناصر الفاسدة او القشور المبتذلة فزادته شراً على شر . وان اخذ العناصر الصالحة فانما يأخذها بذوراً لانماء حضارته هو .

والخامس : انهم يظنون ان الحضارة الغربية أفلست بسياستها ومجتمعها وعلومها وآدابها . وانهـا مشرفة على الانهيار . وهذا حكم سابق لاوانه . فقد تفلس فعلاً هذه الحضارة . ولكنها – ولا شك – دائبة على درس اوضاعها وعللها وتجنب هـذا الافلاس . وربما كان الاصح ان يقال انها الآن في دور انتقال من الحضارة الحاضرة الى حضارة أتم وارقى . وكونها في هذا الدور يدل على حيويتها وتطلعها الى الكمال لا على افلاسها . اما المفلس فعلاً فهو الذي لا يقدر على صنع ادوات منزله وسلع حانوته ووسائل نقله واستغلال ثروته وادارة بلاده .

هذه هي اسباب الحملة عـلى الغرب والتغريب . عـلى ان الاخوان – كما يتضح من مؤلفاتهم – ميزوا اولاً بين الحضـارة العلمية والآلية وما يتبعها من نظام وبين التقـاليد والعادات والنظر الديني وما يبدو من شك وإلحـاد – في بعض البلدان الغربية – او على الاصح عند بعض الجماعات – والاستعمار ونحو

ذلك. ودعوا الى الاخذ باسباب الشطرَ الاول . وهذا هو رأي البنا نفسه ٢٨٨ . اما الشطر الثاني فقد غالوا فيه. فهناك اختلاف في قيم التقاليد والعادات. وهناك فرق بين البحث العلمي والشك العلمي وبين الالحاد . وهناك اختلاف بين الافراد والجماعات في مفهوم الدين. اما الاستعمار فشرّ لا يمارى فيه ، اغرى الغربيين به والايغال فيه ضعف الشرق وعزلته . وهو ليس من الحضارة في شيء .

وميزوا ثانياً بين الحضارة في ديارها والحضارة – او شرّ ما في الحضارة – التي قذف الغرب بها الشرق ٢٨٩ . وهذا اعتراف بان الحضارة في ديارها تختلف عن هذه القشور التي ظهرت في الشرق عن تقليد وضعف .

وعسى ان يكون هذا التمييز من مظاهر الوعي الصحيح وبادرة تؤدي الى اعادة النظر في الحضارة الغربية وتقويمها تقويماً صحيحاً يعتمد على العقل لا على العاطفة .

والمسألة الثالثة التوسل بالعنف لتحقيق اهدافهم. لقد كان من جملة المآخذ التي اخذها الاخوان على الشيوعية انها مذهب هدّام يحضّ على الثورة ويعتبرها الوسيلة الوحيدة لتنفيذ اغراضها ، في حين ان القرآن الكريم يحث على الدعوة بالحسنى . والمسلمون والمسيحيون يفسرون التاريخ بالاخاء والدعوة الى المساواة والمحبة. وقالوا : ان الاخوان يتلمسون طريق الاسعاد بالتجربة الهادئة والفكر السليم ، والشيوعية تتلمس هذا الطريق بالعنف والثورة

والهدم والحرب المستعرة ٢٩٠ .

ومع ذلك فقد قال البنا : ان الاخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها ، وحيث يثقون انهم استكملوا عدة الايمان والوحدة. وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء ، وسينذرون اولا وينتظرون بعد ذلك ، ثم يقدمون في كرامة وعزة ، ويحتملون كل نتائج موقفهم بكل رضاء وارتياح ٢٩١ .

وقال : وفي الوقت الذي يكون فيه منكم - معشر الاخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة قد جَهزت كل منها نفسها روحياً بالايمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسمياً بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن اخوض بكم لجج البحار ، واقتحم بكم عنان السماء ، واغزوا بكم كل عنيد جبار ، فاني فاعل ان شاء الله ٢٩٢ .

أليس في هذين الرأيين تناقض ؟

قد يقول الاخوان : اننا ندعو الى القوة لنقف في وجه القوة الاجنبية التي غزتنا في عقر دارنا ، واننا قد جربنا الطريق السلمية عشرات السنوات فلم تفلح ، ولم يبق لنا خيار في انتهاج هذا الطريق . ولكن خصومهم يتهمونهم بأنهم اعدوا القوة لقلب نظام الحكم في مصر ومقاتلة اخوانهم الذين يخالفونهم في الرأي . ويتهمونهم بان لهم انظمة سرية تقوم على وسائل متدرجة تنتهي بالعنف . ويتهمونهم باغتيال رئيس احدى الوزارات المصرية ،

وبوضع خطط سرية لاحتلال البلاد . وهذه تهم – ان صحت – تدينهم بما ادانوا هم الشيوعيين ، وتبعدهم عن الدعوى بالحسنى . ولئن كان استعمال العنف له ما يبرره عند مجابهة العدو المعتدي المسلح فما مبرراته في وجه مواطنك الذي يختلف معك في الرأي بشأن من شؤون الدين او السياسة المحلية . وقد اجيب عن ذلك بانهم لم يلتجئوا الى العنف إلا عندما استفزهم خصومهم وألجأوهم اليه ، وان استعدادهم كان المقصود به العدو الخارجي . على ان خطب البنا لم توضح هذه النقطة تماماً . وربما اضحى هذا اتجاههم بعد المحنة ، متأثرين بما وصل اليه البنا في اواخر ايام حياته . وان كان الامر كذلك فهو يدل على مرونةٍ وحنكةٍ تقتضيهما الظروف .

هذه هي المسائل الرئيسية الثلاث التي ستكون محكاً للاخوان في المستقبل ، والتي ستقرر مصيرهم الى حد كبير .

بقيت مسألتان أخريان لا بد من ان يواجههما الاخوان . الاولى الصراع العنيف القائم اليوم بين المعسكرين الشرقي والغربي . فعلى هذا الصراع يتوقف مصير الدين باعتباره نظاماً تعترف به الدولة . فاذا انتصر المعسكر الاول فسيتقلقل مركز الدين الرسمي في العالم اجمع وينتهي الى ما يشبه اثر الوشم في ظاهر اليد . واذا انتصر المعسكر الثاني فسيظل الدين عنصراً فعالاً في المجتمع . فمستقبل الدين كله في يد القدر . والناس يتحدثون الآن عن مستقبل الدين كما يتحدثون عن مستقبل اي

نظام من الانظمة . وعلى ذلك فلا يجوز ان يستر الصراع القائم اليوم بين الغرب والبلدان المخاصمة له هذه الحقيقة الخطيرة .

وهذا هو اتجاههم هم بحكم كونهم هيئة دينية . وقد ذكروا مرةً ان اسبانيا يمكن ان تكون أقرب دول الغرب الى المسلمين لانها اشدّها تعصباً للمسيحية . « وذلك يجعلها اولى بان تتقارب مع اصحاب الاديان في عالم اصبح على فوهة بركان من الزيغ والرذيلة والالحاد ٢٩٣ » .

وهذا الاتجاه ربطهم حتماً باحد المعسكرين . ولكنه لا يكفي وحده لتصفية الحساب تصفية تامة واقامة محالفة على أسس ثابتة . فلتحقيق ذلك على الغرب من ناحيته ان يدرس اسباب الصراع ويعمل على ازالتها ، وعلى رأسها النظام الاستعماري البالي . وعلى الاخوان من ناحيتهم ان يعيدوا النظر في موقفهم من الديموقراطية بمفهومها الغربي الواقعي ، ومن الحضارة الغربية في بيئتها ، وان يميزوا بين الاستعمار والحضارة ، وبين الفسق والفجور والميسر وما اليها من مساوىء وبين الحضارة الصحيحة ؛ لا لكي يسلموا انفسهم للغرب ويكونوا له اتباعاً ، بل لكي يندمجوا في الركب الانساني المتحضر ، ويتوسلوا بالحياة الصحيّة الكريمة ، ويتبعوا القول المأثور : الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيثما وجدها ٢٩٤ .

والمسألة الثانية هي التوسع في درس الفرق الاسلامية القائمة بعقائدها ونظرها الى الاسلام ، ومواطن الاتفاق والاختلاف .

فحركة الاخوان تخلو خلواً تاماً من هذا الدرس . وهي تجابه الامر الواقع كما هو دون اي استعداد ، مقدرة ان يكون لها الغلبة والشيوع بطبيعة الحال . وهذا وهم . ومع ان اهل السنة هم الكثرة العظمى بين المسلمين إلا ان لهذه الفرق اثراً واضحاً في المجتمع الاسلامي . وبقاؤها على هذه الحال من الاختلاف والعزلة يؤثر في تاريخ المسلمين . واكبر وسيلة للتقارب ، بعد الدرس والبحث ، شرح الدين شرحاً تلتقي عنده جميع المفاهيم ، شرحه شرحاً يسيراً واسعاً يعلو عن السفساف وحطام الدنيا والنزوات الانسانية . ثم التسامح الذي يبلغ حداً يجعل الدين وسيلة لخلق ضمير حيّ حساس . وبذلك تبلغ الدعوة مداها ويلتقي الاخ مع اخيه على صعيد واحد .

وحتى من وجهة النظر السنيّ المحض لم تعالج الدعوة الازمة الروحية علاجاً دقيقاً وافياً . لم تحاول ان تدخل الى عقل المسلم السني المتعلم وتدرس ما يعتريه من مشاكل عويصة هي مصدر القلق والشك . وكان من المنتظر ان تكون هذه رسالتها الرئيسية بحكم كونها حركة دينية اسماً وفعلاً . ولكنها لم تعن بهذه الرسالة . ولِمَ ؟ ألانها تجنبت ذلك قصداً لكون الفلسفة ليست من الدين ؟ ألانها حركة شعبية نشأت بين العمال وانتشرت بين الطبقات الدنيا التي لا تدور في رؤوسها المشاكل العويصة التي تدور في رأس المسلم المتعلم ؟

الواقع انهم قرروا في كتبهم وخطبهم مراراً ان حركتهم

سلفية تقليدية لا فلسفية . وبذلك تجنبوا الخوض فيما يدور في رؤوس المتعلمين من مشاكل . وهذا جعل بينهم وبين عـامة المتعلمين حجاباً ، وقصرها على ان تكون حركة شعبية تروج في الاوساط الدنيا والمتوسطة ولا تكاد ترتقي الى الاوساط المثقفة . ولا ينقض ذلك اشتراك عدد من المتعلمين – من طلاب الجامعات ورجال القانون والدين – في حركتهم . فهذا الاشتراك مرده في كثير من الاحيان وحدة العقيدة السياسية لا وحدة التفكير الديني . وقد ذكر سابقاً كيف نجحوا في كسب انتخـابات الاتحاد في جامعة فؤاد الاول إثر اعلانهم التدريب العسكري. ان التطرف السياسي في الظروف الحاضرة يجذب قلوب الشبان المتعلمين اكثر مما تجتذبها الحركات الدينية . وان اعمال البطولة والتضحية التي قام بها الاخوان في فلسطين وفي مصر اكسبتهم عطفاً قوياً لا مراء فيه. وربما جاز التساؤل: هل أهملت رسالتها الدينية لانها تطورت سريعاً من الدين الى السياسة والاقتصاد ؟ وفي غمرة هذين الميدانين نسيت رسالتها الاولى ؟

وايا كان السبب فالذي يبدو ان حركة الاخوان لم تقدم الحلول لطائفة كبيرة من المشاكل الدينية العويصة التي تدور في رأس المسلم المتعلم ، وان جلّ اتباعها كان من الطبقة غير المتعلمة او المتعلمة نصف تعلم ، وان كان هذا لم يحرمها عطف الطبقـات المتعلمة على ارائها السياسية. ومن العبث في هذه الحال ان تطالب ببحث ما يدور في رؤوس المتعلمين المنتسبين الى غير اهل السنة ،

وبمعنى آخر ان تكون حركة اسلامية عامة تعالج الازمة الروحية التي تنتاب العالم الاسلامي كله . وهذا فارق سلبي بينها وبين الحركات الدينة السابقة منذ ظهور ابن تيمية ومدرسته الجريئة الى حركة جمال الدين الافغاني ومحمد عبده . فتلك الحركات جابهت واقع التفكير الاسلامي وحاولت ان تنفذ الى عقل المسلم وتعالج المشاكل العويصة التي نشأت فيه بتأثير تطور الزمن اولاً وبتأثير العلوم الحديثة والنظر الديني الغربي اخيراً. ومؤلفات جمال الدين ومحمد عبده تدور حول هذا المحور ، وتعتبر نُقْلَةً في التفكير الاسلامي . وكان من المتوقع بعد مرور نحو نصف قرن على جمال الدين ومحمد عبده والتطور العظيم الذي حدث في العالم إثر الحربين العالميتين السابقتين انتنهض مدرسة جديدة تُتِمّ ما بدأه المصلحان السابقان وتعالج ما جد من مشاكل في العقل الاسلامي . وكان من المنتظر ان يكون الاخوان المسلمون هذه المدرسة . ولكنهم لم يكونوا كذلك لغلبة المناحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية على المنحى الديني . وجاء بعد ذلك المفهوم الشامل للاسلام الذي اخذ به الاخوان فوكّد هذه الغلبة. وبذلك اضحت دعوتهم سياسية اقتصادية اجتماعية في المرتبة الاولى ودينية في المرتبة الاخيرة ٢٩٥ .

وقد اوضح هذا احد كتابهم اذ قال : جهاد الافغاني ومحمد عبده وغيرهما من ابطال الاسلام غير الجهاد للاسلامية كدعوة ونظام. فالمناداة بالفكرة الاسلامية واظهار جمالها بكل الاساليب

التاريخية المعروفة لا تُنكر . ولكن ذلك غير الدعوة الاسلامية كحقيقة دستورية مستقلة يقوم عليها نظامٌ عام له ميزاته ، ثم تنظيم حركة تقود جيلاً يعمل على تطبيق مبادىء النظام الاسلامي في الحكم والسياسة والاجتماع ، واقرارها عملياً كدستور واجب النفاذ، الى جانب الذود عنها كعقيدة صحيحة.. الدعوة الاسلامية بهذا المعنى العملي الواسع الشامل وما ترتب عليها من انقلاب عالمي في الافكار ومن الاحداث التاريخية التي سيكون لها اثرها وخطرها في مستقبل الانسانية ، الدعوة الاسلامية بهذا المعنى لم يعرفها التاريخ منذ آماد طويلة جداً ، إلا حين رفع لواءها حسن البنا في القرن العشرين باسم دعوة الاخوان المسلمين ٢٩٦ .

وهذا في الواقع وصف صحيح للدعوة بقلم احد اتباعها .

وعلى الباحث ان يطرق باباً غير باب الاخوان للسؤال عما يجري في عقول المسلمين من تفاعل ديني وصراع يتناول المسائل الدينية . ويمكن تلخيصه في ثلاثة مجار رئيسية .

الاول : محاولة التوفيق بين العلم والدين بالتفسير والتأويل . وعلى هذا معظم المسلمين المتعلمين اليوم . ومنهم هيكل باشا - كما يبدو في كتابه منزل الوحي - وعباس محمود العقاد واحمد امين وفريد وجدي وغيرهم من المفكرين في مصر . وعليه كذلك معظم المتعلمين خارج مصر .

والثاني : محاولة العودة الى (علم الكلام) . والاخذ بناصية العلوم الفلسفية الجدلية لاثبات صحة العقائد الدينية كما هي .

وعلى هذا معظم رجال الدين الاقحاح . وقد اصدر اخيراً شيخ الاسلام السابق ، مصطفى صبري ، المقيم الآن في مصر ، كتاباً عنوانه : (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ٢٩٧) ذهب فيه الى تأييد العقيدة بالعقل ، وحمل على من يزعم ان في العقائد اموراً لا يمكن ان نصل اليهـا بالعقل بل نسلم بها تسليماً حسبما قال محمد عبده .

الثالث : محاولة ترك العلم يجري مستقلاً عن الدين ، والاخذ بالبحث العلمي المطلق . وعلى هذا بعض المتعلمين المحدثين . وهم فريقان : فريق يرى ان نهاية العلم توصل الى معرفة الله حتماً ، وان ايمان العقل جائز . ويدللون على ذلك بآراء العلماء الغربيين — من فلاسفة وعلماء طب وكيمياء وحياة الخ ... — ممن توغلوا في العلوم المادية وظلوا مؤمنين . وفريق ثان يبغي فصل الدين عن العلم فصلاً تاماً وترك الدين للفرد يتصوره كما شاء. فان آمن فلنفسه وإن شك وكفر فعليها . ولا تزر وازرة وزر اخرى .

ولكن هذه المجاري محصورة في افراد . ولم تتبلور في صورة مدارس لها اساتذتها وطلابها . وليس من دليل على انها في طريق التبلور الآن لثلاثة اسباب . الاول : قلة عدد المتعلمين في العالم الاسلامي قلة تجعل التيار العام في جهة غير الجهة التي فيهـا هذه المدارس جميعهـــا . فمثل هذا التبلور يجب ان يسبقه علم يثير المشاكل ويتطلب الحلول. وهذا بعيد الآن ، وان كانت الزيادة المطردة في نسبة المتعلمين توحي بانه سيقع يومـــاً ما . والثاني

شيوع الفقر وكفاح النـــاس في سبيل تأمين العيش . والمعدة الفارغة تتطلب اولاً الرغيف . والثـــالث الاضطراب السياسي السائد في جميع العالم الاسلامي . فالصراع الآن يكاد يكون محصوراً في نطاق السياسة. والمسلمون يشعرون انهم يعانون ازمة كيان : وجودٌ حر كريم تتوافر فيه السيادة والحرية والامن والعدالة او وجودٌ ذليل مظـلوم مقهور لا يمكن ان تشعر فيه النفس بالطمأنينة ٢٩٨ .

ومتى زالت هذه الاسباب ، متى شعر العـــالم الاسلامي بالاستقرار والطمأنينة ، وشاع فيه العلم والرخاء ، انصرف الى المسائل الروحية وتجمع الافراد حول مدارس متعددة ، لكل مدرسة اساتذتها وطلابها . ولعل هذا الوقت هو مقدمة – ان سارت الامور في الاتجاه الذي ألمعنا اليه – لتلك النتيجة الحتمية، بَعُدت ام قَرُبت . لان الانسان لا يستطيع بعد توفر رخائه المادي إلا ان تظهر عليه انسانيته الواعية التي تفرض عليه ان يسأل : كيف ؟ والى اين ؟ وهذا هو دائرة الدين او ما وراء الطبيعة بعرف الفلاسفة .

وفي هذه الحالة سيكون امام المسلمين امران: الاول التراث الديني القائم على القرآن والحديث وآثار المفكرين الاسلاميين من متكلمين وفلاسفة وصوفية. والثاني التراث العقلي الغربي الحاضر. وهذان لا بدّ من ان يتفاعلا ويحدثا آثاراً من العبث ان نتنبأ بصورها . ولكن من المحقق ان العقيدة الاسلامية ستثبت كما

ثبتت عندما تفاعل التراث الاسلامي بالتراث الاغريقي . ولن يضير العقيدة تطور التصور الديني او ظهور مدارس دينية متنوعة تتلمس الهداية مخلصة صادقة ، كما حدث في العصر العباسي وفي الاندلس ، وكما حدث في الغرب بعد النهضة . فهذه نتائج لا مفرّ منها في تاريخ الاديان جميعها وفي تاريخ الانسانية جمعاء . فهذا التاريخ ما فتىء يكرر درسين عصراً بعد عصر . الدرس الاول : ان الاحساس الروحي راسخ في اعماق الانسان ، وسيظل راسخاً ما دام الإنسان يفكر ويتأمل في هذا الكون العجيب . والدرس الثاني ان التصورات الدينية متطورة ونامية ومن المحال ثباتها .

ويبدأ التطور في عقول افراد . ثم يجتمع هؤلاء في حلقة او مدرسة يتزعمها مفكر مؤمن شجاع . وتضع هذه المدرسة لها مبادىء جديدة نسبياً. وبعد فترة من الزمن تركد هذه المبادىء ويضعف مفعولها بتأثير ما يجدُّ من علوم وما يطرأ على المجتمع من نموّ بيولوجي واجتماعي وفكري . فتنبت آراء جديدة في عقول افراد ، وتتبلور هذه الآراء في مدرسة تحل محل المدرسة القديمة. وهكذا يسير التطور في حلقات متوالية على هذا المنوال الى ما شاء الله .

اما علاقة هذا التطور بالاديان السماوية فهي انه يقع ضمن نطاق دائرتها الكبرى . وقد يحوم حول اطار الدائرة . وقد يخرج احياناً عن الاطار ثم ما يلبث ان يعود اليها . وقد يظل

افراد خارجه . وكل ذلك حسب عوامل متنوعة لا ضابط لها .
ولا تهدِ من احببت ان الله يهدي من يشاء .

مراجع وشروح

الفصل الاول

١ – راجع مقدمة كتاب الطريق للدكتور يحيى الدرديري المراقب العام لجمعيات الشبان المسلمين ، القاهرة ١٩٥٢ . والمقدمة بقلم محب الدين الخطيب احـد مؤسسي جمعية الشبان المسلمين وسكرتيرها العام الاول السابق، وهي تشرح ظروف نشأة الجمعية واهدافها واعضاء مجلس ادارتها الاول . وربما كانت – بالاضافة الى القانون الاساسي – خير مصدر لتاريخها .

٢ – راجع التقرير السنوي الاول الذي وضعته هذه الجمعيـة وطبع في القاهرة سنة ١٩٢٤ . ويذكر هذا التقرير ان الاعضـاء انخرطوا في الفرع المركزي في القاهرة في ٦ يناير ١٩٢٣ . امـا البناء فاشترى سنة ١٩٢٢ .

٣ – راجع في Whither Islam, edited by H. A. R. Gibb, London 1932

تحليل G. Kampfermeyer PP. 101-170 حيث يذكر ان المادة الثانية تنص على عدم التدخل في السياسة . وانظر القانون الاساسي الطبعة الحادية عشرة سنة ١٣٦٧ هـ . ١٩٤٧ م . حيث يرد نص

المنع في المادة الرابعة على الصورة الآتية « تعمل الجمعية على توثيق الصلات والروابط بين الشعوب الاسلامية وعلى الدفاع عن حقوقها ومصالحها كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ولا تتعرض هذه الجمعية للمنازعات السياسية بأي حال » .

٤ ـ راجع كتاب الصعلكة والفتوة للدكتور احمد امين بك العدد ١١١ من سلسلة اقرأ ، ابريل ١٩٥٢ ، حيث يربط المؤلف بين جمعية الاخوان المسلمين ونظام الفتوة ص ٩٦ .

٥ ـ انظر افتتاحية مجلة الرسالة الصادرة في القاهرة بتاريخ ٣١ مارس ١٩٥٢ عدد ٩٧٨ .

٦ ـ جريدة الاخوان المسلمين عدد ٢٤ بتاريخ ٣١ مايو ٩٤٦

٧ ـ انظر كتاب (من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى) ص ٥٩ . ان كثيراً من مطبوعات الاخوان لا تاريخ لها .

٨ ـ كتاب في ١٠٢ ص ، مطبعة الاخاء في مصر ، بلا تاريخ وربما وضع سنة ١٩٤٦ .

٩ ـ انظر كتاب (مذكرات حسن البنا) ص ٨٦ .

١٠ ـ جريدة الاخوان المسلمين عدد ٧٠ بتاريخ ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٦ .

١١ ـ المصدر نفسه عدد ٥٩ بتاريخ ١١ يوليو ٩٤٦ .

١٢ ـ المصدر نفسه عدد ٦٢ بتاريخ ١٥ يوليو ٩٤٦ .

١٣ ـ المصدر نفسه عدد ٧٠ بتاريخ ٢٤ يوليو ٩٤٦ .

١٤ – مذكرات البنا ص ٣١ و روح وريحان لاحمد انس الحجاجي ص ١٢٨ و ص ١٣١ .

١٥ – روح وريحان ص ٣٠ .

١٦ – المصدر نفسه ص ٣٢ ومذكرات البنا ص ٨ .

١٧ – مذكرات البنا ص ١٦ .

١٨ – المصدر نفسه ص ١٧ .

١٩ – المصدر نفسه ص ٦ ، ٨ ، ١٧ .

٢٠ – المصدر نفسه ص ٢٨ .

٢١ – المصدر نفسه ص ٢٨ .

٢٢ – قائد الدعوة ، حياة رجل وتاريخ مدرسة ، لاحمد انور الجندي القاهرة ١٣٦٥ هـ . = ١٩٤٥ م . ص ١٣٧ .

٢٣ – المصدر نفسه ص ١٤٤

٢٤ – مذكرات البنا ص ٥٦ – ٥٧ .

٢٥ – قائد الدعوة ص ١٣٧ .

٢٦ – المصدر نفسه ص ١٣٧ .

٢٧ – من خطب حسن البنا (الحلقة الاولى) دمشق ١٩٣٨ ص ٥ .

٢٨ – مذكرات البنا ص ٥٨ .

٢٩ – راجع في تفصيل ذلك المصدر نفسه ص ٥٩ – ٦٣ .

٣٠ – المصدر نفسه ص ٦٣ – ٦٦ . وكتاب روح وريحان بقلم احمدأنس الحجاجي القاهرة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٥م ص ٩٦–٩٨.

الفصل الثانى

٣١ - مذكرات البنا ص ٦ ، ٨

٣٢ - المصدر نفسه ص ١٧

٣٣ - الاخوان المسلمون في الميزان ص ١٤

٣٤ - مذكرات البنا ص ٥٢

٣٥ - المصدر نفسه ص ٧٠

٣٦ - من حملة الفكرة الاولى احمد السكري ، وكان في المحمودية وكان وكيل جمعية الاخوان . وأنابه البنا عنه مع آخر عند سفره الى الحجاز . وكان من حملة الاقلام العنيفة . ثم انشق على الجماعة . ومنهم حامد عسكرية وكان بالزقازيق ، واحمد عبد الحميد ، وكان في كفر الدوار (انظر من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٦) .

٣٧ - مذكرات البنا ص ٨٠

٣٨ - المصدر نفسه ص ٨٦ انظر كذلك (كتاب حسن البنا - حياة رجل وتاريخ مدرسة بقلم احمد انور الجندي - القاهرة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٥م) ص ٧٤ و ٨٤ .

٣٩ - مذكرات البنا ص ٨٨

٤٠ - حسن البنا حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٠٩

٤١ - انظر كتاب (روح وريحان بقلم احمد انس الحجاجي القاهرة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٥ م) ص ٢٣٦ .

٤٢ – حسن البنا – حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٢٧
٤٣ – المصدر نفسه ص ١٠٧ وروح وريحان ص ١٩٠
٤٤ – روح وريحان ص ١٩٩ – ٢٠٠
٤٥ – حسن البنا – حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٠٩
٤٦ – روح وريحان ص ١٩٩
٤٧ – المصدر نفسه ص ٢٠١
٤٨ – هل نحن قوم عمليون ؟ بقلم البنا ، القاهرة ١٩٤٦ ص ١٥ – ١٦
٤٩ – روح وريحان ص ٢٥٠
٥٠ – انظر في كتاب (ثورة الدم لعبد الرحمن الساعاتي) بلا تاريخ خطبة على قبر بني امية سنة ١٩٣٥ ص ١١ ، ومقالاً من بيت المقدس ص ١٠٨ ، ومقالاً على قبر بلال ص ١١٣ .
٥١ – انظر مقالات بعنوان (نحن) نشرت في جريدة « الاخوان المسلمون » عدد ٥٢ بتاريخ ٣ يوليو ١٩٤٦ .
٥٢ – انظر رسالة عنوانها (نحو النور) بقلم البنا ، القاهرة ١٩٣٦ ص ٣٠ – ٣٦ .
٥٣ – المصدر نفسه ص ٣٠ ، البند الاول .
٥٤ – رسالة المنهج الصادرة سنة ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م ، وانظر جريدة « الاخوان المسلمون » بتاريخ ٢ يوليو ٩٤٦ .
٥٥ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٤ – ١٥ .
٥٦ – جريدة « الاخوان المسلمون » بتاريخ ٣ يوليو ٩٤٦ .

٥٧ – المصدر نفسه بتاريخ ٤ يوليو ٩٤٦ .

٥٨ – من خطب حسن البنا ، الخطبة الاولى ص ٢٤ .

٥٩ – المصدر نفسه ص ٣٩ .

٦٠ – المصدر نفسه ص ٤١ – ٤٢ .

٦١ – المصدر نفسه ص ٥٦ .

٦٢ – انظر « قانون النظام الاساسي لهيئة الاخوان المسلمين » طبقاً للتعديل الذي افرته الجمعية العمومية في اجتماعها بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٤٥ ص ٤ .

٦٣ – انظر جريدة « الاخوان المسلمون» العدد ١٨٦ بتاريخ ١٢ ديسمبر ٩٤٦ .

٦٤ – المصدر نفسه. وفي رواية ان العدد ناهز المليون . انظر مقدمة مذكرات حسن البنا .

٦٥ – انظر مجلة « الدعوة » الاسبوعية العدد ٦١ بتاريخ ١٥ ابريل ٩٥٢ .

٦٦ – مقدمة مذكرات حسن البنا .

٦٧ – مجلة « الدعوة » العدد ٦١ بتاريخ ١٥ ابريل ٩٥٢ .

٦٨ – صورة البيان في جريدة « الاخوان المسلمون » عدد ١٣٥ بتاريخ ١٠ اكتوبر ٩٤٦ .

٦٩ – المصدر نفسه العدد ١٨٣ بتاريخ ٩ ديسمبر ٩٤٦ .

٧٠ – انظر كتاب (رجل الساعة) لاحمد أنس الحجاجي ، بلا تاريخ ، ص ٩٣ .

٧١ – جريدة « الاخوان المسلمون » بتاريخ ٦ مايو ٩٤٦ وجريدة المنار الدمشقية العدد ٤١٨ بتاريخ ١٤ ايار (مايو) ٩٤٨.

٧٢ – جريدة المنار الدمشقية العدد ٥٢٨ بتاريخ ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٤٩ .

٧٣ – مجلة الدعوة العدد ٦١ بتاريخ ١٥ ابريل ٩٥٢ .

٧٤ – للاطلاع على تفصيل هذه الحوادث التي عُرفت بقضية سيارة الجيب راجع كتيباً عنوانه «اقوال كبار الشهود وحوادث التعذيب » بلا تاريخ ، وكتيباً آخر عنوانه « الحيثيات ونص الحكم » بلا تاريخ ايضاً . ونشرت الاهرام والمصري وخلافها التحقيقات تباعاً .

٧٥ – انظر جريدة المنار الدمشقية العدد ٥٢٨ بتاريخ ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٤٩ .

٧٦ – انظر طرفاً من حوادث المعتقلات في كتاب (معتقل كامكستب لمحمد علي الطاهر) وكان المؤلف معتقلاً . وهو صاحب جريدة الشورى التي كانت تصدر في القاهرة .

٧٧ – جريدة « الجمهور المصري » بتاريخ ٥ فبراير ١٩٥١ ، وقد اثبت فيه هذا التصريح .

٧٨ – نشرت مجلة « الدعوة» وصفاً لذلك في العدد ٤٤بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٥١ .

٧٩ – جريدة الحياة البيروتية العدد ١٦٨٢ بتاريخ ٣١ اكتوبر ١٩٥١ .

٨٠ – الكتب الثلاثة الاول بقلم عبد القـادر عودة القاضي بالمحاكم الوطنية ومن اعضاء الجمعية . وله كذلك الكتب التالية : التشريع الجنـائي في الاسلام ، والمال والحكم في الاسلام ، والاسلام واوضاعنا المالية . وهي كلها في الاتجاه الذي أشير اليه . والكتب الثلاثة الأخر بقلم محمد الغزالي من اعضاء الجمعية واكثرهم كتابة في الصحف دفاعاً عن العقيدة . وله عدا تلك الكتب ما يلي : من هنا نعلم ، رداً على كتاب الشيخ خالد محمد خالد الذي احدث ضجة كبيرة وعنوانه (من هنا نبدأ) . وله كذلك كتاب عقيدة المسلم ، والاسلام المفترى عليه . وهي كلها في الاتجاه نفسه . ومن الكتب التي في هذا الموضوع كتابا نظم العمل في الاسلام ، ونظم الحرب في الاسلام بقلم جمال الدين عياد، والاسلام وحقوق الانسان لعبد المنعم خفاجي .

٨١ – مجلة شهرية صاحب امتيـازها ورئيس تحريرها سعيد رمضان. صدر العدد الاول في ٣٠ نوفمبر ١٩٥١. والمحرر من اكبر دعاة الاخوان وافصحهم لساناً واقواهم حجة . وهو من خريجي جامعـة فؤاد . وطورد في عهد عبد الهادي باشا واقام مدة في الباكستان . ثم عاد الى القاهرة . وهناك مجلة اسبوعية اسمها « الدعوة » لصاحبهـا ورئيس تحريرها صالح العشماوي من اعضاء الجمعية . ولكن الجمعية اعلنت ان هذه المجلة لا تنطق بلسان الجماعة. وهي شعبية وذات طابع سياسي، في حين يغلب على مجلة (المسلمون) الطابع العلمي الرصين .

الفصل الثالث

٨٢ – مقدمة مذكرات حسن البنا .

٨٣ – انظر روح وريحان ص ٣٧٦ ورجل الساعة لاحمد أنس الحجاجي ص ١٢١ .

٨٤ – انظر جريدة « الاخـوان المسلمون » بتاريخ ٦ مايس سنة ٩٤٦ .

٨٥ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٩ . ولهـذا جعلوا شعارهم سيفين بينهما مصحف .

٨٦ – روح وريحان ص ٢٦٤ .

٨٧ – المصدر نفسه ص ١٠١ .

٨٨ – مختصراً من المصدر السابق ص ١٠٣ – ١١٣ .

٨٩ – مذكرات حسن البنا ص ٥ ، ٢٩ ، ٤٩ .

٩٠ – المصدر نفسه ص ١١ .

٩١ – المصدر نفسه ص ١٥ .

٩٢ – المصدر نفسه ص ١٦ .

٩٣ – المصدر نفسه ص ١٨ .

٩٤ – المصدر نفسه ص ٢٠ .

٩٥ – حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ٨٤

٩٦ – المصدر نفسه ص ٨٤ ومذكرات حسن البنا ص ٨-٢٠ وص ٤٦ .

٩٧ – مذكرات حسن البنا ص ٢٥ .

٩٨ – المصدر نفسه ص ٨٢ .

٩٩ – المصدر نفسه ص ٨٢ .

١٠٠ – قال في مذكراته: كنا ننكر على كثير من المنتسبين للطرق خروجهم على تعاليم الاسلام ، فكنـــا مريدين احراراً في تفكيرنا وان كنا مخلصين كل الاخلاص في تقديرنا للعبادة والذكر وادب السلوك (ص ٤٩) .

١٠١ – المصدر نفسه ص ٦٨ .

١٠٢ – راجع اسماء المتون في المصدر السابق ص٣٢ .

١٠٣ – المصدر نفسه ص ١٥ .

١٠٤ – » » » ٣١ .

١٠٥ – » » » ٤٩ .

١٠٦ – روح وريحان ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

١٠٧ – مذكرات حسن البنا ص ٤٢ و ٦٩ .

١٠٨ – حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٥٦ .

١٠٩ – مذكرات حسن البنا ص ٨١ .

١١٠ – جريدة الجمهور المصري بتاريخ ٥ فبراير ١٩٥١ .

١١١ – رجل الساعة ص ٩٣ .

١١٢ – انظر مثالاً على ذلك رسالة (نحو النور) بقلم البنا ، القاهرة ١٩٣٦ ص ٩ – ١٩ ، و (الى اي شيء ندعو النـــاس) بقلمه ايضاً ص ٢٣ وروح وريحان ص ٣٥٠ .

١١٣ – انظر ص ٨٧ – ٩٣ وص ١٠٦ . هذا الكتاب اسمه على الغلاف الخارجي (قائد الدعوة) وعلى الغلاف الداخلي (حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة) .

١١٤ – ص ٢٩٠ .

١١٥ – ص ٢٨٨ – ٢٨٩ .

١١٦ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٥ يوليو ١٩٤٦.

١١٧ – انظر ص ١٤٢ .

١١٨ – المصدر نفسه ص ٥٨ .

١١٩ – روح وريحان ص ٢١٥ .

١٢٠ – ملخصاً من (رجل الساعة) ص ١٢٠ – ١٢٢ .

١٢١ – التايمس الاسبوعية بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٤٦وجريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٢ ديسبر ٩٤٦ .

١٢٢ – احمد أنس الحجاجي في كتابه (روح وريحـــان) ص ٢٩٤ .

الفصل الرابع

١٢٣ – روح وريحان ص ٢٩٤ .

١٢٤ – الباب الثاني المادة الرابعة ص ٤ .

١٢٥ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٢٠ .

١٢٦ – المصدر نفسه ص ٢٤ .

١٢٧ – رجل الساعة ص ٩٣ .

١٢٨ – ص ٩ .

١٢٩ – روح وريحان ص ٣٨١ .

١٣٠ – المصدر نفسه ص ٣٧٤ .

١٣١ – انظر (دعوتنا) وهي رسالة غير مؤرخة ، ولكنها من رسائلهم الاولى،ولا توقيع عليها وان كان الراجح انها بقلم البنا.

١٣٢ – انظر (الى اي شيء ندعو الناس) بقلم البنا ، ولا تاريخ لها ، ص ٢٣ .

١٣٣ – دعوتنا ص ١١ .

١٣٤ – (كيف ندعو الناس) بقلم عبد البديع السيد صقر ، وموافقة البنا عليها ، الطبعة الثانية ١٩٤٦ ص ٤ وهذا يعني انهم سلفيون .

١٣٥ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٤ .

١٣٦ – روح وريحان ص ٣٩٠ .

١٣٧ – هذه المبادىء الستة هي بنود المادة الثانية في الباب الثاني من قانون النظام الاساسي للاخوان الذي اقرته الجمعية العمومية سنة ١٩٤٥ .

١٣٨ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٧ .

١٣٩ – دعوتنا ص ٢٣ .

١٤٠ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٨ – ٢٠

١٤١ – المصدر نفسه ص ٣٧ .

١٤٢ – المصدر نفسه ص ٤١ – ٤٣ .

١٤٣ – المصدر نفسه ص ٥٠ – ٥٥ .

١٤٤ – المصدر نفسه ص ٥٦ – ٥٧ وجريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣٠ يوليو ٩٤٦ .

١٤٥ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٦٦ – ٧٠

الفصل الخامس

١٤٦ – الى اي شيء ندعو الناس ص ٢٦ . وانظر مقالة البنا في مقدمة مجلة الشهاب التي أُثبتت في صدر العدد الاول من مجلة (المسلمون) بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ ولا سيما ص٨ حيث تلخص رسالة الشهاب التي هي رسالة الدعوة .

١٤٧ – حسن البنا ، حياة رجل وتاريخ مدرسة ص ١٢٥ .

١٤٨ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١١ يوليو ٩٤٦ .

١٤٩ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٥ مايس ٩٤٦ .

١٥٠ – المصدر نفسه بتاريخ ٦ يونيو ٩٤٦ .

١٥١ – نحو النور ص ٣١ – ٣٤ ، و (هل نحن قوم عمليون) بقلم البنا ، ١٩٤٦ ، ص ٢٩ ، وجريدتهم بتاريخ ١٧ مايو ٩٤٦ .

١٥٢ – الى اي شيء ندعو الناس ص ٢٣ .

١٥٣ – روح وريحان ص ٢٩٥ .

١٥٤ – رجل الساعة ص ١٢٤ .

١٥٥ – المصدر نفسه ص ١٢٣ .

١٥٦ – انظر روح وريحان ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

١٥٧ – رجل الساعة ص ١١٥ .

١٥٨ – جرى المرشد العام الجديد على نهج سلفه فرفع الى نجيب الهلالي باشا رسالة تعبر عن رأي الاخوان في السياسة المحلية والخارجية كحركة التطهير التي اعلن الهلالي باشا عزمه على تنفيذها وقضية المفاوضات مع الانجليز الخ.. (انظر جريدة الاهرام بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٥٢) .

١٥٩ – جريدة (الاخوان المسلمون) ٧ يوليو ٩٤٦ .

١٦٠ – المصدر نفسه بتاريخ ١٠ يوليو ٩٤٦ .

١٦١ – المصدر نفسه « « «

١٦٢ – « بتاريخ ١١ يوليو ٩٤٦ .

١٦٣ – « بتاريخ ٢٥ يوليو ٩٤٦ .

١٦٤ – « « ٢٤ « «

١٦٥ – « « ١٤ « «

١٦٦ – « « ٣٠ « «

١٦٧ – « « ٣٠ « «

١٦٨ – ورد مايشبه هذه الاهداف في نشرة عنوانها (اهدافنا ومبادئنا) صادرة عن اللجنة المركزية للاخوان في دمشق بتاريخ ١٣٦٥ – ١٩٤٥ وارى انها تشبه آراء الاخوان في مصر . وانظر

مقررات المؤتمر السادس للاخوان المسلمين ص ٧ .

١٦٩ – نحو النور ص ١٨ – ١٩ والى اي شيء ندعو الناس ص ٢٦ .

١٧٠ – جريدة « الاخوان المسلمون » بتاريخ ١٧ يونيو ٩٤٦ .

١٧١ – المصدر نفسه بتاريخ ٢٠ مايو ٩٤٦ .

١٧٢ – المصدر نفسه بتاريخ ١٨ يونيو ٩٤٦ .

١٧٣ – المصدر نفسه بتاريخ ٣ يونيو ٩٤٦ .

١٧٤ – انظر (هل نحن قوم عمليون ؟) ص ١٤ .

١٧٥ – وقد جاء في رسالة الوزير اليهم : « وقد رأينا جماعتكم المنبثة في كثير من القرى والحواضر من الشمال إلى الجنوب حقيقة بان تقوم بقسطها في الكفاح.. وتتيح لهم فرصة لتحقيق جزء كبير من برنامجكم الاصلاحي » . وفي هذا اعتراف بمبلغ نفوذهم في ذلك الوقت . انظر جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١١ اكتوبر ٩٤٦ .

١٧٦ – هل نحن قوم عمليون ص ١٤ – ١٦ .

١٧٧ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣ يوليو ٩٤٦ .

١٧٨ – المصدر نفسه بتاريخ ٢٣ يونيو ٩٤٦ .

١٧٩ – انظر كتاب (معتقل هامكستب) لمحمد علي الطاهر ص ٦ .

١٨٠ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٨ يونبو٩٤٦ .

١٨١ – المصدر نفسه بتاريخ ٧ يونيو ٩٤٦ .

١٨٢ – المصدر نفسه بتاريخ ٢٠ يونيو ٩٤٦.

١٨٣ – « « ٣١ مايو ٩٤٦ .

١٨٤ – « « ٣ يونيو ٩٤٦.

١٨٥ – روح وريحان ص ٣٠٩.

١٨٦ – المصدر نفسه ص ٣١٠ .

١٨٧ – المصدر نفسه ص ٣١٣ .

١٨٨ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٤ يونيو ٩٤٦.

١٨٩ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢١ يونيو ٩٤٦.

١٩٠ – مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ نيسان ٩٥٢ .

١٩١ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٥ مايو و ٧ يونيو و ٢٠ يونيو و ٢١ يونيو ٩٤٦ .

١٩٢ – انظر (بيان عن مشروع المطبعة الاسلامية والجريدة اليومية) سنة ١٩٤٥ .

١٩٣ – راجع اسماء الشركات في مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .

١٩٤ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٢ يوليو ٩٤٦.

١٩٥ – هل نحن قوم عمليون ص ١٨ – ١٩

١٩٦ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٥

١٩٧ – انظر (اهدافنا ومبادئنا) ص ٥ حيث يذكر ان في المدنية الغربية خيراً كثيراً وشراً كثيراً، وانه لا غنى عن الاستعانة بصناعتها وعلومها ، وان كل تجديد نافع لا يذيب الشخصية هو قوة

جديدة تدعم كيان الامة.. الخ... وهذا القول يبين موقفهم عملياً من الحضارة الغربية، ويدحض القول انهم كانوا مخاصمين لها اطلاقاً. هذا ولا ينكر ان بعض كتابهم غالوا في الحملة على الحضارة الغربية. ولكن الاتجاه العام هو ما يبين من هذه العبارة.

١٩٨ — اهدافنا ومبادئنا ص ٨ — ١٠ .

١٩٩ — هل نحن قوم عمليون ص ٤٨ — ٥٢ .

٢٠٠ — مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .

٢٠١ — جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣ يونيو ٩٤٦ .

٢٠٢ — المصدر نفسه بتاريخ ١١ يونيو ٩٤٦ .

٢٠٣ — الاخوان المسلمون في الميزان ص ٢٦ .

٢٠٤ — جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٧ اغسطس ٩٤٦ وبتاريخ ٧ يونيو ٩٤٦ .

٢٠٥ — نحو النور ص ١٥ — ١٦ .

٢٠٦ — روح وريحان ص ٢٩٧ .

٢٠٧ — انظر حرف (ه) من المادة الثانية في (قانون النظام الاساسي) ص ٢ — ٣ .

٢٠٨ — جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٧ مايو ٩٤٦ .

٢٠٩ — من خطب حسن البنا، الحلقة الاولى ص ٣٩ .

٢١٠ — جريدة الحياة البيروتية عدد ١٦٨٢ بتاريخ ٣١/١٠/٥١

٢١١ — جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٥ يونيو ٩٤٦ و٦ يونيو و١٤ يونيو ٩٤٦ .

٢١٢ — المصدر نفسه بتاريخ ١٨ يونيو ٩٤٦ .

الفصل السادس

٢١٣ ـ توفي محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م .

٢١٤ ـ انظر تاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان حيث يقرر ان الوهابيين ذهبوا الى اغفال الكتب الدينية الاسلامية إلا القرآن والحديث . فهم بمنزلة الطـــائفة الانجيلية عند المسيحيين (الطبعة الاولى ج ٢ ص ٢٢٩) . وانظر فلسفة التشريع الاسلامي لصبحي المحمصاني (الطبعة الثانية) ص ٧٦ ، وزعمـاء الاصلاح في العصر الحديث لاحمد امين سنة ١٩٤٨ ص ١٠ ـ ٢٥ .

٢١٥ ـ من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٢ .

٢١٦ ـ المصدر نفسه ص ٧.

٢١٧ ـ المصدر نفسه ص ٩.

٢١٨ روح وريحان ص ٣٠٤ .

٢١٩ ـ المصدر نفسه ص ٢٣٣ .

٢٢٠ ـ ثورة الدم ص ٨٥ .

٢٢١ ـ الى اي شيء ندعو الناس ص ١١ .

٢٢٢ ـ من خطب البنا ، الحلقة الاولى ص ١١ .

٢٢٣ ـ المصدر نفسه ص ٤١ ـ ٤٢ .

٢٢٤ ـ المصدر نفسه ص ١٣ .

٢٢٥ ـ جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٥ مايو ٩٤٦ .

٢٢٦ ـ المصدر نفسه بتاريخ ١٠ اكتوبر ٩٤٦ .

٢٢٧ – المصدر نفسه بتاريخ ٣ ديسمبر ٩٤٦ .

٢٢٨ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٥٤ .

٢٢٩ – المصدر نفسه ص ٥٦ .

٢٣٠ – نشرت هذه الاحصاءات مجلة آخر ساعة المصرية عدد ٨٩٦ بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٥١ .

٢٣١ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٦٠–٦٣ .

٢٣٢ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣ يوليو ٩٤٦ .

٢٣٣ – روح وريحان ص ٣٨٦ .

٢٣٤ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١١ يوليو ٩٤٦ .

٢٣٥ – ثورة الدم ص ١٣٨ .

٢٣٦ – روح وريحان ص ٣٤٩ .

٢٣٧ – رجل الساعة ص ١٢١ .

٢٣٨ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٦٦–٧٠ وانظر جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٩ اكتوبر ٩٤٦ .

٢٣٩ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٥٣ ، و (الى اي شيء ندعو الناس) ص ٢٩ .

٢٤٠ – الاخوان المسلمون في الميزان ص ٣٩ .

٢٤١ – انظر الى اي شيء ندعو الناس ص ٣٠ ، وجريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٣ مايو ٩٤٦ ، ودعوتنا ص ٨ ، وثورة الدم ص ١٠٠ .

٢٤٢ – حملاتهم على الشيوعية لم تنقطع قبل المحنة وبعدها .

انظر مثلا جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٧ يوليو ٩٤٦.

٢٤٣ – وضّح البنا هذه السياسة في رسالة ارسلها الى الملك فاروق والنحاس باشا ورؤساء حكومات العالم الاسلامي سنة ١٩٣٦ ، ونشرت بعنوان (نحو النور) ، انظر ص ٢٢ – ٢٥.

٢٤٤ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٧ مايو ٩٤٦.

٢٤٥ – المصدر نفسه بتاريخ ٦ يونيو ٩٤٦ .

٢٤٦ – انظر كتاب (الاسلام واصول الحكم) ص ١٣ ، ص ١٦ ، ص ٤٩ ، ص ٧٩ ، ص ٨٣ ، ص ١٠٣ .

٢٤٧ – رجل الساعة ص ١٤٣ ، وهل نحن قوم عمليون ص ٢٨ ، وروح وريحان ص ١٩٤ .

٢٤٨ – جريدة (الاخون المسلمون) بتاريخ ١١ يوليو ٩٤٦

الفصل السابع

٢٤٩ – ملخصاً من خطبة للبنـا . انظر (من خطب حسن البنا) الحلقة الاولى ص ٥٠ – ٥٥ . وانظـر كذلك (مجموعة مقالات حسن البنا) ص ٣٦ .

٢٥٠ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٥١ .

٢٥١ – ثورة الدم ص ١٢٨ .

٢٥٢ – قضايا الاقطار الاسلامية ص ٨ .

٢٥٣ – الى اي شيء ندعو الناس ص ٢٣ – ٢٤ .

٢٥٤ – الاخوان المسلمون في الميزان ص ٧٥ .

٢٥٥ – انظر رسالة من البنا الى المستر تشرتشل في هذا الشأن في (جريدة الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٣ مايو ٩٤٦ .

٢٥٦ – انظر (ثورة الدم) ص ٤٣ .

٢٥٧ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٢٢ اكتوبر ٩٤٦ .

٢٥٨ – (انظر ص ٧٩) .

٢٥٩ – انظر Islam in Modern World الذي اصدرته Middle East Institute سنة ١٩٥٠ ص ٥٨ .

٢٦٠ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ٣٠ نوفمبر ٩٤٦ .

٢٦١ – انظر (القانون الاساسي لجماعة الاخوان المسلمين في لبنان) اول نوار ١٩٤٩ ، في ١٦ صفحة .

٢٦٢ – صدر للآن ست وصايا في نشرات صغيرة الحجم سنة ١٩٥١ ، والوصية الرابعة تجمع مبادئهم وخلاصة وصاياهم . ويذكرون في الوصية السادسة انهم دعوة دينية وجماعة رياضية ورابطة علمية ومنظمة اجتماعية وشركة اقتصادية – وهي جميعاً من اوصاف الجماعة في القاهرة . ويحثون في هذه الوصية على الفتوة وهي نزعة اخوانية ايضاً . واذا جاز موازنة (عباد الرحمن) (بالاخوان المسلمين) في لبنان قيل ان (عباد الرحمن) اقرب الى ان تكون شعبة صغيرة من شعب الاخوان في مصر قولاً وعملاً . والثانية ما تزال اسماً في الظاهر على الاقل .

٢٦٣ – انظر تقرير البعثة الى السودان في جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٩ نوفمبر ٩٤٦ .

٢٦٤ – المصدر نفسه بتاريخ ٣٠ ديسمبر ٩٤٦ .

٢٦٥ – المصدر نفسه « ٢٨ اكتوبر « .

٢٦٦ – المصدر نفسه « ١٣ نوفمبر « .

٢٦٧ – المصدر نفسه « ٢ اكتوبر « .

٢٦٨ – مجلة الدعوة بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٥٢ .

الفصل الثامن

٢٦٩ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ١٦

٢٧٠ – انهيار الحضارة الغربية لانور الجندي ، القاهرة سنة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٥ م ص ٢٠

٢٧١ – مجلة آخر ساعة العدد ٨٩٦ بتاريخ ٢٦ديسمبر١٩٥١.

٢٧٢ – انظر مرافعة النيابة في جريدة الاساس الناطقة باسم الكتلة السعدية التي كان يرئسها النقراشي فابراهيم عبد الهادي – العدد ٧٠٣ بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٤٩

٢٧٣ – المأثورات مجموع آيات قرآنية واحاديث وادعية جمعها البنا اتباعاً لسنة النبي وكلف اتباعه ان يتلوها افراداً وجماعات في اوقات معينة (صباحاً من الفجر الى الظهر ، ومساء من العصر الى ما بعد العشاء) ، وبعضها يقرأ في المناسبات. وقد فصّل البنا انواع

الذكر، فجعل منه التوبة والتفكر وطلب العلم وطلب الرزق الخ... وهي في جملتها ضرب من الآداب التي يتأدب بها الناس. والراجح ان البنا اقتبس هذه العملية من الصوفية، وان كان لها سند في الحديث النبوي. اما الاوراد فهي تسابيح وادعية مألوفة عند الصوفية ايضاً. وقد طبعت (المأثورات) في كتيّب في ١٠١ صفحة من الحجم الصغير (القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥١).

٢٧٤ – انظر جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٩ يوليو ٩٤٦.

٢٧٥ – يتضح ذلك من عدد من القوانين الواردة في نظامهم الاساسي كالبيعة على السمع والطاعة للمرشد، والثقة بالقيادة، وتنفيذ القرارات وان خالفت رأي العضو.

٢٧٦ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٨ يوليو ٩٤٦.

٢٧٧ – المصدر نفسه بتاريخ ٣ يونيو ٩٤٦.

٢٧٨ – من خطب حسن البنا (الحلقة الاولى) ص ٦٧.

٢٧٩ – المصدر نفسه ص ١٧.

٢٨٠ – انظر (كيف ندعو الناس) ص ٤ و ص ١١.

٢٨١ – مجلة الرسالة العدد ٩٦٦ بتاريخ ٧ يناير ١٩٥٢ ومجلة الدعوة العدد ٤٨ بتاريخ ١٥ يناير ٥٢. والكاتب عضو في مجمع فؤاد الاول للغة العربية، ورئيس تحرير مجلة الازهر. ومجلته (الرسالة) ذات شهرة ورواج. وقد اخذت في المدة الاخيرة

تناصر الاخوان وتشيد بدعوتهم .

٢٨٢ – جريدة بيروت بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٥٢ .

٢٨٣ – انظر في تطور التشريع المصري المدني كتاب (فلسفة التشريع في الاسلام) للدكتور صبحي المحمصاني الطبعة الثانية ١٩٥٢ من ٧٥ – ٨٠ . وهو يذكر ان التشريع الجديد مستقى من مصادر ثلاثة : القانون المقارن ، واجتهاد القضاء المصري ، والشريعة الاسلامية .

٢٨٤ – يبدو ان الاخوان بعد المحنة تنبهوا الى هذا . ففي الرسالة التي اصدروها بعنوان (دعوتنا في طور جديد) – وهو عنوان ذو مغزى كما لا يخفى – ابرزوا العنصر الروحي والاخلاقي ابرازاً قوياً فقالوا : ان أول ما نهتم له في دعوتنا وأهم ما نعوّل عليه في نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجاة . فنحن نريد اول ما نريد يقظة الروح ، حياة القلوب ، صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر . وليس يعنينا ان نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الاصلاح في النواحي العملية المختلفة بقدر ما يعنينا ان نركز في النفوس هذه الفكرة ص ١٧ . وليس ثمّ تعبير اقوى واوضح من هذا التعبير للدلالة على هذا التطور الجديد . اما الحكومة الدينية فقد اختفت كذلك ، او على الاقل ضعف شأنها. فقد ذكروا « ان الاسلام يضع القواعد الكلية ويدع الفرعيات والجزئيات ويرسم طرائق التطبيق ويكل للازمان والعصور بعد ذلك ان تعمل عملها، وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان»

ص ٢٢٣ وحملوا على تقسيم القضـــاء الى شرعي ، وغير شرعي داعين الى توحيد المحكمة على اساس اعتبار الشريعة الاسلامية هي شريعة البلاد ومصدر التقنين — ص ٢٧ . وهذا تطور جديد بالنسبة لما ذكروه او ذكر عنهم في المؤلفات الموضوعة قبل المحنة . والرسالة لا تحمـل اسم مؤلف ولكن ذكر في اعلاها انها (من رسائل الاخوان المسلمين) . مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥٢ .

٢٨٥ — Quoted from « Islam in the Modern Wored» the Middel East Institute, 1950, P. 54 .

٢٨٦ — العدد ٧ بتاريخ يوليو ١٩٥١ .

٢٨٧ — مثل هذا الرأي لا يزال قائماً بعـد المحنة كما يبدو من رسالتهم دعوتنا في طور جديد ص ١٠ ، حيث يذكرون ان الغرب عاش في أخريات ايامه مادي النزعة لا يشعر بغير المادة ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت في نفوس ابنائـه عواطف الرحمة الانسانية ، وخبت انواع الروحانية الربانيـة ، وهيمن الغرب على الدنيا بأسرها بعلومه ومعارفه ومباهجـــه وزخارفه وكشوفه ومخترعاته وجنوده وامواله ، وصبغ الفكر البشري في كل مكان بصبغته هذه . على انهم لا يحملون على الغرب وحضارته بالاسلوب القديم . ويلوح انهم يأخذون برأي البنا الذي أشاد بالجانب الفني منها كما ذكر في موطن آخر ، ويردون الغـلو في الحملة على الحضارة الغربية الى افرادٍ منهم لا يمثلون الدعوة ولا ينطقون باسمها . والواقع ان « شعبية » الحركة هي سبب التناقض وتناثر الآراء في غير ضابط . ولا يصحّ تحميل الدعوة مسؤولية ما ينتج عن هذه

الشعبية .

٢٨٨ – انظر انهيار الحضارة الغربية لانور الجندي ص ٢٠ .

٢٨٩ – المصدر نفسه ص ٥٧ ، ٦٢ .

٢٩٠ – جريدة (الاخوان المسلمون) بتاريخ ١٧ يوليو ٩٤٦ .

٢٩١ – من خطب حسن البنا ، الحلقة الاولى ص ٣٩ .

٢٩٢ – المصدر نفسه ص ٢٤ ، ٢٥ .

٢٩٣ – صدر هذا التصريح من قبل تحرير مجلة « المسلمون » بمناسبة زيارة وزير خارجية اسبانيا لمصر . والراجح انه لرئيس تحرير المجلة سعيد رمضان الذي يُعد من ابرز اعضاء الجماعة . [انظر مجلة « المسلمون » عدد ٦ سنة ١ بتاريخ ابريل ١٩٥٢ ص ٩٨] وانظر كذلك (يوم الاسلام) للدكتور احمد امين حيث يربط مصير الاسلام بمصير النزاع بين المعسكرين ص ١٦١ .

٢٩٤ – وقد ألمعوا الى هذا القول وذكروا الحكمة نفسها في (دعوتنا في طور جديد) ص ٢٦ .

٢٩٥ – انظر حاشية رقم ٢٨٤ .

٢٩٦ – رجل الساعة لاحمد انس الحجاجي ص ١٢١ .

٢٩٧ – في اربعة اجزاء ، صادر عن دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٠ .

٢٩٨ – كتاب « من هنا نبدأ » للشيخ خالد محمد خالد ينحو هذا النحو . ولكن المؤلف يرى التوسل بالدين لتحقيق العدالة الاجتماعية ، فهو لا يقطع صلته بالدين .

فهرس الاعلام

صفحة

ابن تيميّة ١٧٩

ابو حنيفة ، الامام ٤٨

احمد ، محمد حسن ٥ ، ٦٢

افغاني، جمال الدين ٤٠، ١٧٩

امين ، احمد ١٨٠

١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢١٠ .

البنا ، حسن ٥ ، ٦ ، ٨

٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦

١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨

٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤

٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

صفحة

٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥

٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦

٨١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠١

١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٨

١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٧

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧

١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤

١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٨٧

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

٢١٠ .

تشرشل ، ونستون ٢٠٥

صفحة

توفيق ، محمد علي ٧٩
ثروت ، عبد الخالق ١١
جب ، ه. ا. ر. ١٨٥
الجندي ، احمد انور ٥٥ ،
٨١ ، ١٨٧ ، ٢٠١ .
الحجاجي ، احمد انس ٥٥،
٦٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠
١٩٣ ، ١٩٥ .
حرب ، صالح ٤
حسين ، طه ١٠ ، ١١
الحسيني ، جمال ١٣١
الحصافي ، الشيخ ٤٤ ،
٤٥ ، ٤٧ .
خالد ، محمد خالد ١١٧
١٩٢ ، ٢١٠ .
خان ، لياقت علي ١٦٨
خشبة ، احمد ٧٩
الخطيب ، محب الدين ١٣ ،
٤٩ ، ١٨٥ .
خفاجي ، عبد المنعم ١٩٢
الدجوي ، الشيخ ١٣

صفحة

الدرديري ، يحيى ١٨٥
الرافعي ، مصطفى صادق ١٠
رضا ، الشيخ رشيد ١٣ ، ٤٩
رمضان ، سعيد ١٩٢ ، ٢١٠
زغلول ، سعد ٩
الزهاوي ، أنجد ١٣٨
زهران ، محمد ٤٩
الزيات ، احمد حسن ١٦٢
زيدان ، جورجي ٢٠٢
الساعاتي ، احمد عبد الرحمن
البنا ٤٢ ، ١٨٩ .
السباعي ، مصطفى ٣٧،
١٢٤ ، ١٢٧ .
سري ، حسين ٢٦ ، ٣٧
السكري ، احمد ٢٦ ، ١٨٨
سليم ، عبد المجيد ١٧١
السيّد ، احمد لطفي ١١
الشافعي ، الامام ٤٢ ، ٤٨
الشيباني ، الامام احمد ٤٢
صبري ، حسن ٢٦
صبري ، مصطفى ١٨١

صفحة

صدقي ، اسماعيل ١١ ،
٢٣ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .
صقر ، عبد البديع السيّد ١٩٦
الصواف ، محمد محمود ١٣٩
الطاهر ، محمد علي ١٩١ ، ١٩٩
طوسن ، عمر ٧٩
عبد الحميد ، احمد ١٨٨
عبد الرازق ، علي ١٠ ،
١١ ، ١١٦ ، ١١٧ .
عبد الستار ، عبد المعزّ ١٣١ ،
١٣٢ .
عبد العزيز ، عمر ٨٧
عبد الكريم ، الامير ١٢٢
عبدالله ، الملك ١٣٣
عبد الهادي ، ابراهيم ٣٦ ،
٣٧ ، ٥٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ .
عبد الوهاب ، محمد ابن ١٠٠ ،
٢٠٢ .
عبده ، محمد ٤٠ ،
٤٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١٧١
١٧٩ ، ١٨١ .

صفحة

عسكريه ، حامد ١٨٨
العشماوي ، صالح ١٩٢
العشماوي ، محمد ٨٥
العقاد ، عباس محمود ١٨٠
عودة ، عبد القادر ١٩٢
عياد ، جمال الدين ١٩٢
الغزالي ، محمد ١٩٢
فاروق ، الملك ٢٤ ، ٢٠٤ .
الفاطمي ، المعزّ لدين الله ٨٧
كمفرمير ، ج ١٨٥
مالك ، الامام ٤٨
ماهر ، احمد ٢٦ ،
٢٧ ، ٢٨ ، ١٠٦ .
ماهر ، علي ٢٦ ،
٣٨ ، ١٠٦ .
المحمصاني ، صبحي ٢٠٢ ،
٢٠٨ .
محمود ، محمد ١١ ، ٢٣ ،
٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨ .
النحاس ، مصطفى ٢٣ ،
٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٦٥

صفحة

٧٨ ، ٧٩ ، ٢٠٤ .
النقراشي ، محمود فهمي ٢٦،
٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥، ٣٦،
١٠٦ ،٢٠٦ .
هتلر ٦
الهضيبي ، حسن اسماعيل
٣٧ ، ٣٨

صفحة

الهلالي ، نجيب ٣٨ ، ١٩٨
هيكل ، محمد حسين ١٨٠
وجدي، فريد١٣، ٤٩، ١٨٠.
يحيى ، عبد الفتاح ٢٣
يكن ، عدلي ١١

٢٤ — ٧ — ٥٢

الفهرس

الفصل الاول

صفحة

ظروف نشأتهم ٣

الفصل الثاني

نشأتهم وتطورهم ١٥

الفصل الثالث

حسن البنا – شخصيته ٤٠

الفصل الرابع

مبادئهم ٦٣

الفصل الخامس

صفحة

اعمالهم ٧٣

الفصل السادس

الاخوان والسياسة ١٠٠

الفصل السابع

حركة الاخوان خارج مصر ١١٩

الفصل الثامن

تحليل الدعوة ١٤٣

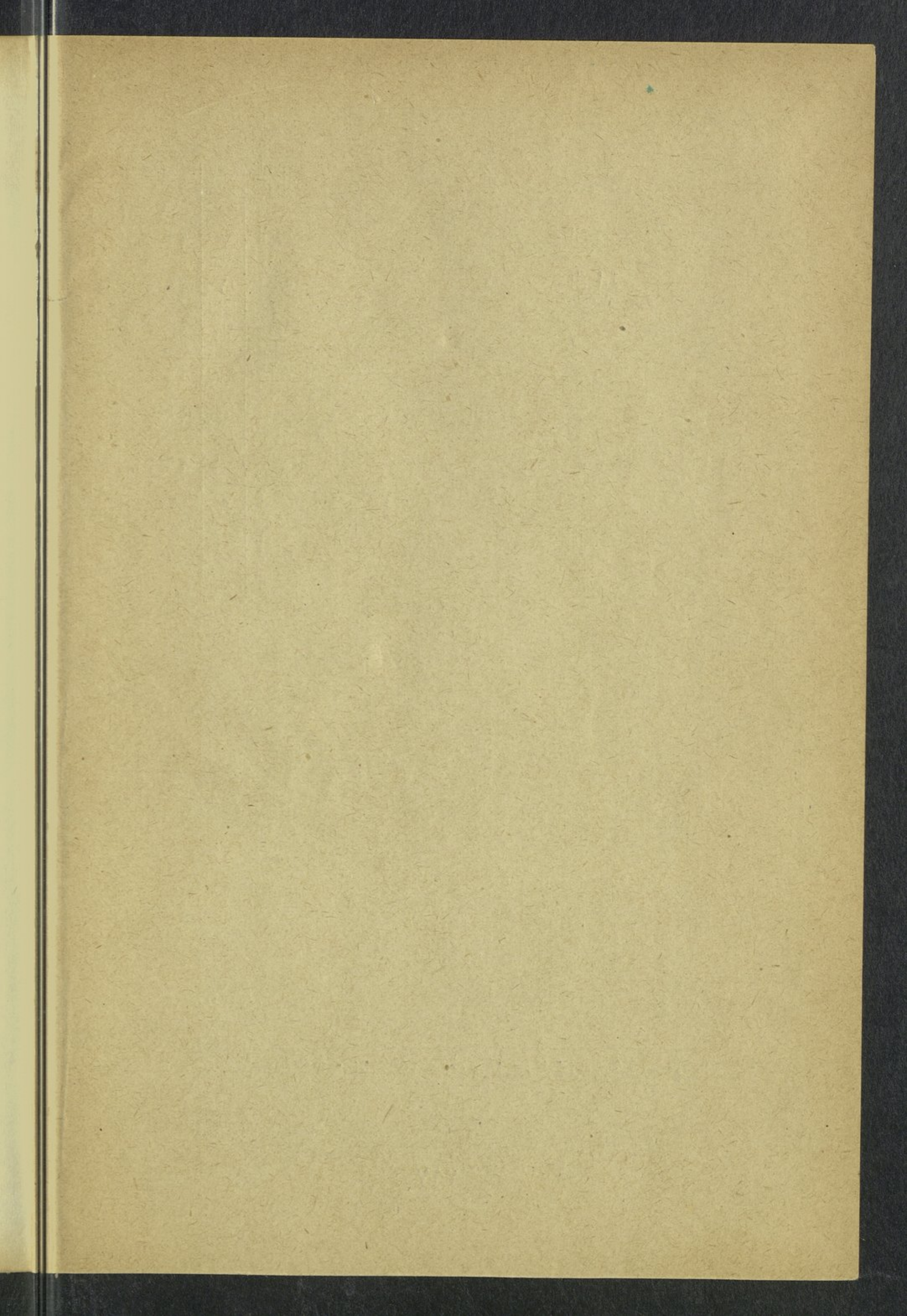
مراجع وشروح ١٨٥

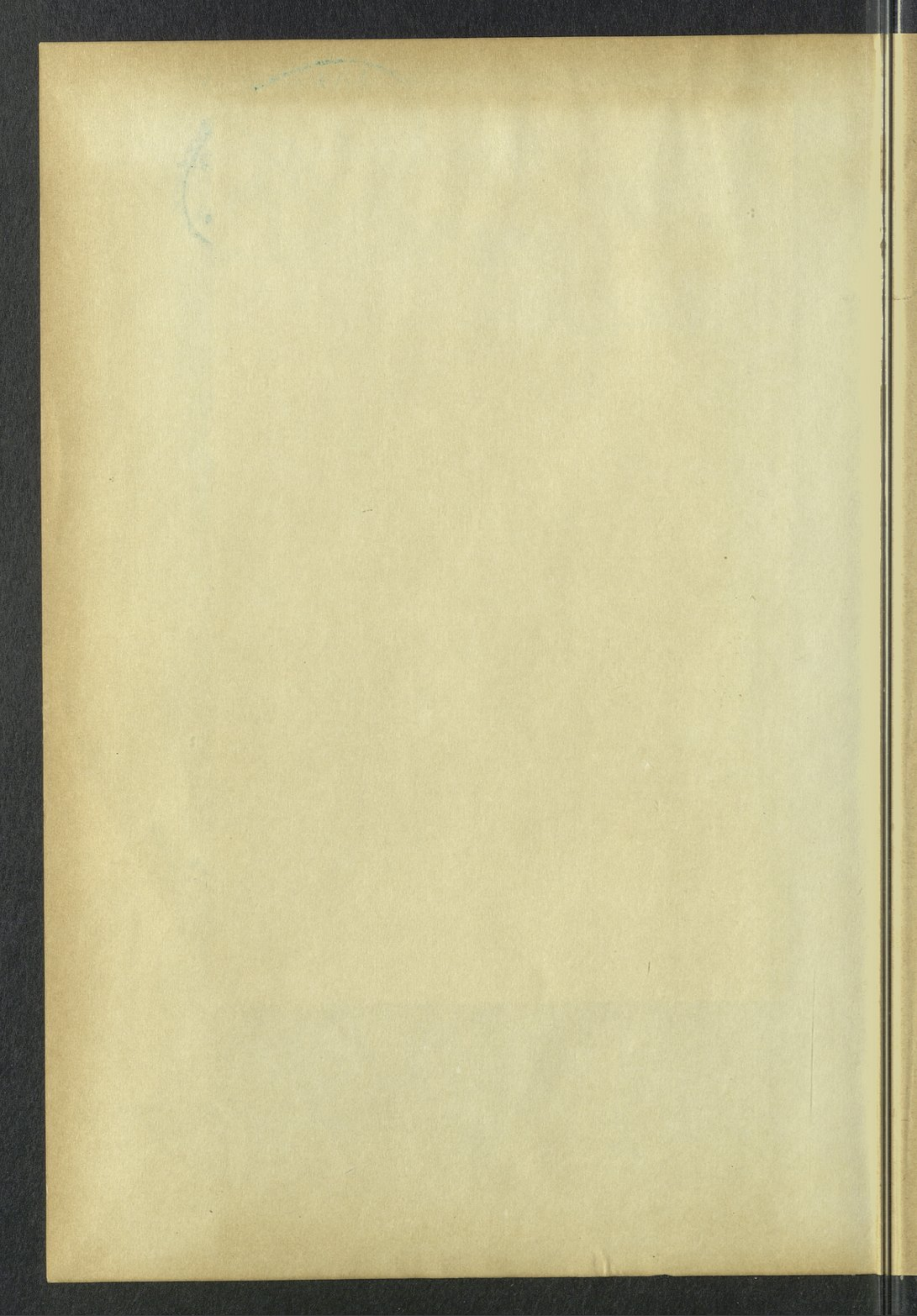
تصويب

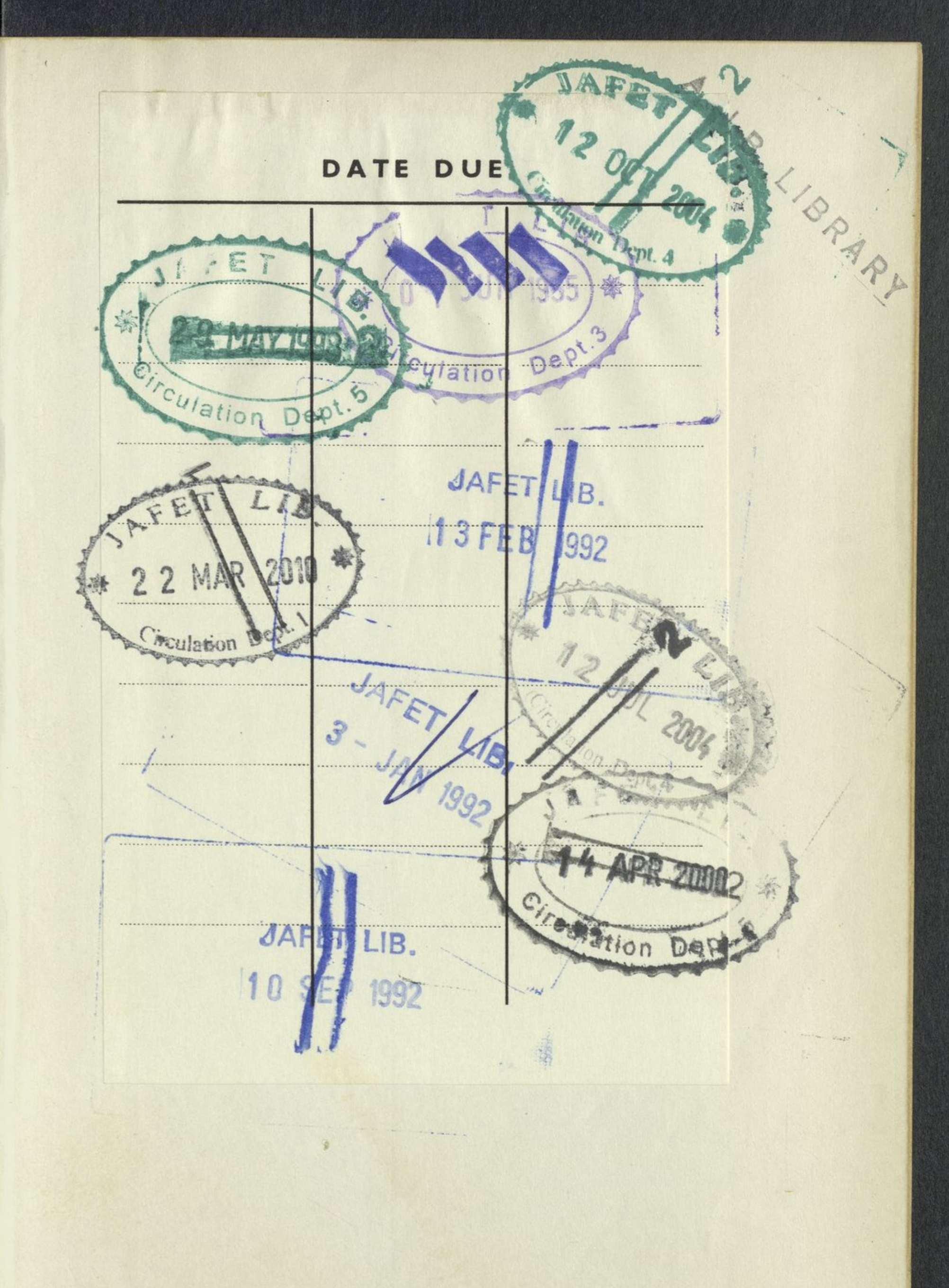
ص	س	خطأ	صواب
٤	٣	اسهت	اسهمت
٨	٤	الاخون	الاخوان
٤١	١٣	وسيف ٨٥	وسيف » ٨٥
٨٠	٧	وسائلهم	وسائلهم
٨٥	١٨	الخدمة	الخدمة العامة
٨٨	٢	يجده ؟	يجده
٩٣	١٥	وكسبه من	وكسبه من وجهه
٩٧	٢	الفلّ	الغلّ
١٠٨	١٧	اخقاق	اخفاق
١١٧	١٣	ويدون آرائهم	ويدونون آراءهم
١١٩	١٠	الاحداث	الوحدات
١٢٠	٦	منهم	فهم
١٢١	٤	باحتكام	بأحكام
١٢٨	٦	تجربة	بحرية
١٣٦	١٣	الدعود	الدعوة

ص	س	خطأ	صواب
١٤٧	٣	التفقير	التنفير
١٥٢	١	نيابة	النيابة
١٦٠	١٠	رأو	رأوا
١٦٦	١٨	هدد	هدر
١٦٩	٧	اضف رقم ٢٨٥ في آخر الفقرة	
١٦٩	١١	Islamic diterature	Islamic Literature
١٧٠	٩	اضف رقم ٢٨٦ في آخر الفقرة	
١٧٤	٢١	اغزوا	اغزو

«مطبعة قلفاط» شارع بشارة الخوري تلفون ٣٤/٧٠ بيروت






DATE DUE
JAFET LIB.
12 OCT 2004
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
Circulation Dept. 5
Circulation Dept. 3
JAFET LIB.
13 FEB 1992
JAFET LIB.
22 MAR 2010
Circulation Dept. 1
12 JUL 2004
JAFET LIB.
3 - JAN 1992
14 APR 2000
JAFET LIB.
10 SEP 1992
LIBRARY

